

أدب ونقد

مجلة الثقافة الوطنية
الديمقراطية

أكتوبر ٢٠٠٩ - العدد ٢٩٠

صلاح عبلي:

المقرئي

يعيش

في شارع

((حدابي))



ذكرى أحمد: هؤلاء صدقة الهوى خلائين
نهارك سعيد: أحمد رجب:



أدب ونقد

مستشار التحرير: فريدة النقاش

المشرف الفنى: أحمد السجينى
إخراج فنى: عزه عز الدين
مراجعة لغوية: أبو السعود على

الرسوم الداخلية للفنان : إسلام خليفة

الاشتراكات للعام

باسم الأهالى / مجلة (أدب ونقد) : داخل مصر ٧٥ جنیها
البلاد العربية ٧٥ دولارا / أوروبا وأمريكا ١٠٠ دولارا

يمكن إرسال المقال على العنوان البريدى أو البريد الإلكتروني:
Cairo 680 @ Yahoo. com

الدراسات: مجلة (أدب ونقد) ١ شارع كريم الدولة/ ميدان طلعت حرب

القاهرة/ هاتف ٢٥٧٩١٦٢٨/ ٢٥٧٨٤٨٦٧ فاكسن

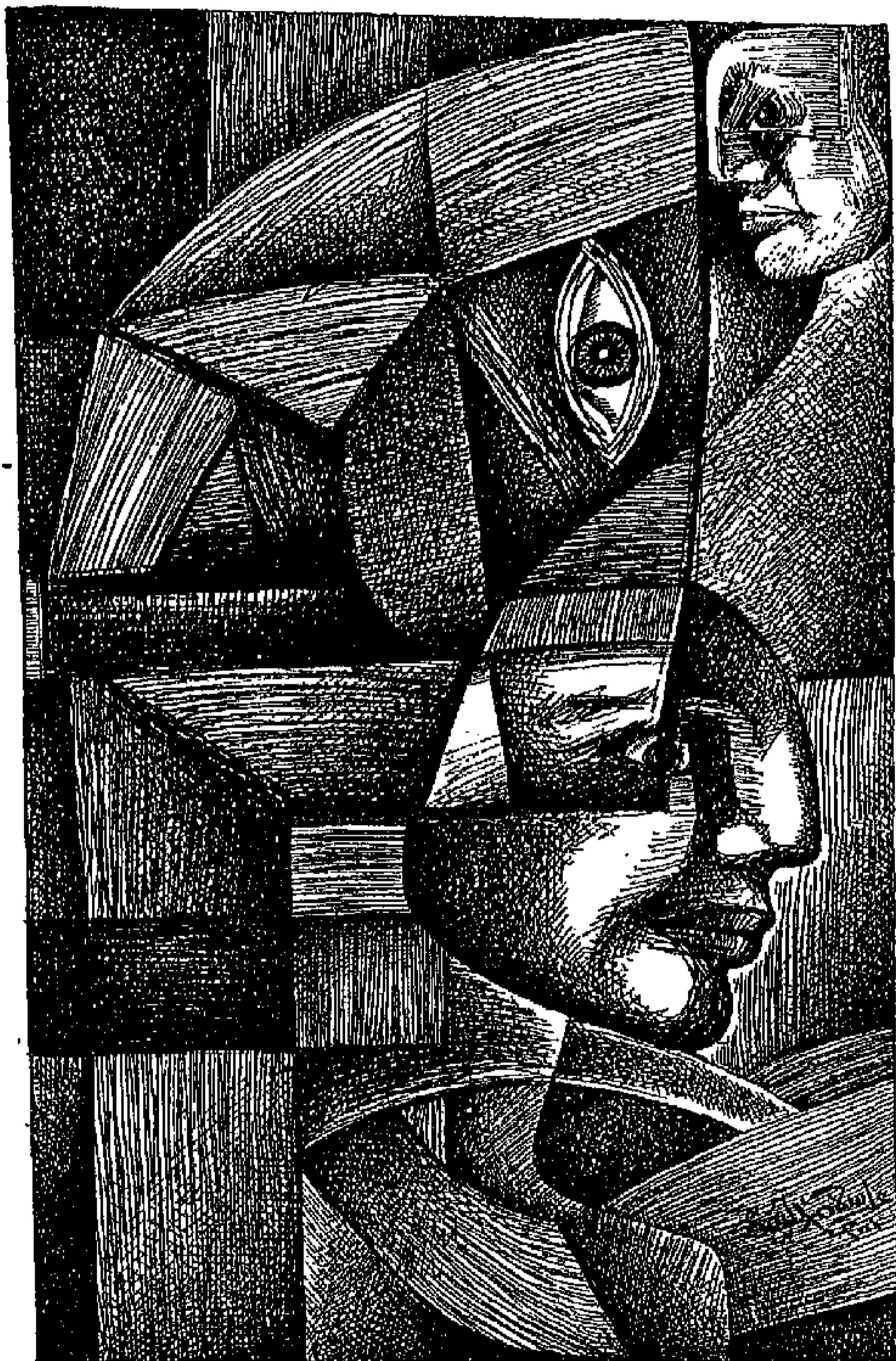
المحتويات

٤٦
٤٧
٤٨

- مفتتح (١) : صلاح عيسى رؤية جدلية ولاذعة د. رفعت السعيد ٥
- مفتتح (٢) : من وجوه صلاح عيسى فريدة النقاش ٧
- الأواني المستطرقة حلمى سالم ١١
- المؤرخ برؤية المفكر د. عاصم الدسوقي ١٤
- التاريخ رواية مشوقة د. سيد العشماوى ١٥
- المؤرخ الأديب د. محمد عفيفي ١٧
- مبدى أكثر فى الحركة د. زبيدة عطا ١٨
- كل سنة وانت طيب يا جميل أمينة النقاش ١٩
- تجليات المقريزى / حوار عبد العليم ٢٤
- المنظور السياسي والديمقراطى لمسألة الوحدة الوطنية صلاح عيسى ٣٣
- مقتطفات من كتابات مجاهولة / قصة / صنع ٤٣
- صفحة الغلاف الأخيرة لكتاب الموقى / قصة / صنع ٤٩
- ثلاث مشائق متينة الصنع / قصة / صنع ٥٥
- هذه الفيالق الثقافية النفعية صنع ٨٣
- كتب صلاح عيسى صنع ٨٤

• الديوان الصغير

- نهارك سعيد / مختارات من أحمد رجب / إعداد وتقديم د. ماهر شفيق فريد ٨٧
- ذكرياء أحمد : هو صحيح الهوى غالب / ذاكرة الكتابة / توفيق حنا ١٠٣
- أوجاع فقد / نقد / ربيع مفتاح ١٠٩
- دكان شحاته: ليس بالنوايا الحسنة تصنع السينما / سينما / محمود الغيطانى ١١٤
- عبده والجدار / قصة / محمود قتيبة ١٢٠
- في انتظار الأب والأبن / قصة / د. هشام قاسم ١٢٤
- قصص قصيرة ابتسام الدمشاوي ١٢٧
- احترم نفسك : / شعر / سعدني السلامونى ١٣٠
- وسأختفي / شعر / أمجد محمد الشعشاوى ١٣٢
- اللئ ما يتسموا / شعر / ماجد كمال ١٣٦
- رقص منفرد / شعر / عهدى چورج ١٣٨
- هي النهاية، قصائد لشاعر الألمانى ماريو فيريس / ترجمة / عبد الوهاب الشيخ ١٤٠
- منتدى الأصدقاء احمد عطية عبدالعال / وأحمد الدسوقي ١٤٣



صلاح عيسى:

رؤيه جدلية ولاذعة

د. رفعت السعيد

اعتاد المؤرخون الأكاديميون الذين يعملون بالتدريس في علم التاريخ ألا يعترفوا بغيرهم في كتابة التاريخ وأن يعتبروا أن علم التاريخ يجري أحياناً انتهاكه من غير المؤهلين أكاديمياً.

وهذه النظرة فيها بعض الصحة لأن كثيرين تطفلوا على كتابة التاريخ وكتبوا ما لا يستحق أن يوصف بأنه كتابة تاريخية، وإنما قد تكون حكايات أو روایات وفي غالب الأحيان مجرد تحقيق لكن أحداً لا ينكر دور عبد الرحمن الراافعى وحتى الأستاذ أحمد أمين وغيرهما في كتابة التاريخ المصرى أو تاريخ الإسلام (كما حدث مع أحمد أمين).

لقد شهدت الستينيات ثلاث محاولات من خارج إطار هيئات التدريس وهي محاولات طارق البشري وصلاح عيسى ورفعت السعيد، وفي البداية تمت هذه الاجتهادات بذات النظرة باعتبارها جهوداً غير أكاديمية، ولكن أعتقد أنها أثبتت (باليزات بالنسبة لصلاح عيسى وطارق البشري) أن الكتابة التاريخية عندهما كانت إسهاماً حقيقياً في تدوين تاريخ مصر المعاصر.

يمتاز صلاح عيسى عنا نحن الآخرين (طارق البشري وانا) بكتاباته البسيطة واللاذعة، حيث يبسّط الكتابة لكنه يمنحها من هذا التبسيط بعداً أكاديمياً أعمق، ويفتح أمام

القارئ آفاقاً أوسع ويحلل الحدث التاريخي ببرؤية ثاقبة، وأستطيع أن أقول إنها رؤية جدلية تربط الحدث بمساراته الاقتصادية والاجتماعية والسياسية التي قد لا يراها الكثيرون حين يفصلون الحدث عنها باعتباره لا علاقة له بها. وصلاح عيسى في هذا نجح في أن يضع نفسه على خريطة المؤرخين المعاصرين عبر جهد دؤوب لا يمل، فهو يفتشف وينقب ويكتشف وكأنه لم يزل في ثياب العشرينات من عمره.

أتذكر في نهاية السبعينيات كنت أصعد أرشيف القلعة أحياناً مع طارق البشري وأحياناً مع رؤوف عباس، وكان الملتقى صعباً ويرتدى كل منا جاكتة بيجامة ممزقة يقدمها أمين المخزن، ويومها قال لي الآثنان: لنفعلها الآن وبعد أن نتقدم في السن لا نستطيع أن نفعلها.

أما صلاح عيسى فلا يعترف بالسن فهو لم يزل يقوم بالبحث الدقيق في مجال علم التاريخ، وهذا أمر يستحق الاهتمام والاحترام، لكنه يثير الدهشة: كيف ومن ثم يفعلها صلاح عيسى؟

سألت. وكانت الإجابة: طوال الوقت، لا يهدأ، لا يمل، لا يكتفى، وكان توكيلاً أعطى له بأن ينتهي من كتابة كل ما يمكن حول تاريخ مصر.

وبمناسبة بلوغه السبعين أقدم تحية وتقديرى لصلاح، واتذكر أنه معاندة لأحد المؤرخين الأكاديميين الذى قال له خلال جلسة صاخبة وهو يزورنى في مجلة «الطليعة»، أنتم تقتربون علم التاريخ وكأنه لا أصحاب له وليس كل من يستطيع الكتابة القراءة يصبح مؤرخاً، وأضاف لي، لكن أنت غيرهم فأنت حصلت على الدكتوراه في التاريخ ودرست في جامعات مختلفة، ومعاندة لهذا الرأى أهديت أول كتاب أصدرته بعد هذه المناقشة إلى صلاح عيسى وطارق البشري، فهما فخر مؤرخن جيلنا، وهما كذلك ■

١٤٢ تذار

حالات ظروف رمضان وعيد الفطر، كل عام وأنتم بخير، وظروف فنية أخرى دون صدور هذا العدد في موعده فتأخرنا قليلاً. نعتذر لقراء أدب ونقد عن ذلك ■

من وجوه صلاح عيسى

فريدة النقاش

يقع من يريد أن يكتب عن صلاح عيسى في حيرة، إذ يجد نفسه أمام مثقف موسوعي متعدد المواهب والاهتمامات، غزير الإنتاج، له قلم مميز وطابع خاص في السخرية ووجوه إبداع كثيرة. وتزداد حيرته مثلاً ما هو حالى إذا أضفنا إلى ذلك عمق المعرفة الشخصية القديمة والقرابة بيننا فهو زوج اختى الصغيرة أمينة، بل وكانت لنا تجربة عمل مشتركة تواصل يومياً لست سنوات فكان مديراً للتحرير عند الإصدار الثاني للأهالى عام ١٩٤٢ وأنا مسئولة القسم الشاققى بعد أن كنأ قد تزاملنا فى جريدة الجمهورية فى مطلع السبعينيات لبعض سنوات حافلة.

هي كل مرحلة من هذه المراحل كانت لنا حكاياتنا المشتركة، لبعضها طابع عام ولآخر طابع شخصى . ففى الجمهورية تزاملنا فى قائمة الفصل من الجريدة ومن نقابة الصحفيين حين أصدر الرئيس السادات باعتباره رئيساً للاتحاد الاشتراكي العربى قراراً بفصل مائة وثلاثة من الصحفيين من كل المؤسسات فى فبراير ١٩٧٣ ومنعهم من دخول المؤسسات الصحفية استناداً إلى قرار آخر كانت قد اتخذته لجنة النظام بالاتحاد الاشتراكي العربى بفصاناً من التنظيم السياسى الواحد فى ذلك الحين، والذى كان

يملك الصحف الحكومية نظرياً والتي انتقلت ملكيتها فيما بعد إلى مجلس الشوري. جرى فصلنا حينذاك بدعوى خروجنا على الخط الوطني لأننا عارضنا بعض سياسات السادات، وساندنا الحركة الطلابية التي كانت قد تصاعدت في الجامعات المصرية وقادها يساريون شيوعيون، وناصريون وتكتشف منذ ذلك الحين مخاطط النظام السادسي لتشجيع الجماعات الدينية وصولاً إلى التورط في تسليح بعضها ومساندتها للتصدي لليسار بفرقة المختلفة، والذي كان قد نظم وقاد الحركة الطلابية العارمة التي كان تحرير الأرض المحتلة عام ١٩٦٧ هو محور فضالها. واخذت الجامعة تموّج بالنداءات والمحاضرات ومجلات الحائط وصولاً إلى الاعتصام الطلابي التاريخي في قاعة الاحتفالات بجامعة القاهرة ثم في ميدان التحرير في يناير ١٩٧٢ وتشكيل اللجنة الوطنية العليا للطلبة والعمال وهو ما أدى لهله النظم لا فحسب لأن وعيه عماليها طلابياً مشتركاً قد تبلور وإنما أيضاً وهو الأخطر. عبر هذا الوعي عن نفسه في شكل تنظيم ضم طلائع للحركة الطلابية ولعمال حلوان معاً. وتحركت مظاهرة حاشدة من حلوان لتنضم إلى طلاب جامعة القاهرة. وعن مبيت الطلاب في ميدان التحرير عام ٧٢ كتب أمل دنقلاً واحدة من أشهر وأهم قصائد الشعر العربي الحديث هي «اغنية الكعكة الحجرية»، وفي أحضان هذه الحركة الطلابية نضجت ظاهرة الثلاثي أحمد فؤاد نجم والشيخ إمام عيسى وعزبة بلبع ومعهم جيل جديد من شعراء العامية المصرية المميزين الذين ملأوا الساحة الثقافية والسياسية.

كان صلاح صديقاً مقررياً للمرحوم الشاعر مصطفى بهجت بدوي رئيس مجلس إدارة دار التحرير للطبع والنشر التي تصدر عنها جريدة الجمهورية. وطلب رئيس المؤسسة من صلاح والشعور بالحرج يملؤه أن نمتنع نحن المسؤولين عن دخول المؤسسة وأبلغه أيضاً أن الحكومة قررت أن تصرف لنا نصف مرتباتنا.

وأخبرنا عم حبيب الساعدي - رحمة الله - وكان متاعطاً معنا أن «أولاد العلال، الذين دستهم الأجهزة بينما قدموا تقريراً قالوا فيه إننا نحضر كل يوم إلى المؤسسة، ونجتماع في المركز الثقافي السوفييتي» - كما كانوا يسمون المكتب الذي يضم كلاً من صلاح عيسى وحسين عبد الرزاق وفريدة النقاش ومحمد عودة ويونس إدريس وأخرين.. وإننا نناقش السياسة بجرأة ونعبر عن آرائنا بحرية ونسخر من قرار فصلنا ونضحك كثيراً - وفعلاً كنا نضحك كثيراً فكما يقال شر البالية ما يضحك. فقد كان قرار فصلنا من مؤسساتنا فضلاً عن أنه تضييق شديد على أرزاقنا وغالبيتنا لا نملك

شيئاً غير مرتقباتنا، فقد كان بمثابة إعدام معنوي، فلم تكن هناك بعد صحف خاصة أو حزبية لتعمل بها، وكل المطبوعات مملوكة للاتحاد الاشتراكي أى للدولة.. كذلك هو حال الإذاعة والتليفزيون .. فغابت أقلامنا وأصواتنا دفعة واحدة، فقلنا نشاطنا إلى نقابة الصحفيين، وكانت حد يقتها الصغيرة الجميلة في المبنى القديم هي مستقرنا. ومن هذه الحديقة أصدرنا مجلة حائط كتبنا فيها آراؤنا ونشرنا فيها شعراً، وحمل كل ما فيها نفحة تحد للقرار، وساندتنا حملة واسعة في البلدان العربية والأوروبية، واتخذنا أنا وحسين عبد الرازق وصلاح عيسى قراراً مازلتني أعتبره صائبًا حين رفضنا أن نتجرف وراء موجة الهجرة إلى أوروبا والبلدان العربية التي اندفع إليها عشرات المثقفين عقب ضربة ١٩٧٣ وقررنا أن نبقى في مصر .. ونجح كفاحنا المستميت لمنع شطبنا من جدول نقابة الصحفيين، ووقف معنا بشرف أعضاء مجلس النقابة والصحفي الراحل على محمد الجمال نقينا في ذلك الحين.

أما الاقتراب الثاني من صلاح عيسى والأشد عمقاً فكان في فترة الإصدار الثاني للأهالى، التي كانت قد صودرت بصور متكررة في فترة صدورها الأولى عام ١٩٧٨، ولاحقها قاض هو أنور أبو سحنون إلى أن أغلقت أبوابها وأصبح هو نائباً عاماً ثم وزيراً للعدل مكافأة له على إسكات الصوت الذي عارض الصلح مع إسرائيل واتفاقيات كامب ديفيد.

وعادت الأهالى، الصدور بعد اغتيال السادات وصعود الرئيس مبارك، للسلطة .. ونجحت نجاحاً باهراً برئاسة تحرير حسين عبد الرازق وإدارة تحرير صلاح عيسى وجهود فريق من ألمع الصحفيين اليساريين في كل مجالات العمل الصحفي .. وغير صلاح عيسى في هذه المرحلة في تاريخ الأهالى حين استحدث ببابا ماتزال الأوساط الصحفية والسياسية في مصر تذكرة وكم حاول بعضهم تقليده دون نجاح يذكر هو الأهبارية التي كانت تكويناً من الحروف الأولى للأهرام والأخبار والجمهورية. وشكلت الأهبارية إضافة هريدة للأدب الساخر الذي نجح في ساحته كل من محمد عفيفي ومحمود السعدنى. وأخذ صلاح يشتbulk بطريقته اللاذعة التي تجرح وتدمى بل وتقتل فكانت ببرداً وسلاماً على الشرفاء وأنصار الحق والحقيقة وناراً موقدة على المزورين والفاشدين والطفاة. وفي مدرسة الأهبارية واليوميات التي كتبها صلاح تعلم مئات الصحفيين الشبان وتزايد قراء الأهالى حتى تجاوز توزيعها المائة والخمسين ألف نسخة وشارك في التخطيط لإصدار مجلة أدب ونقد، التي كانت وما تزال أول مجلة ثقافية يصدرها حزب سياسي، ثم شارك بعد سنوات في التخطيط لإصدار مجلة



اليسان...

كان نجاح الأهالى، تلك هذه السنوات مثار فخر للحزب باعتبارها أداته الرئيسية للتقديم ببرامجه وسياساته وقادته وأعضائه للرأى العام الذى كان مفعما بالأمل فى التغيير فى تلك السنوات الأولى لحكم الرئيس مبارك، هو الذى كان قد رفع لدى مجئه شعار التغيير فلم يترى الشوق لهذا التغيير لدى جماهير متغطشة له.

صلاح هو أيضا مؤرخ سياسى اجتماعى تميزت إصداراته فى هذا السياق بدءاً من الثورة العربية ووصل إلى كتابه عن ريا وسکينة بإحكام المنهج الجدلى التاريخي وقوة المحافظة ورشاقة الأسلوب ويساطنته وهو ما أكتسبه من العمل الصحفى الطويل فى منابر متعددة ووصولاً لرؤاسته تحرير جريدة القاهرة فى آن واحد. ولا عجب فى ذلك فهو أيضا قاصن وروانى كتب التاريخ بروح الرواية، وفي هذا السياق تتجلى حكاياته من دفتر الوطن شاهداً متفرداً على هذه الموهبة الغنية التى غذتها ثقافة واسعة، فهو قارئ نهم وكانت كلما التقى به متوجلاً فى وسط البلد وسألته إلى أين، كان يأتينى هذا الرد الذى سمعته منه عشرات المرات - سأضرب بلطة، على سور الأزبكية. كل سنة وانت طيب يا صلاح .. أيها الشاب فى السبعين ■

ملحق:

سبعون صلاح عيسى**الأواني المستطرقة****حلمي سالم**

المشاغب يصل عامه السبعين . هذا هو صلاح عيسى ، الذي نقول له ، في هذه الصفحات القليلة ، مستخدمنا جملته الأثيرية ، كل سنة وأنت طيب يا جميل . صلاح عيسى بناء ضخم يقوم على أعمدة عديدة ، ساختار منها الآن أربعة أعمدة أو أربعة وجوه :

الوجه الأول : هو المؤرخ . ونحن نذكر إننا في سنوات السبعينيات الأولى وأثناء الثورة الطلابية المصرية الشهيرة ، استفدى واستمتعنا (إن كان في المأسى استمتاع) بكتابيه الهامين ، الثورة العربية ، البرجوازية المصرية وأسلوب المفاوضة . ثم توالى أعماله التي يزاوج فيها بين تاريخ الواقع وتاريخ الوجودان ، والتي يركز فيها بصره وبصيرته على الدراما الاجتماعية للشعب المصري ، غير مكتف في ذلك بكتاب الحوادث في وادي النيل ، - حسب تعبير أحمد شوقي - إنما ، أيضاً ، بصفار الهواجس والتفاصيل ، في النفس البشرية .

والوجه الثاني ، هو وجه الأديب . الذي قدم من خلاله روايات وقصصاً . وإن ظل يقوم الأديب في داخله كثيراً ، فيغلبه حيناً وينغلب حيناً . ومثلاً قدم التاريخ بروح دراما

الأديب جاءت قصصه وروياته، كذلك، تأريخاً، لتحولات الروح والشخصية المصريتين وتاريخاً، للتفاعلات الاجتماعية التي تمور في قاع المجتمع.

والوجه الثالث: هو وجه الصحفي، الوجه الذي وضعته ضمن مساف المدرسة الصحفية المصرية المباركة التي ما إن تتولى منبراً صحفياً حتى يتحول هذا المنبر إلى الحيوية والساخونة والتنوع، بمزاوجتها بين الفكر العميق والجاذبية الطازجة، واحترامها لكل التيارات الفكرية على أرض مصر، وتأصيلها للحوار وقبول الآخر. أقصد تلك المدرسة التي تضم أمثل: أحمد بهاء الدين وكامل زهيري ورجاء النقاش وصلاح حافظ وغيرهم.

والوجه الرابع: هو وجه السياسي. أي المثقف التقديمي الذي اصطف في معسكر الفكر اليساري منذ صباح الأول، والذي دفع بسبب هذا الانتماء من حريةاته الأثمان العديدة، حينما تم اعتقاله أكثر من مرة.

الأهم من ذلك كله، أن هذه الوجوه الأربع تعمل داخل صلاح عيسى باسلوب «الآوانى المستطرقة»، التي تفضى واحدتها إلى الأخرى وتصب في بعضها بعضاً. فهو يؤرخ بروح الأدب، وهو ينشئ الأدب بروح المؤرخ، وهو يناضل سياسياً وكل التاريخ وراءه أو أمامه، وهو يمارس الصحافة بروح المثقف الثوري الذي يضع عينه على البسيط والعميق، وعلى الجماهير والنخبة، وعلى المؤقت والدائم، في آن معاً.

أما روح المرح والساخرية فهي «الإكسير» الذي يسرى في عمل صلاح عيسى، عبر هذه الوجوه الأربع جميراً. هذا الإكسير هو الذي يخفف جفاف الكارثة التاريخية أو مأساويتها، وهو الذي يضخ بعض الماء في صحراء الواقعية السياسية وتحليلها، أو الواقعية الصحفية وبرودها، كما أنه يقلل من تراجيدية الأدب ويحمله إلى «ساركازم» ساخر، انتلاقاً من قاعدة «شر البلية ما يضحك».

حقن صلاح عيسى في مقدمة مجموعته القصصية «بيان مشترك هذه الزمن، إنهم كانوا في السجن». صلاح عيسى والأبنودي وتيمور الملوانى وصبرى حافظ - يسخرون من الشعر الحديث فألفوا قصيدة تقول:

«حببيتني

عيناك بلغتان

عيناك كجزء من مخاولينا العميق

وحيث سرت تحت سور الداخلية العريض
حبيبي
قررت أن أبيض.

و واضح انهم كانوا يشنعون، (بتعبير صلاح عيسى) على شعر صلاح عبد الصبور
وأحمد عبد المعطى حجازى، لاسيما شعرهما العاطفى . و يبدو ان صلاح عيسى أراد ان
يؤوض، موقف التشيعى الساخر قليلاً، فقدم كتابه ،بيان مشترك من الزمن، بآيات
عبد الصبور الجميلة:

هذا زمان الحق الضائع
لا يعرف فيه مقتول من قاتله ، ومتن قتله
ورؤس الناس على جثث الحيوانات
ورؤس الحيوانات على جثث الناس
فتشعس رأسك
فتشعس رأسك.

يا صلاح عيسى، أيها المقريزى الذى يسكن فى شارع عرابى، يا صاحب المشاغبات،
أيها الساحر المر، عش ألف عام ■

المؤخ برؤى المفكّر

د. عاصم الدسوقي

إن مصلاح عيسى دوراً لا ينكر في باب التاريخ، فبانتاجه له مغزاً، فهو ليس
باحثًا ق忝د، يا في سلسلة التاريخ إذ أن له تحليلات مهمة وجملًا ممتازة جداً
تساعد القارئ على فهم مختلف القضايا التاريخية.

إن بحثه المهم عن مصطفى كامل يحمل جملًا تمثل رؤية مفكر أكثر من رؤية باحث متدين تقليدي.

وأن كثيراً من الباحثين يعرفون قدره ربما بارشاد من أساقذتهم يرجعون لكتاباته، وكذلك فإن كتاب «البرجوازية المصرية وأسلوب المفاوضة»، كتاب مهم جداً، كما أنه تعمق في حرب ١٩٧٣، وله جملة أذكرها، وربما قرأتها عن الأهالى «إن الحرب تمت بالسلاح السوفييتى والتسوية تمت أمريكية».

٦ ساعد في تحصيل كلمات المؤرخين حول صلاح عيسى الزميلة: نيرمين عبد النعم

التاريخ روایة مشوقة

د. سيد العشماوى

صلاح حميسى من جيل يعى على الأصابع، وقفوا بالمرصاد للشكل التقليدى السردى للواقع والتدوين والذى يفتقد الروح والحس.

وقفوا لمدرسة الجمود التاريخى التى لم تدرك مدى أهمية الوعى فى تنوير الأذهان وفي تأكيد قيم الانتماء من خلال دوره فى الفاعلية الاجتماعية - الإنسانية. وعى يومى يجعله يتابع ما يحدث فى البلاد ويعبر عنه فيما ينشره على صفحات الجرائد والمجلات وما يصدر من كتب، ووعى نظرى يتامل ويفسر ما يحدث اعتمادا على المنهجية الفلسفية وتأثيراً شديداً بـ **المادية التاريخية** التى اعتبرها هادياً فى عملية المعرفة التاريخية.

إن تجارب اعتقاده المستمرة فى الستينيات والسبعينيات قد أضافت الكثير إلى تعميق هذه الرؤية فى النظر الشاملة إلى التاريخ المصرى الحديث منذ العصر المملوکى حتى الآن، فقد كتب صلاح كتابات وطنية عن (طومانباى وموقعة الريدانية) كما كتب عن الثورة العربية، وصولاً إلى «ريا وسكينة».

وهو كغيره من القلائل الذين وقفوا منذ فترة طويلة مع الارتباط الدائم فى الكتابة التاريخية بين التاريخ والعلم والتاريخ والفن، بين الماضي والحاضر، ونموذج على ذلك: **هوماش المقريزى** . وهى نظرة خلدونية كانت ترى أن التاريخ «فن عزيز المذهب» جم الفوائد، شريف الغاية، كما بينت أن التاريخ «فن باطننه فنون وتحقيق، وتعليق للكائنات

ومبادئها دقيق، وعلم بكيفيات الواقع وأسبابها عميق، هو لذلك أصليل في الحكمة عريق..

لذا صلاح عيسى إلى أسلوب الكتابة الفنية وعنصر التشوقي، الفكاهات، النكات، الهتافات، الحكايات والنواذر وبعث الحس الجمالي، والتعمق في الخبرة الذاتية الجزئية للأشخاص التي لها حساسية خاصة. وهنا يكمن الفرق بين المؤرخ التقليدي والمؤرخ الفنان، فالمؤرخ التقليدي يعطينا من التاريخ كما هائلاً من الواقع وعظاماً يابسة، أما المؤرخ الفنان الأديب فيعتمد على الخيال من خلال بعث وقائع تاريخية دالة موحية، بها دفع الحياة الإنسانية الاجتماعية، وتصوير الجو النفسي، وإضفاء الجديد في عمق المعنى والوجودان في لغة سهلة بسيطة غير مقعرة. نظرة فنية تمكن الكاتب من الوصول إلى لب الحقيقة، فصلاح عيسى من سلسلة يمكن أن يطلق عليها، أديب المؤرخين ومؤرخ الأدباء..

وعلى الرغم من ظروف حصار آخر السبعينيات أصدر صلاح عيسى مع آخرين مجلة «الثقافة الوطنية»، نحو عصر تنويري جديد، وأطلق صيحته «أتنا لسنَا تنويريين فحسب»، ولكننا تنويريون جدد، نقبل الحوار ونسعى إليه ونشجعه لفهم واقعنا في سهولة، بعيداً عن السطحية التي لا ترى الواقع بالنفاذ إلى جذوره، وبعيداً عن الجزئية التي لا تربط بين كل الظواهر في آنيتها كما تربط بينها في منتها، وبعيداً عن التعصب الذي يقدس ما لا يقدس..».

لصلاح عيسى إصدارات مهمة، ففي السبعينيات كان ينشر في الجمهورية زاوية «هواشي، أيام ضاء المقرizi، ومضات تاريخية قصيرة، مركزة، مكتفة تبرق بسرعة ولكنها لا تنتطفئ قبل أن تخنق عقل من يقرأها بوعي، بكل ذلالات عصرها، ومما نشهوه من هواشي المقرizi، على سبيل المثال الهجوم على بعض المؤرخين الذين غيروا مواقفهم في السبعينيات وشنوا هجوماً على الناصرية.

وعندما ترأس تحرير سلسلة «كتاب الأهالى»، أخرج عدة كتب منها «ثقافة الهدم والبناء»، «يوميات دبلوماسي في بلاد العرب»، وـ«حقبة غامضة من التاريخ المصرى».. كما أصدر «مثقفون وعسكرون»، وفيه مراجعات، تجارت وشهادات عن حالة المثقفين في ظل حكم عبد الناصر والسداد، أهمها مجموعة حوارات مع محمد حسين هيكل.. كما أصدر كتاب «حكايات من دفتر الوطن»، والحكايات ليست من صنع الخيال، بل تاريخ يخضع لكل شروط حرفة التاريخ. والله غير ذلك الكثير ■

مُلْك

المؤرخ الأديب

د. محمد عفيفي

أنا أرفض فكرة وجود مؤرخ هاو ومؤرخ محترف، وأرفض من يقول إن صلاح عيسى مؤرخ هاو.

صلاح عيسى مؤرخ حدل طريقة إلى الصحافة ، وكتاباته التاريخية حتى الآن ما زالت مؤشرة، وأشارت لعجباني منذ أول كتاب قرأته عن «الثورة العرابية»، وحتى كتابه عن «البرجوازية المصرية وأسلوب المفاوضة»، وحتى آخر عمل له «ريا وسكينة»، وغيرها.

يتميز صلاح عيسى بقدرة لا نجد لها عند مؤرخين كثيرين في اختياراته بالنسبة للتاريخ الاجتماعي. وإن سر الإبداع التاريخي عنده هو ثقافته الواسعة، فهو يملك الحسن التاريخي، وهو أيضاً أديب له كتابات أدبية كثيرة. ثم أعطت له الصحافة قدرة على اختيار عنوانين جذابة فضلاً عن الكتابة بشكل سلس، وهذا الأمر بعيد عن مؤرخين كثيرين، إضافة إلى اهتماماته السياسية التي جعلته قادراً على إخراج إبداع تاريخي للناس وعن الناس ■

مدى أكثر في الحركة

د. زبيدة عطا

إن كتاباته جيدة، فمن يعمل بالصحافة يكون له تأثير مختلف، حيث الإثارة وجذب القارئ.

إن هناك فرقاً بين المؤرخ الأكاديمي والمؤرخ الصحفي، فالاكاديمي مرتبط بالنص أكثر أما المؤرخ الصحفي فله مدى أكثر في الحركة، فالخبر يجب أن يكون فيه شد للقارئ ونوع من الجذب والإثارة . ولصلاح عيسى دور لا يمكن أن يغفل في مجال الكتابة التاريخية ■

كل سنة وأنت طيب يا جميل

أمينة النشاش

«أزيك يا جميل»... تلك هي التحية التي اعتاد «صلاح عيسى» أن ينادي بها في كل الأوقات.

في البداية كنت أظن أنه يخصنى بهذا النداء، حتى تبين لي قبل سنوات أن كل من حوله «جميل»، وأن الجمال بأوسع معاناته، هو جزء أساس من تفاعله الحى مع الحياة. جمال العقل، وجمال النفس وجمال الروح وجمال المسعى والهدفه تلك هي المداخل التي تجذب «صلاح عيسى» إلى الآخرين، هؤلاء الذين لا يكف أبداً عن التنقيب في فضائلهم، منهمما تباينت الدروب واختلفت المواقف أو المراتب، ومنهمما التبس الأحوال وقبعت المشاعر، ومنهمما اشتدت المعارك، حتى لو تطاير بعض رذاذها ليصبه بالقذى.

أسرتني دوماً قدرته الفذة على تلمس فضائل الخصوم، قبل إحساء عيوبهم، ولعل ذلك يرجع إلى الشدة التي اعتاد أن يأخذ بها حياته، لقد عكف «صلاح عيسى» طويلاً على مشاعره الأولية فهذبها، وأخضعها لهيمنة عقلية واعية، تفرق بين الحق والباطل، وبين السمين والغث وبين السمو والصغرى، وبين الجمال والقبح وبين الصدق والإدعاء، وبين الحنو والتتوخش، ساعده على ذلك ضمير حى يقظ، واستقامة فريدة في السلوك الشخصى، كانت دائماً عصية على الانكسار، وقادعة ثقافية عريضة متعددة المشارب، وغنية بالتجارب و مليئة بالعبر، فتحت أمامه آفاقاً واسعة للتأمل، والمراجعة واستلهام

الدروس، وعقد المقارنات، وهو ما منحه القدرة دوماً على تجاوز مظاهر الأشياء، والتفاد إلى جوهرها وروحها، وبناءً موافقه طبقاً لذلك، وهو ما يقتضي عدم ترك مشاعره رهناً للتوتر أو غضب أو نزق أو ألم أو رغبة في ثار أو انتقام، أو شهوة تحقيق نصر زائفٍ.
ويرغم أنه مؤرخ، وكُون نفسه كباحث ودارس متخصص في التاريخ، شغف "صلاح عيسى" بالعمل الصحفي، وملك، عليه معظم وقته واهتماماته، وتبقى أسعد أوقاته، حين يهل حاملاً سلة من الصحف والمجلات ويعرف بفرح طفولي للمقارنة بين أفكارها، والوانها وطريقة توضيبها ومانشيتاتها، وكتابها وأحجامها والأحرف التي تكتب بها، لدرجة يحقق معها القول أنه مسكون بالصحافة. طالما راودنى خوف أن يدفع هذا الشغف، باهتماماته البحثية والتاريخية إلى الذيل، لكن مسيرته الثقافية التي امتدت لأكثر منأربعين عاماً، وتجولت بين التاريخ السياسي والاجتماعي والإبداع الأدبي والثقافي والفنى والفكري، راكمت نحو ١٩ كتاباً ومثلها تحت الطبع، وقدمت لى ولغيري أدلة قاطعة، على أن هذا الولع بالصحافة هو جزء موصول بحبه للتاريخ الذي يجد فيه دوماً إجابات على أسئلة الحاضر، ساعده على الربط المتقن بين الظواهر، والتوصيل إلى استخلاصات، تقود دائماً قارئه إلى الدهشة وإلى حيث لا يتوقع. ولعله هو الذي منح لغته تفردتها وخصوصيتها، حيث كان وبظل واحداً من همومه المعرفية البحث عن المفردات ومعانى الكلمات، والتدقيق في استعمالها، كأنه ينحت تمثالاً أو يصك حلية ثمينة، وهو ما مكنه من قول أعمق الأفكار بأبسط المطرق، وجعل تواصله مع الناس عبر ما يكتبه وما يفعل، وما يقول أكثر اتساعاً وامتداداً.

صاغت تركيبته الشخصية، التي تتسم بالخجل والحياء والبساطة والتواضع مسار سلوكه الشخصي والعام، وطبعت تصرفاته بشكل، ربما جلب له بعض المشاكل. فحين يبادره أحد بثناء على مقالة أو دراسة أو كتاب جديد له أو فكرة في إطلالة تليفزيونية، لا يلبث من فرط خجله، أن يغير الموضوع، وهو ما قد يظننه البعض تعاليه وعدم اهتمام، بينما في الواقع، هو واحد من الآليات التي أتقنها لغالبية حياته. ربما يكون لجوؤه إلى السخرية في الكتابة والحياة هو آلية أخرى في مسار المواجهة، فالسخرية فضلاً عن جاذبيتها الإنسانية، تخمس ولا تجرح، وتمكر وترأوغ، لكنها تقول كل شيء بأقصر المطرق وأكثرها بعثاً على المسرة. لذلك فرق، طه حسين، بين السخرية المجانية، وما اسماه السخرية، العضاضة، التي وصفها بأنها تعبّر عن نقد حريض، بوسعيه أن يغنى المياق بضربيه قلم واحدة. وبكلمة واحدة ساخرة من "صلاح عيسى"، يحتوى موقفاً، ويكشف دمعاً، ويطوق غضباً، ويغائب خجلاً، وفي نفس الوقت يمنع الفرصة لتأمل الفكرة بدلاً



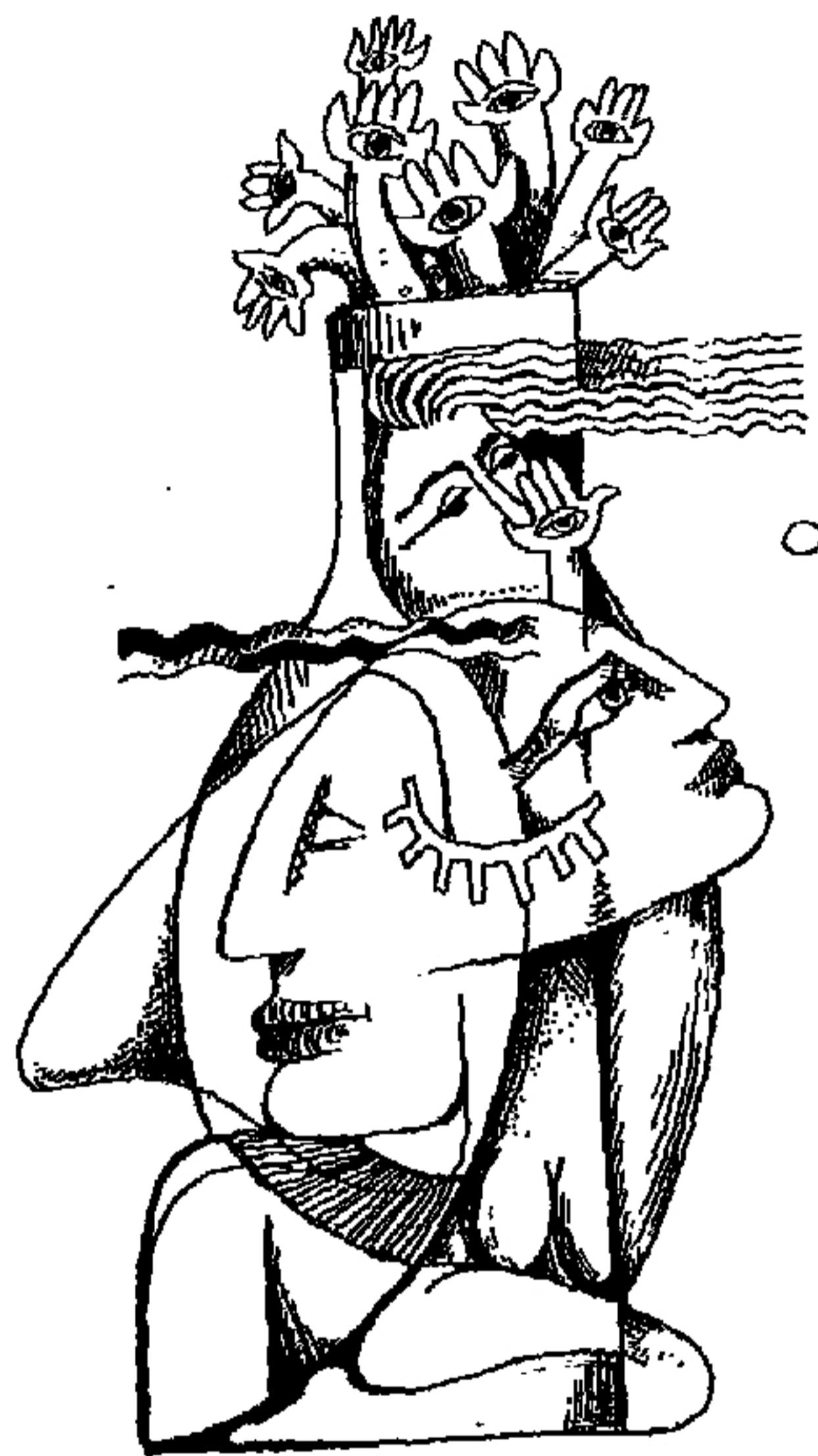
من رفضها.

خاصم "صلاح عيسى" الشالية، سياسية كانت أو ثقافية، ونفر منها، لذلك قاطع مجالس التنمية والشرارة المضجرة، وأمتلك حذرا دائمًا من تصنيفاتها الجاهزة للبشر، وبذل مجهوداً مضنياً لكي يتثبت من أن تلك التصنيفات خالية من التلفيقات والافتراءات، وأنها ليست تشنجاً أو تصفية حسابات أو فهشاً غير مسئول في الآخرين، تاركاً معيار حكمه عليهم لتجريته الذاتية وفطرته السليمة. ربما عزز هذا المسالك يقينه، بأن كل فكرة حقيقة، لا يمكن طمسها بمجرد تجاهلها، أو تشويهها وتمتعه بحسن أخلاقي يقيم الناس بما يفعلون لا بما يروج ويقال عنهم، مردداً قوله الخالدة : لا يصح في النهاية إلا الصحيح.

في سياق القسوة والشدة التي أخذ بها حياته، قاطع "صلاح" الحياة الاجتماعية، بشكل شبه تام، كنت في البداية أغضب والوم، وصرت فيما بعد أصفح والتمس الأعذار، لأنه لم يعرف أبداً وقتاً للفراغ.. في السجن يقرأ ويكتب ويؤلف الكتب ويرى القطط، وفي لحظات الراحة بين عمل وعمل يرفع أصابعه في الفراغ ليكتب بقلم متخيّل كلمات متخيّلة ليشغل بها ذهنه ويتدرّب على كتابتها خشية نسيانها، قبل أن ينقلها بشكل فعلى إلى الورق، أليس أفلاطون هو من قال إن عقول الناس في أقلامهم؟

لا وقت لديه للفراغ، الفراغ آفة للخواء وللتدهور، فأيقونته التي اضاعت له كل الدروب المظلمة هي العمل في أي ظرف وأي وقت، فهو يكدر ويشقى ويعانى طوال الوقت من أجل إتقانه، وبالعمل واجه كل ألوان الكوارث والمظالم والعنف، وتصدى لكل أشكال التجنّي والافتراء التي لاحقته مجرد أنه يتحلى بشجاعة إلا يقبل بالسلمات الشائعة، وأن يجتهد لينصب عن أفكار لم يألفها أحد، وأن يعيد اكتشاف ظواهر لم يلتقطت إليها غيره لانشغاله العميق واليومي بالشأن العام، وكان من الطبيعي والزمن يخلى الطريق من الكفاءة والموهبة، ويفسحه لثقافة الشطارة والروشنة والفالهولة أن تصوب نحوه سهام تلك الثقافة الهشة التي لا تتمكث في الأرض، لكن ذلك لم يدفعه أبداً إلى استخدام مواهبه ومهاراته المتنوعة، إلا للدفاع عن مصالح عامة، ولم يستدرجه في أي حالة للمعارك الهوائية التي تشيرها، ولم يمنعه من قول ما يؤمن أنه حقيقة، انطلاقاً من مبدأ راسخ لديه، أن العزوف عن قول الحقيقة، هو تماماً كالمساهمة في إغفالها.

آمن "صلاح عيسى" أن العنااء والمشقة من إن أجل التحصيل المعرفي، متعة إنسانية لا تضاهيها أي متعة، فروحه مملوقة بتوق دائم إلى المعرفة، فإذا بحثت عنه ولم تجده، فسوف تنجح في العثور عليه، خلف كومة من الصحف القديمة في دار الكتب والوثائق،



أو في مكتبة يقارن فيها بين أنواع الأقلام، والورق، والأحبار، أو خلف مكتب في بيته يخفيه عن الأنظار هرم من الكتب والمراجع والصحف، وكلما أشفقت عليه من الإجهاد الذي يدفعه أحياناً إلى مواصلة الليل بالنهار لإنجاز مقالة أو إنعام فحصل في كتابه أو الوهام بعهد لعمل معاصرة أو دراسة يخفف من جزعه وهو يضحك قائلًا: إن الجنة سوف تكون أيضاً تحت أقدام من يشقون من أجل المعرفة ■

ملخص:

سبعون صلاح عيسى

تجليات المقتريزي

عبيد عبد الحليم

صبر رحلته الصحافية التي تمتلئ لأكثر من أربعين عاماً استطاع صلاح عيسى أن يقدم نموذجاً متميزاً للكاتب الصحفي صاحب القضية والرأي من خلال ثقافة عميقه وأسلوب فريد صنع جسراً من التلاقي بينه وبين القراء من مختلف الأجيال.

اسلوب تميز بالحفر بالقرب من جذور الشخصية المصرية، والنبش في المسکوت عنه تاريخياً وسياسياً وثقافياً، فامتدت مساحة الكتابة واتسعت رقعتها لتضم فيما تضم التحليل السياسي والنقد الاجتماعي والنقد الثقافي والتاريخ، بالإضافة إلى الكتابة الإبداعية والتي أظن أنها كانت المنطلق الأول الذي انطلق من خالله عيسى، إلى المجالات الأخرى، وقد قدم في هذا المجال مجموعة قصصية ورواية.

ومنذ كتابه الأول «الثورة العربية»، والذي صدر عام ١٩٧٢ قدم صلاح عيسى نموذجاً للباحث في التاريخ المصري، فلم يقدم التاريخ - كمجرد أحداث وشخصيات وتاريخ - بل استعرض الحالة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية وتفاصيل الأحداث وأبعاد الشخصيات وهذا ما يمكن أن أسميه بـ«التاريخ الحى»، فهو ليست تواريخ عابرة بل حياة كاملة، كما أنها يراها القارئ من لحم ودم.

ورغم أن شخصية المؤرخ تتواءز مع ،شطارة المصحفي، في شخصية ،صلاح عيسى، إلا أنه من أكثر المهتمين بالتاريخ الاجتماعي - وأظن أن للصحافة دوراً مهماً في انجياده لهذا النوع المهم من التاريخ -، فقدم لنا دراسات اتسمت بالرصد والتحليل والجسارة والنبيش، كذلك في المسكون عنه أو بمعنى أدق في الحقائق الغائبة التي لا يلتفت إليها المؤرخون الرسميون، أو ما يمكن أن نسميه بـ ،التاريخ الهامشي للوطن، ، أو ما أسماه ،صلاح عيسى، بـ ،حكايات من دفتر الوطن، والتي قدم للمكتبة العربية منها حتى الآن - عدة أجزاء لعل أشهرها كتاب ، رجال ريا وسكينة، - والذي تحول إلى مسلسل تلفزيوني شهير - قام ببطولته عبلة كامل وسمية الخشاب وسامي العدل ورياض الخولي، ويروى الكتاب قصة شهر جريمة وقعت في مصر خلال النصف الأول من القرن العشرين وهي ،قصة ريا وسكينة، ابنتا همام والمتان روعتا الشارع المصري، إلى أن تم القبض عليهما وتم الحكم عليهم بالإعدام عام ١٩٢٠، ولم يقدم ،عيسى، القصة في سياق تاريخي جاف إنما استفاد من تقنيات السرد الروائي والحكائي، مقدماً تفسيرات لظهور تلك الظاهرة، التي ارتبطت بظهور موجة من العنف الجنائي والسياسي والتي شهدتها مصر في أعقاب الحرب العالمية الأولى عبر دراسته لجملة الظروف السياسية والاجتماعية والاقتصادية التي أفرزت تلك الظاهرة وأحاطت بها، كاشفاً طبيعة الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التي عاشتها مصر في بدايات القرن العشرين، وكيف أسهمت ظروف الفقر والقهر والجهل في تشكيل شخصية رجال ريا وسكينة بدرجة أو بأخرى، رغم ما لديهم من استعداد، وشاعة ما ارتكبوه من جرائم وشرور استحقوا بهم مصيرهم المحظوم.

وينفس القدر من البحث والدأب جاءت دراسته المهمة ،أفيون وبنادق، والتي قدم من خلالها سيرة ،محمد محمود منصور، الشهير بـ ،خط الصعيد، فقدم إحدى الفتوافر الإجرامية التي شغلت الرأي العام لسنوات طويلة، فراح يبحث في ملف القضية مستعرضاً الملابسات التاريخية والاجتماعية التي أفرزت الظاهرة وحوّلتها من محيطها الاجتماعي إلى أسطورة قنالها الناس على امتداد رقعة الوطن.

بالإضافة إلى ذلك جاءت كتبه ،هوامش المقريري، ورجال مرج دابق، والبرجاوية المصرية وأسلوب المفاوضة، ومتقرون وعسكر، - والتي أرآه واحداً من أهم الكتب التي صدرت في النصف الثاني من القرن العشرين في مصر - بما يتضمنه من مقالات في التحليل السياسي والاجتماعي والثقافي خاصة عن فترة الستينيات والسبعينيات ظهر

في تلك الفترة من المثقفين.

وصولاً إلى كتابه عن أحمد فؤاد نجم، شاعر تكثير الرأي العام، والذي تضمن التحقيقات مع نجم، وقصة اعتقاله.

وكتابه، البرنسية والأفندي، وكلها تدخل في منطقة خاصة هي التي ميزت البعد التاريخي في شخصية صلاح عيسى وهو أنه يهتم بالشخص الذي يكتب عنه، إيماناً منه بأن الأشخاص هم الذين يصنعون التاريخ مثلما يصنعون التاريخ.

(٢)

هنا محاولة للاقتراب من صلاح عيسى الإنسان والمثقف والمؤرخ

•• ماذا عن النشأة والتكوين وتأثيرهما على حياة صلاح عيسى؟

- انتهى إلى الجيل الذي ولد على مشارف الحرب العالمية الثانية، وفي تقديرى أن هذا الجيل تعرض لتأثيرات ربما تكون مختلفة نسبياً عن الأجيال السابقة واللاحقة من المثقفين المصريين.

ولدت فى ٤ أكتوبر ١٩٣٩ بقرية تنتمى إلى محافظة الدقهلية اسمها بشلا، وهن قرية فرعونية قديمة، بها تركيبة مختلفة عن القرى المصرية لأنها تجمع بين الطابع الريفي والطابع المدنى، الجزء الأكبر من سكانها كان يعمل بالحرف والجزء الأقل بالزراعة.

انتهى إلى أسرة من البرجوازية المتوسطة حيث كانت تعمل بالمقاولات، وقد تلقيت تعليمى الأول بالقرية وعمري تسعة سنوات، انتقلت للقاهرة في خريف ١٩٤٨، طفت مدارس مختلفة من حيث التركيبة الاجتماعية من، المبتديان الابتدائية، إلى «قصر الدوبار» إلى «الخدوية»، إلى «الخدوي» إسماعيل».

أسرتي كانت مهتمة بالعمل العام، بالإضافة إلى طابعها المدنى، كان فيها أعضاء بالإخوان المسلمين وأخرون وفديون وأخرون أعضاء في حركة مصر الفتاة، أمى كانت سيدة أممية ولكنها كانت تحتفظ كشأن كل النساء في الريف المصرى آنذاك بتراث واسع من الحكم الفطرية ابتداء من المأويل والحكايات الشعبية، كانت سيدة حصيرة تتحمل، ووالدى كان ابن المدينة شخصية مفتحة واسعة الأفق.

وسط هذا المناخ بدأت أهتم بالعمل العام.

وأدين إلى أبي وأمى بالاهتمام بفكرة الثقافة الشعبية وبالسياسة أيضاً، فبيتنا كان مليئاً بتشكيله من الصحف - وهذا ما خلق في فكرة التمرد من البداية.

٤٠ • ربما كان ذلك أحد الأسباب لظهور الوعي السياسي المبكر لديك؟

- هذا صحيح، فوعي السياسي تكون مبكراً، فأهلي توسع حين قدمت إلى المدينة كانت حرب فلسطين في أواخرها، كنت في مرحلة الثانوية القديمة كنت في مدارس تقيم إضرابات كل مدرسة بها زعيم من الطلبة، ووصل في ١٩٥٢، بالهاتف ضد الملك شاروق، كما شهدت عن قرب حريق القاهرة وكانت أحد المشاركين في المظاهرات التي انتهت بالحريق لكنني لم أمارس إشعال النيران، لكن الجانب الذي وجه اهتمامي إلى هذا الشخص اهتمامي بالقراءة مبكراً، وقد بدأت بقراءة القصص البوليسية، أرسين لوبين، وشارلوك هولمز، وأذكر أن أبي قال لي، ماهذه التفاهة التي تقرأها، حيث كان عنده قناعة أن الأفضل هو قراءة طه حسين، وبدأ يفتح أمامي المجال للقراءة الأدبية حيث بدأ يشتري لي الكتب للأسماء اللامعة، وكانت أدخل مصروفى لاشتري ما أريد وإن زاد ثمنه كنت أكتب ورقة وأعلقها حيث كنت أقام مبكراً فاجده في الصباح تاركاً لي ثمن الكتاب.

حب المغامرة

ربما حبك لقراءة الروايات البوليسية جعلك تباشر التاريخ في كتابة تقترب أحياناً من هذا العالم خاصة في كتبك عن «ريا سكينة»، و«خط الصعيد»، و«البرنسية والأفندي»، وغيرها وهي عن حوادث تاريخية حقيقة؟

- أولاً القصص البوليسية فيها ميزة مهمة وهي عنصر التشويق، بعض النقاد اعتبر اللص والكلاب، لنجيب محفوظ رواية بوليسية، هي نوع من تحويل الكتابة إلى أدوات الجذب، هذا الشكل مختلف عن استخدامها لمجرد الإثارة.

بعد ذلك بدأت القراءات تتسع خاصة في التاريخ، وأدين أولاً لأحمد بهاء الدين بعد أن قرأت كتابه المهم « أيام لها تاريخ »، وقد كنت أكره قبل ذلك التاريخ بشدة وقد ذكرت ذلك في مقدمة كتاب « حكايات من دفتر الوطن »، عندما قرأت كتاب « أحمد بهاء الدين »، اكتشفت أن هناك حوادث قد تكون هامشية وليس لها أهمية وقيمة ولكنها تصب في الظاهرة التاريخية.

نوع الكتابة التي كان يكتبها « بهاء الدين »، وحبيب جماتي قادنى إلى جورج زيدان وجعلنى أذهب للمصادر الأساسية للتاريخ واهتم بها ثم أحاول الكتابة فيها بمنهج اعتقد أنه مختلف من خلال مدرسة كانت جديدة في ذلك الحين وهي « المدرسة

التاريخ الاجتماعي

•• أنت من المؤرخين الذين يعتمدون على تحليل الشخصية أكثر من تحليل الحدث فنجد ذلك بداية من كتابك «الثورة العربية»، وما تلاه من كتب خاصة وأن هذا الكتاب جاء في فترة قاسية وصعبة حيث صدر عام ١٩٧٢، هل يمكن أن نقول أنه كان محاولة لاستعادة الوعي بالتاريخ المصري؟

- الثورة العربية كان هي أصله ١٢ مقالاً نشرت في الملحق الأدبي لجريدة المساء الذي كان يشرف عليه زميلنا وصديقنا عبد الفتاح الجمل، وقد تعرض جيلنا لهزات عنيفة بعد هزيمة ٦٧، وردود أفعالجيلنا تنوّعت هناك من تعرضوا لهزات نفسية، وهناك من هرب، وهناك من صنع أدباء مقاوماً، في تلك الفترة رأيت أن إنقاذه من هذه الحالة هو فراغة التاريخ المصري المعاصر، وكتبت هذه الدراسة وكان عنوانها الأصلي «الثورة العربية الدستور وجيش الفلاحين»، وكانت تقدم الظاهرة الثورية بشكلها المتكامل في ذلك الحين على الصعيد الدولي، والمحلى، وكان بها فصلان مهمان حول «التيارات الفكرية»، في ذلك الوقت، وموقف الثورة من تشكيل الجبهة الوطنية.

وأنا مع طارق البشري في قوله: «إن اختيار المؤرخ لموضوع ما ليس يكتب فيه في زمن ما ليس بعيد عن القضايا التي يطرحها ذلك الزمان سواء وعن ذلك أو لم يبعده».

وفي مقدمة الكتاب أشرت إلى أنني بذلت مجهوداً كبيراً حتى بعد آثار نكسة ٦٧ عن نفسى وأنا أكتب، كي لا يختل في يدي ميزان الحياد العلمي المطلوب للتاريخ للظاهرة التاريخية.

بعد ذلك دخلت السجن عام ١٩٦٨ وبعد فترة جاءتني رسالة، ففهمت فيها أننى سأظل في السجن لفترة طويلة، وكان جو السجن بدا يتسع كجزء من آثار النكسة، وهذا مكنتى من أن أبعث لطلب مراجع الثورة العربية كاملة، ولمدة عامين أو أكثر بدأت أكتب وأقرأ الفصول على زملائى فى المعتقل إلى أن انجزت المشروع.

في هذه المرحلة نشأت فكرة، حكايات من دفتر الوطن، لأنه على نحو ما فإن الجيل الذى نشأ فى ظل ثورة ٢٣ يوليو جيل يكاد يكون ممسوح الذاكرة الوطنية، فكانت الفكرة الأساسية أننى كنت شغوفاً بالصحافة فى التواصى مع مساحة أكبر من القراءة كنت أريد من مشروع «حكايات من دفتر الوطن»، أن يأخذ ظاهرة تبدو هامشية تماماً، لكن

هي في نفسها تتركز فيها قوانين حركة التاريخ لتلك المرحلة.
ووُضعت تحطيطاً لهذه المشروعات وقلت أنسى سأعتمد على الدراما الطبيعية في
حوادث التاريخ، وأعيد تخليلها هي أسلوب أدبي يعتمد على الحكاية والتشويق.
فتتحولت بعض الفصول إلى كتب ضخمة كانت تلتفت ظاهرة هائلية، قد تكون قصة
حب أو جريمة أو محاكمة قضائية بتهمة الاتجار بالرقيق بعد إلغاء الرقيق في مصر
الآن فأكتب هذه الفصول.

كل ما كان في ذهني وقتها هو رؤية تحررية تتضمن انحيازاً كاملاً للحرية
والديموقراطية، أكتشف هذه الأشياء لأن، ربما لم تكن واضحة في وقتها بالشكل
الكافى.

الجانب الآخر أن يكون بها قدر من الجاذبية من ناحية العمل، وهو عمل أكاديمي
تماماً يعتمد على الدراما الطبيعية في التاريخ، وليس فيه حرف واحد أو جملة حوار
لم ترد في مرجع أساسى.

وأسعدنى أن هذه المقالات قد لاقت اهتماماً من القراء،
والمترجم، رجاء النقاش، قد تهممنا للمشروع وطلب مني أن أنشره في «مجلة الإذاعة
والتليفزيون» حين كان رئيساً لتحريرها.

وهو أول من لفت الإذاعة والتليفزيون لأهمية أن تتحول تلك الفصول إلى أعمال
درامية، إلا أن ذلك لم يتحقق إلا بعد فترة طويلة.

«ريا وسكينة»، مثلاً حققت جماهيرية كبيرة عند عرضها في مسلسل
التليفزيونى، فما المانع من تحويل باقى الأعمال إلى دراما؟
ـ المانع أن البعض كان يريد مسح الذاكرة الوطنية، لكن هذه المدرسة بدأت تتحرر
ببطء، حين أكتشف المنتجون، أن هذه الأعمال تحقق نوعاً من الجاذبية، ودائماً كنت
أقول إن هناك شيئاً غريباً في المزاج المصرى أن الذائق تكون مفتونة بتراث الموسيقى
العربية، لكنها تحب سماع الأجيال التالية.

وفي الدراما بدأت تتحرر الدراما من حساسيات رقابية معينة، وجاءت الظروف
وتوجهت، وبذلت هذه الأشكال تأخذ مجالها ووصلتني وإن جاءت متأخرة.

«كانت كتابة التاريخ حكراً على الأكاديميين، وفي جيilk ظهر ثلاثة من
خارج تلك المدرسة وهم د. رفعت السعيد وطارق البشري، وأنت؟ فما الفرق بين

المدرستين كما تراها؟

- مدرسة التاريخ بشكل عصري وحديث بدأت خارج الجامعة ، بدأت بأعمال جورج زيدان، وأحمد حافظ، عوض في كتابة بوتايرت في مصر ، وعبد الرحمن الراafعى، وهو محامى وليس مؤرخاً بدأ منذ عام ١٩٢٩ .

الإنجاز الأساسي للأساليب التاريخية بشكل حديث كان خارج الجامعة .، ولم ينشأ أصلاً قسم التاريخ في الجامعة المصرية إلا بعد ذلك وقد أسس هذا القسم استاذنا محمد شفيق غريال وله كتابات قصيرة جداً، الإشكالية في هذا الموضوع تكمن في مناهج التاريخ نفسه، اعتقد أنني ود. رفعت السعيد، ود. عاصم الدسوقي، ود. عبد الخالق لاشين وغيرها وأساتذتنا رشدي صالح ود. فؤاد مرسي المدرسة التي حاولت ان تطبق المنهج الاشتراكي على تفسير الظواهر التاريخية، وكان فيها طارق البشري في أعماله الأولى قبل أن يتوجه إلى منهج مختلف ويترافق عند أفكاره.

من ناحية الأسلوب نشأت مدرسة الهواة التي تضم الراafعى وأحمد شفيق لكن حصل انهيار في المدرستين ، في المدرسة الأكاديمية بروزت أسماء لامعة ومؤثرة خصوصاً تلاميذه د. محمد أنيس ، وسعيد عبد الفتاح عاشور، وتلاميذه ، وحسن إبراهيم حسن وتلاميذه في التاريخ الإسلامي، مدارس عظيمة جداً خاصة في تحقيق التراث والمخطوطات. أما مدرسة الهواة فشهدت مؤرخين احتفظوا بمستوى رفيع في البحث التاريخي. لكن للاسف دخل في هذه المدرسة مجموعة من الصحفيين الذين بدأ يكتبون ما يسمى به «التاريخ الإعلامي»، القائم على «قصقة» المعلومات.

الأدب والسياسة

•• البعض يرى أنه كان من الممكن أن يكون لك مستقبل أكبر في القصة والرواية خاصة بعد صدور مجموعتك القصصية ومن بعدها الرواية، هل لعملك الصحفي تأثير في تركك الكتابة الإبداعية أم التأثير الأكبر كان للعمل السياسي؟

- الأغلب الأعم شخصية السياسي، حيث كنت مسؤولاً في أحد التنظيمات الشيوعية الموجودة في ذلك الحين، وكان هذا التنظيم يضم عدداً من المبدعين المقتدرلين في مجالات مختلفة، أنا بدأت حياتي كاتباً للقصة، وكانت في البداية أكتب الشعر لكنني صارت نفسي بآنني لا أصلح للشعر.

وقطعت كثيراً من قصصي لكنني لم أكتشف خطئي (لا بعد ذلك) المجموعة القصصية

والرواية تمت كتابتها أثناء اعتقالى فى الفترة ما بين ١٩٦٢ - ١٩٧١ ، والتجربة كانت تلح على، وستجد فيها فكرة كانت تراود جيلنا كله وهى الحرية، الفكرة الجوهرية التي كانت عندي أنتى ضد أي محاولة أو أي ظروف لإكراه الإنسان أن يعتقد ما لا يستريح له.

•• ولكن رغم وجود تقنيات مختلفة في السرد داخل الرواية والمجموعة القصصية إلا أنها نجد أن عنوانها أقرب إلى عنوان المقالات السياسية والتاريخية حيث غابت شخصية المؤرخ على شخصية السارد في اختيار العنوانين؟

- حدث تداخل ، فاهتمامي بكتابه القصة مؤثر جداً في مشروع ، حكايات من دفتر الوطن ، وستجد في النهاية أن الفورم الذي أقدم من خلاله التاريخ هو دراما تفاصيل الحدث . ولذلك من كتبوا سيناريوهات عن أعمال قالوا لي ، أنت كاتب مريح جداً لأنني أدرك أن الكتابة والفن هي التفاصيل ، وفي التاريخ هي تفاصيل الحقيقة وأذكر أن الراحل يوسف إدريس حين نشرت المقالات التي جمعتها بعد ذلك في كتاب ، تواريχ جريج ، كان رأيه أن هذه المقالات هي قصص قصيرة ، وقال لي أنه من الممكن وضعها في إطار ما سمي به المقال القصصي ..

وأرى أن كل خبراتي الكتابية خدمت المشروع الذي اتحرر فيه.

•• الكتابة الصحفية المتكئة على بعد تاريخي تكون أكثر جذباً للقراءة كيف ترى - مستقبل هذا الجانب من خلال الأجيال الجديدة؟

- رأيي أن الكتابة أدبية وغير أدبية هي فن التفهيم ، والكاتب يختار من يخاطبه ، أما لأسباب تتعلق بدوري كسياسي ، وكاتب أسعى إلى التأثير في أوسع مدى ممكن في النخبة من خلال الكتب ذات الطابع الأكاديمي وكذلك القارئ العام والمتوسط ورجل الشارع ، وحين أكتب مقالاً أضع نفسى مكان القارئ هل سيفهم ما أكتب أم لا .

لكن للأسف نشأ - الأن - جيل من الكتاب الذين يعتمدون على الإثارة ، وهناك البعض الذي يعتمد على الرونق والشكل في الكتابة لكنها خالية من المضمون .

وهناك عدد من الكتاب الشباب في الصحافة في تلك الفترة لكنهم يهدرؤن مواهبهم في كتابة تعتمد على الإثارة والسب وتخليص الشارات ، تفتقد للعمق الكافى لعرض أفكار حقيقية تصل للناس وتعبر عن مصالحهم .



٥٠ هناك عدد من كتبك وكثير من مواقفك جاءت دفاعاً عن حرية الصحافة؟

- اهتمامي بحرية الصحافة جاء كجزء من اهتمامي بفكرة الحرية، حرية الفرد حرية البحث العلمي وحرية العقيدة والديمقراطية السياسية، ولنى رؤية ومعارك خضتها على مدار العمر، وقراءتني في الصحافة المصرية ووثائقها واسعة جداً، لاسيما في أبحاثها التاريخية.

اعتقد أن الصحافة المصرية تتمتع الآن بقدر كبير من الحرية الواسعة التي لم تتمتع بها في أي عهد من العهود.

لكنني أعتقد أننا أمام مشكلتين، أولهما أن هذه الحرية هي حرية عاطفية بمعنى أنها تعتمد على سماحة الحكم وليس على حقوق وقوانين دستورية. ولذلك ما زال الدستور مليئاً بقوانين تقييد الحريات.

المشكلة الثانية: أنه لم يعد الخصم الأساسي لهذه الحرية عناصر من داخل النظام الحكم، ولكن وجود تيارات قوية في المجتمع تكاد تكون هي رأس الرمح خاصة الأصوليين الإسلاميين الذين لديهم مشكلات ضد البحث العلمي والأدب وما زالوا ينظرون إلى ذلك نظرة متخلفة ترجع لعهود ما قبل اكتشاف الطباعة ■

المُنظُور السياسي والديمقراطي مسألة الوحدة الوطنية

صلاح عيسى

من تكرار القول أن تنبأه إلى تأثير كل ما يحدث على الجبهة الداخلية في مصر سلباً أو إيجاباً - على جهة القتال (١) .. وبالتالي على مشكلة الوطن بأكمله.

وعلى الرغم من أن التأثير المتبادل بين الجبهتين مفهوم لنا جميعاً، إلا أن هذا الفهم مازال فهماً نظرياً، بدليل أننا نغفل كثيراً على حجمه الحقيقي، فضلاً عن أننا في مصر نتعامل واقعياً على أن هنالك جبهتين، منفصلتين..

وليس جبهة واحدة ممتدة متصلة يتبعها ان تحكمها قوانين واحدة في التعامل السياسي، ومن البديهي أن هناك طابعاً نوعياً، لكل من الجبهتين، لكن إدراك هذا الطابع ينبغي أن يكون في اتجاه شحنة قدرتنا على التعامل مع كل منهما على حدة في اتجاه الاندماج والتوحد، ومن الخطأ أن يقود منطق الطابع النوعي إلى المفهوم السائد والرائج عندنا الآن - وعلى مختلف المستويات - بأن هنالك جبهتين إحداهما في خدمة الأخرى، ويتم التعامل مع كل واحدة بمنطق مختلف تماماً .. وأحياناً يكون متناقضاً..

وإذا كان علينا أن ننظر إلى الوطن باعتباره وحدة سياسية واحدة، تشغلاها قضية واحدة، فإنه مما يخدم هذه الوحدة ويؤدي إلى المواجهة الأمثل للقضية أن نعني مفهوم الجبهة الواحدة: جبهة سياسية ديمقراطية في الداخل، تعنى بين ما تعنى (تسبيس الجيش، وعسكرة الشعب، وتقوم على إدراك أن الجبهة تكون ديمقراطية حقاً إذ قامت الوحدة من

خلال التنوع.

ويرتبط بهذا الإدراك أيضاً، أن نتعمق في فهم الأبعاد السياسية لأى ظاهرة جزئية أو فرعية، من هنا .. فإن من الخطأ أن ننظر لحدث الخانكة^(٢) برغم محدوديته - نظرة جزئية تبعد به عن السياسة، أو تكتفى بالتنبيه إلى آثاره دون أن تمد البصر إلى أسبابه، ذلك أن سياسة التنبيه إلى الآثار، لم تقض على الظاهرة، بل إن اللجوء إلى التقنيين، لم يقضي عليها .. وإن فإن المنظور السياسي والديمقرطي هو وحده الكفيل بفهمها ومعالجة آثارها.

والواقع أننا لا نختلف مع الذين ينظرون للمسألة على أساس آثارها فنحن فقيرون لهم بأنه ليس من حق أحد - أياً كان ومهما كان - أن يشغل الناس بشيء لا يتعلق بنا ينبغي لهم أن يشغلوا به.

ونحن نتفق معهم على أنه عندما يكون هناك علم غريب يرفرف فوق جزء من أرض هذا الوطن، فينبغي أن توجه إليه كل البنادق، وأن تطلق عليه كل المدافع فإذا وجه إنسان همه تخريب بيت يعبد فيه الله، مسجداً كان أم كنيسة، فمعنى هذا أنه يدير بتدقية إلى صدورنا نحن، ويطلق مدفعة على أجسادنا، وذلك كله خيانة وطنية صريحة وفي وضح النهار!

ونحن نقرهم في النظر إلى ما حدث باعتباره محاولة لتمزيق أعلام الوطن، وتنكيس رايات الله.

على أننا نضيف إلى هذا كله، أن القضية في منظورها السياسي هي تعبر عن هذا التنوع، المفتقد في حياتنا السياسية، ونقد لأسلوب الوحدة الوطنية والسياسية السائدة لدينا، وليس لنا أن ندهش عندما يتميز الناس دينياً، ويتنوعون طائفياً، فإن هذه الرغبة في التنوع ظاهرة في حياتنا كلها، نراها في الإنقسام في آراء الناس تجاه سياسة العالم، حتى تلك السياسات التي لا نمسها بشكل مباشر، بل ونراها حتى في «التنوع الكروي»، الذي لم نتباه له دلالته السياسية إلى الآن، كما نراها في ذلك الصراع الذي بدأ يطل برأسه بين الأجيال..

ومفتاح هذه الرغبة السياسية في التنوع، هو الاحتجاج النفسي على محاولات الإدماج وربما القسرية أحياها.. لكنها قد تكون مقبولة ومحتملة أحياناً، فإذا وصلت إلى ذلك الذي نرصده منذ بدايات هذا العام من التقسيم الطائفي، فإنها تصبح خطراً حقيقياً.. بل أفح الأخطار..

ويسبب طبيعتها الخاصة، فإن أول المطالبين بالتصدي لظاهرة الإقتتال الطائفي، هم الديمقراطيين المصريين من كل الاتجاهات .. هؤلاء الذين يفهمون أن تتأكد القيم

المتقدمة والمتحضررة في حياتنا، وأن تنتصر الحريات الديمocrاطية على الإتجاهات الفاشستية الجديدة التي تطل ببرؤوسها ، لتعيد الوطن إلى ظلمات العصور الوسطى .. والمنهج الذي اختاره الرئيس السادات لمعالجة هذه المسألة، هو المنهج الوحيد الملائم لمعالجتها ، فقد رفض أسلوب التكتم على الأمر، أو التغطية عليه. كما رفض أن يعتبر قضية جنائية عادلة، ترك لأجهزة الأمن لتنحرى عنها، وللقضاء ليحكم فيها، وإنما اعتبرها - هي وما سبقها - دلالة على ظاهرة أكبر من هذا وأشمل، بحيث رأى ضرورة لأن يضيف إلى ذلك كله، تحقيقاً سياسياً لكي تتكامل صوره وابعاد المحاولات الهدافه لافتعال الفتنة الطائفية، ويتحدد حجمها الحقيقي..(٣)

ودون تعرض لما وقع في الخانكة من حوادث . أو لما سبقها في أماكن أخرى هي الآن محل تحقيق جنائي متشعب النواحي فتركه لحكم القضاء، فإن التطبيق العملي للمنهج الرئيس السادات، في مواجهة هذا الأمر، يتطلب أن يتناقض الجميع في الضوء الباهر ، لتفتكش الحقائق وليلتزم الجميع حدود مسؤوليتهم ، ولكن لا يتصور أحد في استطاعته أن يبعث بالنار ليلاه وفيرحرقنا جميعاً .. ونسكت عنه.

وطالما أن للقضية وجه سياسي، ومن المؤكد أنه وجهها الغالب، فإن مناقشة ما تعبر عنه من دلالات هو الوسيلة الوحيدة لتجاوز آثارها، وللقضاء على ما يمكن أن تقود إليه، بشكل متسلسل، من أخطار، على مختلف الحريات العامة المكفولة للمواطنين تلك التي يسعون بجهد شديد لتأكيدها وتوسيع نطاقها..

المشجب الأميركيون:

- وتنبع خطورة الظاهرة من ذكرتها في تاريخنا القومي كله، فلم يحدث إلا فيما يذر - أن تعرضت بيوت الله في هذا الوطن - مساجد أو كنائس أو معابد - لتخريب أو تدمير، والمذابح الطائفية .. بالمعنى الدقيق للكلمة - من الأحداث التي لم يشهدها التاريخ المصري، وفي مواجهة هذه الندرة، فإن علينا أن ننظر إلى ما يحدث - على محدوديته - على أساس أن أهميته أخطر من حجمه.

ومن الثابت في تاريخنا ، أن الشعب المصري بسبب طبيعته الحضارية ، وشخصيته القومية، من أكثر الشعوب تسامحاً في المسائل الدينية ومن أكثرها افتتاحاً لتقدير الجديد والمتغير من القيم والعادات، ولم يكن هذا التسامح في أي وقت من الأوقات دليلاً على وهن العواطف الدينية، لأن الشعب المصري ملك دائمًا وباستمرار القدرة على التفريق بين العصبية الدينية، والتعصب الدينى،^٤ والعصبية الدينية حالة من الإرتباط بين الدينون واحد، تشدهم للتقارب ،

وتدفعهم للقيام بفرضيات دينهم، وللحفاظ على شعائره وتلقينه لأبنائهم ، وقد تتسع لبعض أشكال التكافل الاجتماعي بينهم .. فإذا تجاوزت العصبية الدينية ذلك إلى كراهية للأديان الأخرى، أو عداوان عليها أو مصادرة الحق من يعتنقونها في ممارسة شعائرهم الدينية واحترام فرائضها ، هنا تنقلب إلى تعصب، ينكره الله .. ويشمئز منه العرف .. ويعاقب عليه القانون..

ومن المؤكد أن الذين يفهمون في الدين خيراً مما أفهم ، يستطيعون أن يجدوا في نصوص القرآن والإنجيل ما يبرهن على إستنكار الإسلام لهذا الذي حدث وكراهة المسيحية له، كما أنهم يستطيعون أن يجدوا في كتب الفقه والتفسير واللاهوت أمثلة وشواهد عليه، مما كان يفعله السلف الصالح فأسماء إلية الخلف الطالع ..

والأهم من هذا كله، هو أن يلتقي المهتمون بالفكر السياسي للدلالة الاجتماعية والسياسية مثل هذه الظواهر، وأن يربطوا بينها وبين القضايا الأساسية للنضال الوطني، وهي التي ينبغي أن تكون المحك الرئيسي الذي تقاس عليه أي قضية أو مسألة ..

ولقد سبق للرئيسين السادات أن أشار في خطابيه أمام الدورة السابقة للمؤتمر القومي في يوليو الماضي - إلى أن هناك أصابع للمخابرات الأمريكية في افتتاح بعض الحالات بين الأقباط والمسلمين، بما يؤدي إلى فتن طائفية، ومن البديهي أن مثل هذه المحاولات مستمرة لكن ما يجب علينا أن ندركه هو الا نتسهل المسألة وتلقي بكل المسئولية على عاتق المخابرات الأمريكية ونستريح .. ونريح أنفسنا من مسئولية هذا الذي يحدث ..

ونحن كمواطنين، مسئولين ، ليس فقط لأن هناك أقساماً منها ذفتقد الوعي السياسي لادران مؤامرات الأعداء، وإفشالها، بل لأن هناك آخرين - بوعي أو بدون وعي - يسعون للتغليم الجو بين الأغلبية المسلمة والأقليات غير المسلمة .. أما بالشائعات الكاذبة، أو بالنشرات المزورة(٤)، وهو ما تقع في أساره عناصر من المتعصبين من الكثرة أو القلة، فتروج ترويجاً يضمون هذا وذاك ، وتنتهي بنشر أفكار سياسية خاطئة ، تترتب عليها نتائج أكثر خطأ وخطورة كذلك الذي حدث في الخانكة وغيرها، وكذلك الذي يمكن أن يحدث إذا لم تتصدى بالوعي السياسي كل هذه الأفكار الخاطئة.

دار المصريين جميها،

وفي حدود هذا التصور ، فإن البعض يروج لأفكار تتعارض تماماً التعارض، مع ما استقر عليه الفكر السياسي المصري، على امتداد الخمسين عاماً الماضية، من طبيعة

لهذه الدولة، ولنظام الحكم فيها، وما الحق بهذا كله من تطورات أكدت هذا الطابع
وبنورته، ويعتبر ما حدث خروجاً من إطاره وهو ما ينبغي أن نجد له حلًّا ديمقراطياً
 حقيقياً..

ومنذ ثورة ١٩١٩، والنظام السياسي المصري، قد استمد وجوده من الإقرار بالعمود
الفقري لأى حركة قومية، وبما استقر عليه الفكر الليبرالي، وبهذا أصبحت مصر دولة
علمانية، تستمد شرائعها من الزمن المتغير والمتتطور، وهو ما استتبع تأكيد مجموعة
من الحقائق الأساسية.

* أولها أن السلطة المعبأة عن جموع المصريين، هي سلطة مدنية وليس سلطة دينية،
 وهي تلي الحكم بالإقرار الجماهيري وبناءً على رضا المحكومين، وتستمد شرعيتها من
 الإختيار والإقرار وهي ليست مفوضة من أي قوة علوية، فالحاكم هو الملك، وليس
 الخليفة، وهو ركيز الدولة وليس - كما زعم بعض الخلفاء - ظل الله على الأرض..

وفي النظام الملكي، كان الملك يملك ولا يحكم، وهو يلي الحكم طول حياته وتتواله
 بعده ذريته، ولأنه رمز للدولة، فليس مستولاً بشكل مباشر، خاصة أنه غير قابل للعزل
 دستورياً - ومن هنا فهو يمارس بواسطة وزرائه، والوزراء مسؤولون ومتضامنون في
 المسئولية أمام مجلس النواب، الذي ينتخبه جموع المصريين، ليصدر نيابة عنهم
 القوانين والشريعات في حدود مصلحتهم.. وفي النظام الجمهوري الرئاسي، وهو السائد
 منذ ١٩٥٦ وإلى الآن، فإن رئيس الجمهورية مسئول أمام الشعب، وهو ينتخب بواسطة
 ويغادر عنه، ويستمد سلطاته منه.

* وترقباً على هذا ، فإن العلاقة بين الحاكمين والمحكومين، هي علاقة موضوعية
 وليس شخصية ، كما أنها ليست علاقة مقدسة وأنها ليست علاقة بين الخليفة،
 والرعايا، ولكنها علاقة بين الدولة، والمواطن، والفرق بين العلاقتين واضح وصريح
 فالخليفة يعتبر نفسه إمام المسلمين، ومفسر دينهم وهو يحكم - فيما يدعم لنفسه -
 على أساس تطبيق أحكام الله، لذلك فإن سلطته مقدسة، أما في الدولة المدنية ، فإن
 السلطة تعبر عن مصلحة المواطنين الدينية، وهي تطبق شرائع يضعها ملائحة
 لمجموع الأمة تحمن مصالحهم المتغيرة.

* وأساس العلاقة بين الدولة والمواطن هي أي نظام ديمقراطي، هو كفالة حقوق
 المواطن، للجميع، فالمواطنون متساوون أمام القانون في الواجبات والحقوق.. فكل
 المواطنين يدفعون الضرائب التي تمول منها الخدمات العامة، وليس فيهم من يدفع
 الخراج، أو الزكاة، هي مقابل من يدفع الجزية، وليس هناك في الدولة المدنية من
 يعفون من التجنيد ويقوم آخرون بحمايتهم والدفاع عنهم بالتجنيد إجباري على كل

الموطنين، والجميع ملزمون بالخضوع لأحكام القانون لصيانة الأمن والنظام العام⁽⁵⁾ وفي مقابل هذا فلل المصريين جميعاً حقوق متساوية في تولي الوظائف العامة وفي الاستفادة من الخدمات العامة والاجتماعية كما أنهم متساوون أمام القانون، ولهم جميعاً في ممارسة جميع الحرريات العامة، وعلى رأسها حرية الرأي والعقيدة..

وجوهز هذا كله هو أنه لا يجوز التفرقة بين المصريين في الحقوق والواجبات بسبب ما يدينون به، أو يعتنقونه من معتقدات دينية أو دنيوية، اجتماعية أو سياسية، أو فلسفية، كما أنه لا يجوز التفرقة بينهم بسبب جنسهم فالمرأة كالرجل أمام القانون، ولها كل حقوقه، أو بسبب أصولهم، فالقانون لا يفرق بين أبناء الأسر وأبناء السبيل.. وبمقتضى هذه القواعد، فليس هناك في مصر درجات للمواطنة وينبغي الا نسمع لأحد بأن يفعل هذه الدرجات.

وهذا كله ينظمه الدستور المصري الصادر في عام ١٩٧١ الذي ينص على أن «المواطنون لدى القانون سواء»، وهم متساوون في الحقوق والواجبات العام. لا يتميز بينهم في ذلك بسبب الجنس أو الأصل أو اللغة أو الدين أو العقيدة⁽⁶⁾، كما أنه ينص على أن الدولة تكفل «حرية العقيدة وحرية ممارسة الشعائر الدينية»⁽⁷⁾.

علمانية الدولة في المنطier الديني:

والواقع أن فكرة الدولة المدنية لا تخالف الدين الإسلامي، الذي لم ينص على شكل معين للدولة الإسلامية، فقد كانت الخلافة اجتهاداً خاصاً للصحابة الأولين ، بدليل أن الخلاف حول نظام الحكم في دولة الإسلام قد استمر وتزايد بعد أقل من ربع قرن على وفاة الرسول ﷺ، وكثير فيه الحوار والخلاف بين مدارس الفكر الإسلامي.

والمدرسة العقلانية المستنيرة في هذا الفكر، لا ترى في الدولة «العلمانية»، أو «الزمنية»، خروجاً على شرائع الإسلام، وهي تذهب إلى القول بأن الله لا يمكن إلا أن يقصد مصلحة عباده، وأن نصوص القرآن ما نزلت إلا لذلك، فإذا اتضح من ظاهرة نص قرآنى أنه - ظاهراً - يخالف هذه المصلحة، جاز تأويل تفسيره بما يحقق مصلحة المسلمين، فإذا كان النصر حديث نبوى جاز الحكم ببطلانه بما يتحقق مصلحة المسلمين، فإذا كان النص حديث نبوى جاز الحكم ببطلانه على أساس أنه ضعيف الإسناد.. والمفهوم عند هذه المدرسة أن «العقل»، هو الذي يحدد مصالحها على ضوء المتغير من الظروف والأوضاع الزمنية وهو ما يكفله أي تمثيل ديمقراطي ، بما لا يجعل من اللجوء إلى التشريع الزمني مخالفة لأى فهم مستنير في الإسلام⁽⁸⁾.

ومن الحق أن نقول إن هذه المسألة هي من المسائل التي يطول حولها الخلاف والجدل

في الفكر الإسلامي.

يُبَدِّلُ أَنْ هُنَاكَ مَدْرَسَةٌ تَقْبِلُهُ بِالْفَعْلِ ، وَفِي تَحْلِيلِ الدَّكْتُورِ حَلَهُ حَسَنِي ، لِنَظَامِ الْحُكْمِ الإِسْلَامِيِّ حَتَّى فِي فِي ظَلِّ الرَّسُولِ ، ذَهَبَ إِلَى القَوْلِ بِأَنَّ نَظَامَ الْحُكْمِ النَّبَوِيِّ كَانَ نَظَاماً مَدْنِيَاً ، وَلَمْ يَكُنْ نَظَاماً قِيَوْقَرَاطِيَاً ، وَأَنَّ لَهُ تَمِيزَهُ الْخَاصُّ وَالْمُتَفَرِّدُ فِي أَنْظَامَ الْحُكْمِ الَّتِي كَانَتْ سَائِدَةً آنَّذَاكَ... (٩).

وَقَدْ تَصَدَّىَ المَفْكِرُ الإِسْلَامِيُّ الْكَبِيرُ عَلَى عَبْدِ الرَّازِقِ ، لِهَذِهِ الْقَضِيَّةِ فِي الْعَشَرِينِيَّاتِ . وَحَسِمَ الْمَسَأَلَةُ وَنَاقَشَهَا مِنْتَهِيَا إِلَى القَوْلِ بِأَنَّ مُحَمَّداً نَبِيًّا ، مَا كَانَ إِلَّا رَسُولاً لِدُعَوَةٍ دِينِيَّةٍ خَالِصَةٍ لِلَّدِينِ ، لَا تَشُوبُهَا نَزْعَةٌ مَلِكٌ ، وَلَا دُعَوَةٌ لِدُولَةٍ وَإِنَّهُ لَمْ يَكُنْ لِلنَّبِيِّ نَبِيًّا مَلِكٌ مَلِكٌ وَلَا حُكْمَةٌ ، وَإِنَّهُ نَبِيٌّ ، لَمْ يَقُمْ بِتَأْسِيسِ مَمْلَكَةٍ بِالْمَعْنَى الَّذِي يَفْهُمُ سِيَاسَةً مِنْ هَذِهِ الْكَلِمَةِ وَمَرَادِفَاتِهَا ، مَا كَانَ إِلَّا رَسُولاً كِإِخْوَانِهِ الْخَالِقِينَ مِنَ الرَّسُولِ ، وَمَا كَانَ مَلِكًا وَلَا مُؤْسِسَ دُولَةً وَلَا دَاعِيًّا إِلَى مَلِكٍ (١٠).

وَلَا يَعْنِيَ هَذَا أَنْ أَدْخُلَ طَرْفَاهُ فِي هَذَا الْحَوَارِ ، إِذْ مِنَ الْمُؤْكِدِ أَنَّ الْفَكَرَ الْمَصْرِيَّ فِي مَجْمِلِهِ قَدْ اسْتَقَرَ عَلَى الْأَخْذِ بِمَنْهَاجِ هَذِهِ الْمَدْرَسَةِ الْمُسْتَنِيرِ عَمَلًا وَفَعْلًا بَلْ وَالْتَّصَدِيِّ الْمُفَكِّرُونَ إِسْلَامِيُّونَ الْمُسْتَنِيرُونَ لِلتَّيَارِ الَّذِي يَدْعُو لِلدوْلَةِ الْدِينِيَّةِ مِنْ مَنْظُورِ إِسْلَامِ نَفْسِهِ ، حَرَصًا مِنْهُمْ عَلَى تَجْنِبِ دِينِ اللَّهِ الدُّخُولُ فِي صَرَاعَاتِ الْحُكْمِ وَالسِّيَاسَةِ وَصَيْانَةِ الْعِقِيدَةِ إِسْلَامِيَّةٍ مِنْ أَنْ تَحْمِلَ بِأَوْزَارِ الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ يَحْكُمُونَ بِاسْمَهُمْ ، أَوْ بِاعتِبَارِهِمْ خَلْفَاءَ عَنِ الرَّسُولِ .

وَقَدْ شَهَدَتِ الْفَتَرَةُ بَيْنِ ثُورَتِي ١٩١٩ وَ١٩٥٢ دَفَاعًا مُسْتَمِيًّا مِنَ الْلَّيِّنِالَّيِّينَ الْمَصْرِيِّينَ ، مِنْ أَجْلِ الْحَفَاظِ عَلَى الطَّابِعِ الْعَلَمَانِيِّ لِلدوْلَةِ الْمَصْرِيَّةِ ، وَتَأْكِيدِهِ ، سَوَاءً فِي قَضَايَا حُرْبَةِ الْفَكَرِ أوِ التَّشْرِيعِ . وَهُنَاكَ الْعَدِيدُ مِنَ الْمَنَاقِشَاتِ الْحَادِثَةِ الَّتِي دَارَتِ فِي الْمَجَالِمِ الْنِيَابِيَّةِ اِنْتِصَارًا لِهَذَا الْاتِّجَاهِ ، خَاصَّةً أَنَّ الْقَوْيِ الْدِيَكْتَاتُورِيَّةِ كَانَتْ تَحَاوِلُ التَّقْنِعَ بِدُعَوَى الدُّولَةِ الْدِينِيَّةِ . لَكِنَّ تَضْرِبُ بِهَا كُلُّ الْحَقُوقِ الْدِيمُقْرَاطِيَّةِ لِلشَّعْبِ وَتَقْضِيُّ عَلَى مِبْدَأِ الْأَمَةِ مُحْصِدِ الرَّسُولِ ، وَهُوَ جُوهرُ النَّظَامِ الْدِيمُقْرَاطِيِّ وَحِجْرُ الْأَسَامِ فِي عَلَمَانِيَّةِ الدُّولَةِ (١١) .

وَمِنْ بَيْنِ هَذِهِ الْمَنَاقِشَاتِ ، مَنَاقِشَةٌ جَرَتْ فِي مَجْلِسِ الشِّيُوخِ الْمَصْرِيِّ عَامَ ١٩٤٣ حَوْلَ قَانُونِ الْمِيرَاثِ ، إِذْ كَانَ مَشْرُوعُ الْقَالُونِ الْمَعْرُوضُ يَتَضَمَّنُ مَادَةً تَقُولُ أَنَّ الْمِيرَاثَ يَحْجَبُ عَنِ الْوَارِثِ ، إِذَا قُتِلَ مَوْرِثُهُ ، وَاسْتَنْفَتَ الْمَادَةُ مِنْ هَذَا الْحِجْبِ الْزَوْجُ الَّذِي يُقْتَلُ زَوْجَهُ وَهُوَ مُتَلِبَّسٌ بِالْزِنَى ، فَأَبَاحَتْ لَهُ أَنْ يَرِثُهَا ، وَأَرَادَ بَعْضُ أَعْضَاءِ الْمَجْلِسِ أَنْ يَتَسَوَّعُوا فِي هَذِهِ الْرِّحْصَةِ ، فَطَالَبُوا بِأَنْ يَشْمَلَ هَذَا الْإِسْتِثْنَاءُ الْأَبَ الَّذِي يُقْتَلُ بِنْتَهُ الرَّازِيَّةِ ، وَالْأُخْرَى وَالْأَبْنَى الَّذِيَانِ يَفْعَلُانِ نَفْسَ الشَّوْعِ .

وكادت المادة تمر، لو لا إن اعتراض الدكتور محمد حمدين هيكل، - وكان عضواً بالمجلس - وبين اعتراضه على أساس أن إباحة الميراث للأخ والأب والابن الذي يقتل مورثته الزانية هو حكم أخلاقي، وإن الاستثناء أعطى للزوج لأنه يكون في حالة نفسية لا يمكن أن تبيحها للأخرين، إلا إذا كنا بذلك نؤثم الزانية ونهدّر دمها، وهذا غير وارد، لأن الدستور المصري (١٩٣٢) قائم على الأساس الزمانية وليس على أي أساس غيرها.. وقبل اعتراض الدكتور هيكل، .. ولم تمر المادة..

وقد دخل الوفد المصري - وكان قلعة من اقلاع الديموقراطية الليبرالية في عمومه - معارك طويلة في هذا الصدد، فعند الإعداد لتولي الملك السابق، فاروق، لسلطاته الدستورية، اقترح بعض أمراء الأسرة المالكة، أن يتوج الملك في حفلة دينية يسلامه فيها شيخ الأزهر سيف جده (محمد على)، ثم يتلو هو والشيخ دعاء خاصاً.. وقد تصدّى، مصطفى النحاس، لهذه الفكرة بشراسة، وأصر على أن لا ينفذ إلا ما جاء في الدستور، من أن الملك يحلّف اليدين أمام مجلس اليرلان، وعندما اقترح البعض - كحمل وسط - أن يصلّي الملك صلاة الجمعة في ثاني أيام قتويجه بالجامع الأزهر، رفض، النحاس، أيضاً، وقال إن جلالته يستطيع أن يصلّي وقتما شاء، وفي أي مسجد يريد، ولكن هذا لا يكون بين مراسيم التنويع لأي سبب..

وقد بني، النحاس، اعتراضه على نفس الأساس، وهو أن الملك يتولى السلطة من الشعب، وليس من شيخ الأزهر، على أساس أن الأمة هي مصدر السلطات، وهي التي تعطى العرش للملك، لأن تناوله لسيف جده من شيخ الأزهر يخلق شبهة أنه يحكم طائفة من الأمة دون أخرى (١٢).

والمسئلة بالنسبة للفكر المسيحي أيسراً متألاً.. فمنذ البداية، رفضت الكنيسة القبطية ربط السلطة الزمانية بالدين. ولقد حفظ لنا ثراه البطريرك المصري، أثناسيوس، الذي تولى البطريركية بين ٣٧٣ و٣٩٨م. حديثاً موجهاً إلى الإمبراطور الروماني قسطنطين، قال له فيه: لا تحكم نفسك في المسائل الكنسية، ولا تصدر إلينا أمراً بشأن هذه المسائل، لقد أعطاك الله المملكة وعهد إلينا بأمور الكنيسة.. فليس مسموحاً لنا بأن نمارس حكماً أرضياً، وليس لك سلطان أن تقوم بعمل كنسى (١٣).

وفي حين نشأ ارتياط بين الكنيسة والدولة في أوروبا . فإن الكنيسة المصرية، ظلت تصدر على أساس فهمها الصحيح أو صيغة السيد المسيح لأتباعه، أعطوا ما لقيصر لقسيس، وما لله لله، وهو ما يعني تديها فصل الدين عن الدولة. وهذا هو السبب في أن الأقباط المصريين رفضوا تقديم أي مساعدة للصلبيين للاستيلاء على مصر، إذ اعتبروا أن مثل هذه المحروب إنما تتم لحساب قيصر وليس لحساب الله (١٤) ■

هواش:

« فصل من كتاب، مثقفون وعسكري »

- نشر هذا المقال في مجلة دراسات عربية، ال بيروتية - في عدد مارس ١٩٧٣ ، وكان قد كتب أساساً لينشر في جريدة، الجمهورية، إلا أن رئيس تحريرها - آنذاك - مصطفى بهجت بدوى، رأه أصرح مما تحتمله المرحلة، فرفضت به لينشر في مجلة، الطالبة، لكن الرقابة على النشر، شطبت ٧٥٪ منه ، فأرسلته إلى دراسات عربية حيث نشر.
- (١) كتب هذا المقال ونشر قبل حرب أكتوبر ، أيام كانت هناك جبهة للقتال مع العدو.
- (٢) من أوائل أحداث التوترات الطائفية في بداية عهد السادات .. إذ اشتعلت حرائق مجهولة ، في أحد كنائس مدينة المانكة، اتخذت أساساً لخاوف طائفية انتشرت آنذاك.
- (٣) ضمن سياسة السادات القائمة على الصدمات، كان قد قرر آنذاك، تشكيل لجنة برلمانية لتقصي بوضوح الفتنة الطائفية، ويقول هيكل أنه عارضه في ذلك لحساسية الموضوع.
- (٤) إشارة لنشور سرى، كان يوزع بكثافة قد تدعو للريبة بين المسلمين آنذاك، ويتضمن ما سمي بمحضر اجتماع سرى، ضمن البابا شنودة الثالث، وقيادة الكنيسة، ونسب، هذا المحضر للبابا شنوده، تحريضه للأقباط، على ما يسمى بتحويل مصر إلى دولة قبطية.
- (٥) في أثناء صياغة دستور ١٩٢٣، دارت بعض المناقشات حول حق الانتخاب ، وكان محك المناقشة هو أن «المواطنة، حقوق، وواجبات .. ومن هنا اقرت اللجنة مبدأ أن الاقتراع العام، أو، حق الانتخاب، هو من حقوق كل المصريين، لا فرق في ذلك بين أمي وجاهل، ورفضت ما طالب به البعض من قصر = الانتخاب على المتعلمين وكان منطقها في ذلك أن الانتخاب حق متربّع على واجب هو الجدية، ومادام هذا الذي يفلح الأرض، يحمل من حق الجندية ما يحمل غيره أو أكثر مما يحمل غيره، فحقه هي الانتخاب لا يصح أن يكون محل نزاع (راجع مذكرات في السياسة المصرية د. محمد حسين هيكل - ح ١ ص ١٣٤). دفع الضرائب والجدية محكمان رئيسيان في حق المواطن».
- (٦) المادة ٤٠ من الدستور ١٩٧١، والمادة بنفس النص تقريباً وردت في دستور ١٩٢٣ - المادة الثالثة منه وكذلك وردت بنفس النص تقريباً في دستور ١٩٥٦ - المادة ٣١ .
- (٧) المادة ٤٦ من دستور ١٩٧١ . والمادة بنفس النص تقريباً وردت في دستور ١٩٢٣ - المادة ١ .



١٣ ، كما وردت بنفس النص في دستور ١٩٥٦ المادة ٤٢ .

٨) راجع في ذلك - أحمد أمين - ضحى الإسلام - الجزء الثالث - الطبعة الأولى من ص ٢١ إلى ٢٠٧ .

٩) راجع الفتنة الكبرى ج ١: عثمان.

١٠) على عبد الرزاق - الإسلام وأصول الحكم (بحث في الخلافة والحكومة في الإسلام) الطبعة الثالثة ١٩٢٥ - مطبعة مصر ص ٦٤-٦٥ .

١١) راجع في ذلك كتاب خالد محمد خالد - من هنا نبدأ - وقد ناقس المسألة في فصل بعنوان، قومية الحكم ، ويمكن الاستنارة بوجهة النظر الأخرى في كتاب محمد الغزالى «من هنا نعلم»، - راجع كذلك رأيا آخر في هذا الموضوع في مقال ساهم خشبة «التفسير الليبرالي ومفهوم الدولة المقصومة»، - الأداب البيررواتية أغسطس ١٩٧٢ ، وهو يعتبر تنبية مبكر لخطر اتباع ظاهرة المطالب بدولة تيوقراطية بعد النكسة..

١٢) راجع التفاصيل في كتاب محمد التابعى - أسرار السياسة والسياسة وصحف صيف ١٩٣٧ وخاصة الأهرام والمقطم والمصرى.

١٣) د. وليم سليمان: الكنيسة المصرية تواجه الاستعمار والصهيونية - دار الكاتب العربي ١٩٦٧ ص ٨ .

١٤) نفس المصدر من ١٥-١٨ .

مقططفات من كتابات مجهولة على حائط مرحاض عمومي

صلاح عيسى

كان لا بد أن أجده لكي يصدر حكم البراءة نهائياً وقاما، وإن فما معنى المحاكمة؟ والشاهد الأساس في القضية مختلف، مات كل الشهود، أديت ليرك، «أدا ريباك»، وألما روزي، والأخرون.. فمن يشهد بأن ما كان لم يكن حلماً أو وهم؟ في الجلسة الأخيرة صاح وليام كالى:

- كل هؤلاء الشهود كاذبون وقوادون: إنهم ضباط وجنود تحت إمرتي، بيبي وبيتهم ضغائن، فمن يشهد أنني قتلت سكان، مای لاهاي، هيه؟ الشهادة الوحيدة التي يمكن تصديقها هي شهادة أهالى، مای لاي، انفسهم.. يا حضرة القاضى، اطلب باستدعاء سكان، مای لاي، كشهود تانى:

وقف المدعى العام متحفزاً:

- هؤلاء قتلوا: إن شيئاً لم يبق في، مای لاي، فمن يشهد؟ هذه حيلة مفضوحة من المتهم.

وليام كالى،

- وإن فلا دليل حقيقياً على الاتهام، وإن فلتستنزلقوا الجثث لعلها تبوح ما دبرتم.

- لهذا لا بد أن أجده. ذلك الرجل الذئب، بعيونه الجاحدة، بشاربه الهمتلى، رياط

عنقه المبرقش، بقامته القصيرة المنبعجة، سأبحث عنه في الخلاء والزحام في دور الكتب والمتحف، في النظارات السارحة في الطريق، بين نهدي حبيبتي، وفي المسافة بين إطباقي كفى على كفها.

ولأن مدینتنا مزدحمة فلابد أن هذا الوجه العابر هو ربما ليس هو . تضحك مرثت السويقى، ونحن نلتقي في برجولا، مزهرة في الماريلاند، وتتحدث عنمن لقيت من رجال في هذا العالم،

- أنت لا تعرف حبيبي الذي حدثتك عنه ، كائن غريب ، ومرة بكيت على صدره ، فأخذ يفتش خلف كلمات طائفة ، قالها رجل مجنون ، وهو ما زادني بكاء . ساعتها كنت سارحاً في ملامح النادل الذي أتى بالمشروب، فكرت أنه شبيه بالرجل الذئب ، شككت في ذلك، في المساء كانت مثانتي تضغط على يشده قررت أن أتبول على حائط لامع من الرخام متقداً في ذلك صبياً متشرداً - آثرت - بعد تفكير - أن أبحث عن مرحاض عمومي أو ودي فيه هذه الوظيفة المهمة . اضناني البحث ، ساعتها اكتشفت أن المراحيض العمومية في بلدنا قليلة جداً، وأن من كان مثلى محصوراً عليه أن يلف أكثر من مرة لكن يتخلص من ذلك الضغط المؤلم على مثانته ، سيبدو سخيفاً ومضحكاً أن أتبول على نفسى، وأن يبتل بنطلونى.

أخيراً وجدت مرحاضاً عمومياً - ظل عابر سبيل يشرح لي مكانه بأفاضة حتى كادت مثانتي تنفجر - ما كدت أقف أمام المبولة حتى تركت العنأن للمياه المتجمعة لكن تنطلق في انفاس شديد، شعرت براحة حميدة .

يبدو العالم هائلاً رغم الروائح النفاذة، أمتّع ما في هذه الحياة ، التخلص من الألم الضاغط على أسفل المثانة ، يصطاد العقل - أثناء ذلك - فكرة سارحة كل شيء يبدو ممكناً الحدوث ، آنذاك يمكن - ونحن نصل إلى آخر المياه الضاغطة - أن ننطلق إلى الحافظ أمامنا . كتابة بقلم رصاص ، من يمنع عين المستريح أن تلتقطها:

- أرجوك لا تصدق الكلام المكتوب عنى على الحافظ المقابل، إنه تشهير قد..
ثم لمضياء غير واضح.

قلت إننى لن أقرأ الكلام المكتوب على الحافظ المقابل. إنه محاولة للتشهير بآنسان قد جرت ولها طفل على أسرار غيري. بعد لحظة فكرت في أن أعرف اسم ذلك الرجل المشهربه . كانت آخر المياه تتتساقط إحساس غامر بالراحة، خفتوى ، بدأت الرائحة النفاذة تضايقنى . وأنا أغلق زرائر البنطلون ، فكرت أن أقرأ الكلمات على الحافظ المقابل، لم أقاوم الفكرة كثيراً. التفت . قرات:

- ألم أقل لك أن الكلام المكتوب تشهير، ومع ذلك أصررت على قراءته لأنك؛ متطفل

وأمك زانية وهي حامل بك، يا قدر يا ابن البوة، ما لك وأسرار الناس.. ها.. ها..
ثم توقيع غير واضح.

احمر وجهي خجلاً، مضيت مسرعةً، وقف الحراس:
- شفيتكم.

- عوقيتم.

بلهجة خاصة:

- يوجد مرحاض خاص نظيف، تحت أمرك.. قرش واحد فقط.

مضيت إلى الطريق، فكرت وأنا مستريح في أن كاتب هذه الكلمات رجل خفيف الظل،
في مدینتنا وربما في مدن أخرى، عدد من التقاليد غير الصحيحة، غير أن أكثرها
انتشاراً هو الكتابة على جدران المراحيض العمومية وكان ذلك مثار تعليق الصحف أكثر
من مرة ذلك أنه في مراحيض دور السينما والمدارس والجامعات والمستشفيات والمطاعم
الكبير ينتهز بعض الناس فرصة اختلامهم بأنفسهم، والشعور بالراحة الذي يعملينا
إيه التخلص من ذلك الضغط على المثانة والمستقيم ليكتبوا - بأقلام من الرصاص -
آراءهم في العديد من المسائل، وبالطبع فإن هذا يتضمن آراء سياسية واجتماعية، كما
يتضمن وجهات نظر في العديد من الشخصيات اللامعة في ميادين السياسة والفن
والأدب والعلوم والعمل العام، فكوت في أن تلك ظاهرة غريبة وإن جمع تلك الكلمات
وتحليلها قد يفيد في قضيتي وعلى الأقل فسوف يزيد ملف القضية ضخامة، وفي
ذلك هائلة لاشك، إذ لابد من تطويل مدة نظر القضية حتى أتعذر على الشاهد..

.....

.....

في مساء اليوم الثالث ناقشنى ملبيين المعالج طيباً فعلته خلال الأسبوع كان
الشيزلوجن مريحاً رويت له قصة البحث المرهق عن دورة مياه عمومية.
- إنها مشكلة حقاً.

- أفكر أن أكتب مقالاً لصحيفة المباح عن ذلك، وأخشى أن تعترض الرقابة.

- لماذا تظن أنها قد تعترض؟

- أقرأ صحيفتي اليومية دائمًا في دورة المياه هي منزل.

- كثيرون من الناس تعودون هذا.

أغلق الباب بالزلاج بعد أن دخل، لا أحد بالشقة سوى قطتين وطفلتين ومع ذلك أصر
على حلقة .. وبهدتها أبدأ هي قراءة الصحيفة في آمان تمام.

أضحك على قبأ أو تسرير..، وأحياناً أبصق صورة أو مقالاً، وقد أمزقه وأمسح به

مؤخرتني. قائلاً : إن كاتبه لا يستحق سوى ذلك. أعبر عن رأيي بحرية قاتمة ، وأخيراً أخرج وأنا أشعر براحة شديدة . أظن أن هذا ما يفعله أيضاً الذين يكتبون على حوائط المراحيض العمومية. إن التخلص من ضغط المثانة والمستقيم شيء مريح جداً ، وعندما يفعل الإنسان ذلك في أمان تام فإنهما يفكرا فكاكاً عظيمة ، ويرى غالباً أراء صائبة لذلك يكتبهما على الحائط.

وافقدنى طبىبي المعالج بهزة من رأسه قاتلاً، إن الكلام فى الطريق ليس مأموناً.. قضيت خمسة عشر يوماً أزلف وأدور على المراحيض العمومية فى المدينة، فى دور السينما والملائكة والمطاعم وبعض المدارس، ومن المؤسف أن الظروف قد حالت دون دخولى دورات المياه الخاصة بالفتيات، إذ إن هذا ممنوع منعاً باتاً بحكم قوانين محمول بها فى مدينتنا، ولهذا فقد نقلت فى نوقة صغيرة ما وجده من كتابات فى مراحيض الرجال، وقد رأيت حرصاً على وقار هيئة المحكمة إلا أنشر النص الحرفى لبعض هذه الكلمات ، ذلك أن نشرها يعد خدشاً للحياء العام، وأظن أن القانون يعاقب على ذلكر وهذا هو النص الحرفى لبعض هذه الكتابات:

(فائل خیز۔ ۱۷/۸/۱۹۷۰)

(من دورة مياه ميدان التحرير)

• التي عندك شقة فاضية فيها دورة مياه خاصة بها، يتصل بي في العنوان أسفله، وله من الله الثواب . مستعد لدفع الخلو لحد مائة جنيه، بشرط أن أدفعه على أقساط كل شهر جنيه . المهم أن تكون فيها دورة مياه خاصة بها وليس مشتركة مع أحد .

(محمد مبارک علی ۱۰/۳۰/۱۹۷۰)

٤٨ درب شعلان - تحت الريح

(من دورة ملیاہ باب الْخَلْق)

• الكلب الواطى ابن الكلب (....)(١) رئيس مجلس إدارة شركة المسبيوكات الذهبية حرامى ومرقشى ويتاع فسوان وخمورجى وحشاش ، وكل الناس عارفه ده، وإذا كنت مش عارف فانا قلت لك. وعلى فكرة عنده شقة خصوصى للهولس عنوانها (....)(٢) شارع

احمد حشمت بالزمالك ، وكل ده على حساب الغلابة.

(إسماعيل حسانين البهنسى - ١٧/٣/٦٩)

دورة مياه ميدان عبده باشا

.....

* ملعون ابو حصر البول والامساك.

(حمد الله سليمان - دون تاريخ)

(دورة مياه سينما قصر النيل)

.....

* وهذه المراحيض عملتها الحكومة لراحة الناس، وليس لممارسة الحاجات غير الخلقية فيها بدفع رشوة للحراس، واحذر العموم ان بوتيس الأداب بيكتبها ساعات، فغريب يا بن اللبوة انت وهو (٣).

(جرجس بقطر)

محضر محكمة قنا - ١٢/٤/١٩٧٠

.....

* ممنوع كتابة الكلام البذىء على الحائط . عيب كدها

(حامد صقر وجدى - طالب جامعى) (٤)

(دورة مياه سينما قصر النيل)

.....

* بذيء إيه يا سى حامد يا ابن الزانية طيب (...) أملك، كفاية أدب بقى.. هما (لاطونا)
إلا أننا مؤدين وزى البنات البكر.. جتك خيبة فى أملك (٥)

(... بدون توقيع)

(دورة مياه سينما قصر النيل)

.....

* تحذير عام للجميع من هواة النساء الجميلات . حافظوا على أسراركم الخاصة ولا ينفلت عياركم في السكر والحسيش ، محتمل يكونوا جواسيس للعدو.. او اي شئ آخر .. وفي هذه الحالة تجدوا أنفسكم وراء الشمس بسبب فراغة عينكم وحبكم للنسوان.

(... بدون توقيع)

(دورة مياه حديقة الأزبكية)

.....

* الى كل من له بنت او اخت او زوجة تلبس الميكرووجيب والفينجيف (٦) تحذير وإنذار بدل ما تسيبوا لرحمكم معروض للى يشتري في الشارع، لوهם أححسن وبدل ما يقعدوا

ينتفوا فـو وشـهم ورجـلـهم خـلـوهـم يـسـتـعـدـوا لـلـحـرـبـ. يا عـالـمـ عـاـيـزـينـ فـحـارـبـ. يا ولـادـ
الـكـلـبـ كـفـاـيـةـ مـسـخـرـةـ وـمـرـقـعـةـ وـشـغـلـ (زنـاـ)(٧ـ).

سيبونا بدل ما نقدر فضرب عشرات(٨)، انتوا مش فاويين تحاربوا ولا ايه؟
(مراد ج-ع. عامل نسيج بمصنع)

هواهیش

- ١- حذفت الاسم وغيرت اسم الشركة منعاً للتشهير
 - ٢- حذفت رقم المنزل لنفس السبب السابق
 - ٣- هناك عدد ضخم من المقتطفات يتهمهم كاتبوه الآخرين ببعض ألوان الانحرافات الجنسية وبالطبع فإن من الصعب نشرها ، لأنها تعتبر تشهيراً خاصاً أنه لا دليل عليها سوى هذه الكتابات. الحقيقة إن هذا الاتهام متكرر بكثرة وهو يتناول أفراد أمجهولين، والعديد من الأفراد اللامعين في مجالات الحياة العامة المختلفة ويشير التحليل الإحصائي الأول لما جمعت من مقتطفات إلى أن ٢٨٪ من الذين أدلو بآرائهم على حواضن المراحيض ، يتهمون شخصيات بارزة من الرجال والنساء بممارسة الجنسية المثلية (أي ممارسة الجنس مع نفس الجنس سواء كان لواطًا أو سحاقاً). وهناك ٧٪ اتهموا آخرين (رجالًا ونساء) بأنهم يمارسون الجنس مع الحيوان. و٤٪ اتهموا غيرهم بممارسة اللواط مع النساء و٣٪ اتهموا غيرهم بممارسة العادة السرية. أما الباقي (٣٪) فهي إعلانات للدعارة كتبت على لسان رجال ونساء يدعون الآخرين لممارسة الجنس معهم وقد اتهم ٩٪ - من نفس العينة محل الدراسة - آخرين بالقوادة والتلذذ بمشاهدة الفسق بزوجاتهم وبناقتهم.
 - ٤- لاحظنا أن حامد صقر وجدي المذكور كتب هذه الكلمة في أكثر من دورة مياه فكتبيها هي دورة مياه ميدان عبده باشا وباب التلوق، وميدان عابدين، وسيتمها الشرق بالسيدة.
 - ٥- اضطررت لتعديل هذا النص لبيانه الشديدة، وكلمة الزانية الموضوعة هنا من عندي وهي ترجمة فصيحة للكلمة العامية والكلمة (....) هي الاسم العامل من لغصو التناصل لدى المرأة كما أن كلمة لا طونا، هي ترجمة فصيحة للكلمة العامية التي تؤدي معناها، ولم أفهم على من يعود الضمير في هذه الكلمة.
 - ٦- هنا خطأ إملائي ولعله يقصد الميكروجيوب والميفي جيوب.
 - ٧- الكلمة بذيئة ولهذا ترجمتها من العامية إلى الفصحي.
 - ٨- تعبير عام من المقصود منه ممارسة العادة السرية.

صفحة الغلاف الأخيرة لكتاب الموقى

صلاح عيسى

في الثامنة والربع صباحاً علمت بخبر مصرع حبيبتي الأولى. كان يوماً خريفياً حزيناً، أذكر ثوانيه المعدبة لأنها ملأت روحى رماداً محترقاً.

من اللحظة التي قلقت فيها خطواتي على محطة الترام، وإنما أنظر إلى ساعتى متوقعاً أن أرى خطواتها الهادئة تبرغ من منحني الطريق حتى اللحظة التي أمضنى فيها القلق، فمحضيت إلى شارعها، يقود الخوف خطواتنِ، أملأـ أمل اليائسـ إلا أقابل أخاها في الطريق فيسحبنى من يدي بحقوق الصداقة الطويلة، ويتجه بي إلى أي مكان. في ذلك الصباح كنت شديد الشوق إليها. كنت سأضع كفها في كفن، أضغطهاـ انظر إليهاـ اشرب في برد الصباح دفء عينيهاـ أدثر بالرموش وحدقى المقرورةـ نسير مشوار صباحنا الطويل، عبر شوارع غسلها ندى الفجر، فتأمل مولد الشمسمـ ونحلم بالزوارق والأشرعةـ.

في ذلك الصباح جاءهنى صوت أمها يصرخ من الشرفة بجنون اليأس والعجزـ تفتقـت في كلمات الخبر المتسرية إلى أذنـ كل قدرتـ أن أفعل شيئاًـ حتى البكاء عز لحظتهاـ

* فصل من «مجموعة شهادات ووثائق لخدمة تاريخ زماننا».

ضفت به العين. (شد ما بكتنا بعد ذلك حتى في عمق الضحكات) . بدا الأمر بسيطاً
لشقيقها الصغير وهو يروي الخبر:

دهمها الترام وتحن عائداً من المخبز، يسأله الذي يأبى إلا أن يعذبني عن الوقت
ساعتها فيذكره بالثانية . كنت لحظتها أضحك وأقهقه، أروى فكاهة لجاري . هكذا قدر
لوعدنا الصباحي ذاك أن يكون في المشرحة، فماذا فعل الترام بشعرها الطويل؟ . وانفها
الدقيق؟ . ماداً فعل بسمة الشفة ورنوة العين ، واحتضان الرموش للخد . وعندما
هرست الأحلام الغضة. هل صرخت بأعلى صوت؟

تمر الأيام فتذكري بها كل لحظة زمن، كل صورة في صحيفة . في ثرثارات العابرين.
بعض كلماتها التي أسرت القلب. لذلك أصبح الزمن كله ذكرى العجز عن التسيان . في
صالة منزلهم ، نفس المكان الذي التقت فيه العيون لأول مرة ، تحاورته تحدثت . أمها
محترقة الرأس، هدمها التكل وابيض من هول المفاجأة سواد شعرها الذي قاوم الزمن
خمسين عاماً طوالاً، لم يبق من عبيرها سوى روائح المشرحة النفاذه ، فهمتني يسرع
الأنف في براح العبير النقى؟ أما الأطفال فما أسرع ما يهملون الأكدار.

صديقى قال:

- تعال ذخرج.

شد ما تتهيب أن تخلو به . قام ليرتدي ملابسه . قال الطفل الصغير .
- أبيه شوقى، خذونى معكم.

ريت كتفه ، في عينيه شيء من رنا عينيها

- يجب أن تنام الآن . اخرج في الصباح

تعلق برقبتنى ملاحاً:

- ولكن ماماً تمنعني، تقول أنت لو خرجت وحدى يصدمنى الترام، كما صدم أبله
سلوى .

الأطفال أيضاً معذبون ، وليس هناك شيء يقال .

- ... لم يصدمنها الترام . هي التي رمت نفسها، قلت لها: حاسبين يا أبله سلوى، لم
تسمع كلامي .

بكـت الأم . تلك الصورة القاسية لماذا حفظتها ذاكرته الجهنمية ، أهى حقيقة أم مجرد
وهم رسخ في ذهن الطفل؟

وفحن في الطريق والصمت رفيقنا الثالث . برقت لحظات تذكار سريعة: صوته الأ Jegش

وهو يقول شيئاً حماسياً.

- يوم لقائنا في فناء الكلية، استعار مني مجلة تصفحها مسرعاً، ألقاها على الأرض،
قال : صحافة قوادين. من الكلمة بيننا علاقة طويلة متشعبة وضعتنا على حافة
السجن أكثر من مرة.

لماذا اختار المكان نفسه، حيث تعودنا - أنا وهي - أن نلتقي، أهي مصادفة؟

.....

على المادة المنفردة كان الضوء ضئينا، امتص النهر نظراته لوقت طويلاً:

- إلى أين ذهبت؟

- لا أدرى.. ولكنكم التقىتم هنا كثيراً.. أليس كذلك؟

بعد لحظة صمت:

- أعني أنت وسلوى...

في دوامة المفاجأة شل لسانى:

- لا تؤاخذنى .. كان لابد أن أفحص أوراقها لأحتفظ ببعض الأشياء ووجدت هذه
الرسائل.

وضع على المنضدة مظروفاً كبيراً.

- إذن كنتما حبيبين؟ عجبت في اللحظات الأولى لحزنك الشديد، ولكن فسرت الأمر
بأننا أصدقاء قديماء.

(لابد أن يكف هذا الدق الشديد على جدران الرأس ولا تفتت إلى مرق صغيرقة وكيف
أتبع لعين غريبة أن تقرأ كل خفقات القلب وهمساته؟)

- أساءتك هذا؟

- لا أدرى ولكن أريد أن أعرف كل شيء.

أنقلنى كوب ماء متلجم. أتي الغروب على استحياء . ارتمت الشمس مختفقة عند
الأفق. ابتلعتها صفحة النهر:

- هل سمعتني؟ أريد أن أعرف كل شيء؟

حررت في تفسير لهجته، ودام غضب؟

مضى كل شيء فيما جدوى العبث في الجروح الطيرية؟ . لا تتذكر البداية ما الذي
ترويه وما الذي تتركه؟ أقرا كل شيء حقاً- لو سمح الوقت لقراءت المظروف، عرفت ما
بقى من الرسائل فقرأه ، وما التهمة الزمن منها، إذ ذاك أستطيع ان أصور الأمر في

١٩٦ حدود ما افتقض من السر. هل أنا في نظره خائن؟

هل يتذكر انه أتاح لنا فرص لقاء كثيرة في مناخ الثقة، أتراه ينتمي على هذا؟

بعد لحظة صمت قال:

اعلم أنها كانت شديدة الحساسية، حذرتها من هذا مراراً، طمحت يوماً أن أكون أخاً عصرياً بكل معنى الكلمة.

احتسى بعض الشراب. أردف:

- ينبغي أن يحكم ما في رؤوسنا كل سلوكنا في الحياة.. وهذا شيء صعب طبعاً بيدك انتي حاولت.

خرجت من صمتى . امتص الظلام دخان سيجارتى المتفوتو..

- وقد تجحت في محاولتك

هز رأسه في يأس..

- لا أظن .. كنت سترى .. فقط كنا ننتظر لنتأكد من مشاعرنا قبل إعلانها، أكذب؟، نعم. ولعله يعلم هذا. الشعور المر بآني خائن يلفني كالشنقة فمن حرث قلبي ويدره فيه؟

- أرجوك .. قل الحقيقة.. لا داعي لهذا.

يتربص الأسماء فوق الملائج:

- أبداً .. قصة حب عادية .. أنت تعلم طبعاً قصصي الحب.

هز رأسه يائساً، ذقنه مدبة كذقنها. أول جمجمة رأيتها في حياتي في عمق ليل الشتاء، الظلام يحيط بباب النصر، أقسم الرجل ذو الجلباب أنها هيكل عظيم لم يلت قديم. فاحت رائحتها الكريهة. فشلت كميات الفورمالين في تبديدها . وعندما فتحت الحقيقة في فضاء الحجرة نشرت الرائحة كأنها بعض الجدران.

- أعلم أنها قصة حب، ولكن .. أليست هناك آية تفاصيل؟

، ملائين اللحظات المضمحة بالسرقة، أفراح وأشواق ولهفة ظلماء، وقلق مدمراً، وحساب عسير مع النفس ، فماذا تروى وماذا تدع.

على صفحة النهر مرت سفينة ضخمة، أكواوم من الحجر الأبيض الكبير، وفي المنتصف شعلة ضوء ضئيلة، وأشباح رجال، وغناء شجي ابتلعة الظلام.

بدت الرحلة ضرورة يفرضها ما نشعر به من إرهاق ، ولا بد من الهروب من الاستجواب المر. كان العمر خالياً من التفتيش المستمر بما في داخلنا وهذا أنت تواجهه الريبة في

نظراته الصافية . فكيف ثبتت أنك برع في قطع الندى . تحيل الخمر اعتى المعضلات إلى نكتة مازحة . سنتقى غداً أو بعد أيام . سيستمع صوته الجهوري يتحدث عن الثورة والإنسان والمستقبل فيهتز القلب كما اهتز لوقع الكلمات أول مرة . أذناك ككل شيء فيك خائفة ، رأسك عارية كجمجمة المجهول التي تلقيت عليها أولى معلوماتك عن التجويف العظمني . أدق لحظاتك محفوظة الآن في هذا المظروف الصغير أمامنا . وكانت البداية لحظة لقاء خاطف أمام باب السينما .

... اقتربت منها ، عرفتها بملابسها كما وصفها ، الحقيقة في يدها ، جسدها الرشيق يتتحرك في بلوزة صفراء وجوب ، أسود متسع وشعرها الأسود الطويل يهتز فوق جيئتها . مددت يدي الضخمة لتحتضن كفها ، جفلت كأنها لم تر من قبل رجالاً :

- أنت سلوى .. أليس كذلك؟

- الأستاذ شوقى؟

هززت رأسى ، خطفت نظره منى :

- أبيه محمود يعتذر ، اضطر للسفر أمعن وهذه هي الكتب .

تناولت منها الحقيقة كما لو كنت أحملها عنها ، تقدمت سائراً . حاذقنى .

قللت مموهاً :

-أشكرك .. هذه الكتب تنقد السفه من الضياع .. لم أكتب ولا محاضرة .

- أنت وأبيه محمود في سنة واحدة؟

- تقريباً .. ولكن كسلان كما ترين .

ابتسمت ابتسامة خافتة ،

- ولكن الحقيقة مغلقة بالفتح .

صحا صوتي ارتفع عما قدرت :

- هل حاولت فتحها؟

- أردت وأنا في المدرسة أن أضع كتبى فيها بدلاً من أن أحمل كتبى

توقفت قليلاً تلتقط أنفاسها ، قنهد صدرها الرقيق ببعده ،

... وجدتها مغلقة ، اضطررت إلى ترك كتبى في المدرسة .. لن أذاكراليوم ، ولكن كيف تفتحها أنت؟ أقول لك .. الديك أجنة؟ الأفضل أن تصنع طفاشة ..

ليس هذا أنساب الأوقات للثرة رغم ظرف الكلمات ، لذلك لا بد أن نمضى ، تمكنت عيني الزائعة بحثاً عن أي كمين أن تلتقط اهتزاز شعرها ، وهي تسير بخطواتها

الحقيقة..

نقرات أصابعه القلقة على المائدة ليست رحيمه كما كان صوت خطواتها، شاريه الستاليين يبدو قاسيأً، وكان طيباً دائماً. رفع صوته:

- هل تحاببتم من زمن؟

لن يكف عن النبش في الجراح، لنقل أي شيء؟

- عدة شهور قبل الحادث؟

- ولكن هناك خطابات يعود تاريخها إلى عامين سابقين؟
تحضر لنفسك قبر الأكاذيب. ولا فائدة:

- حقاً. ربما .. هذه أشياء لا تؤرخ .. وذاكرتي ضعيفة، أذهلتني الصدمة. دعنا من هذا. كان المنشور الأخير من نوار. وزعنـا منه عدة آلاف، يقول إسماعيل البهنسـي، أن عمالـاً كثـيرـين طـالـبـوا الـاـنـخـفـفـ لـهـجـتـناـ. متـىـ نـطـبـعـ المـنـشـورـ التـالـيـ؟

رفع طرف شاريه بسبابته.

- سنبحث هذا غداً..

هـرـفـعـ بـأـصـابـعـ طـالـبـاـ كـأسـينـ آخـرـينـ. أـشـعلـ غـلـيـونـهـ. مـحـمـقـ بـأـرـعـ إـلـاـ مـاـ تـعـمـدـ أـنـ
يـسـقـيـنـيـ الـخـمـرـ لـيـنـفـلـتـ لـسـانـيـ، عـلـىـ أـنـ أـظـلـ مـتـيقـظـاـ مـهـمـاـ حدـثـ.
وـمـاـ أـقـسـىـ أـنـ أـظـلـ أـرـاقـبـ نـفـسـيـ، فـأـضـيـفـ إـلـىـ الـذـيـنـ يـرـاقـبـونـيـ وـاحـدـاـ.

.....

.. حتى الجميلة الرقيقة عرفت بـحـبـتـ الـمـسـتـجـوبـيـنـ وهي بـعـدـ بـرـعمـ صـغـيرـ ماـ كـادـ يـتـفـتحـ.
كـانـتـ عـيـنـاهـاـ شـقـيـتـيـنـ سـاعـتـهاـ. قـدـمـتـ الشـائـيـ وـقـالـتـ أـنـ مـحـمـودـ بـالـحـمـامـ يـغـنـىـ
أـسـعـفـيـنـ يـاـ دـمـوعـ العـيـنـ، وـلـنـ يـنـتـهـيـ مـنـ الـاستـحـمامـ قـبـلـ أـنـ تـنـتـهـيـ الـوـصـلـةـ. اـبـتـسـمـتـ
لـخـفـةـ لـهـجـتـهاـ. ضـحـكتـ غـماـزـاتـانـ فـوـقـ وـجـنـتـيـهاـ. بـيـجامـاـ عـذـرـيـةـ تـحـدـدـ خـطـوـطـ جـسـدهـ
الـرـقـيقـ، الـكـتـابـ فـيـ يـدـهـاـ. سـؤـالـهـاـ عـنـ مـعـادـلـةـ فـيـ الـكـيـمـيـاءـ. أـجـبـتـهـاـ فـيـ ثـقـةـ. ضـحـكتـ
ضـحـكـةـ خـجـولةـ.

قالـتـ:

- ولكنـ الـكـتـابـ يـقـولـ غـيـرـ هـذـاـ .. وـلـابـدـ أـنـ بـهـ خـطاـ ماـ.

وـعـنـدـمـاـ اـكـتـشـفـتـ خـطـائـيـ . قـلـتـ ضـاحـكاـ:

- مـعـظـمـ الـعـلـمـاءـ لـاـ يـذـكـرـونـ أـوـلـيـاتـ عـلـومـهـمـ.

- هـذـاـ مـاـ قـالـهـ آبـيـهـ مـحـمـودـ تـبـرـيرـاـ لـخـطـئـهـ

- هلـ تـعـقـدـيـنـ لـنـاـ اـمـتـحـانـاـ؟

عندي في مقالة عندها...

- لا .. ولكنه عالجنى مرة من الانفلونزا بأدوية معقدة دون شفاء، كم قطعة سكر؟

- ثلاثة . فهم طلبة كمال

توقفت يدها التي كانت تذيب السكر في الشاي وقالت:

- كشف مهرب البر جوازية يأكل وقتكم.

مقدمة الموضع كله:

- فعدك بأننا سنكون أطباء ممتازين .. متى يأتي محمود؟

ضحكـت غـماـزـتـان عـلـيـ حـافـيـرـ وـجـهـهاـ:

- لمن يأتي قبل أن تسعفه دموع العين.. هل في حقيتك «أرجوز برجوازي»؟

العبارة فاضحة هي عنوان المنشور، فالي متى نتجاهل؟

— في الحقيقة معاشراته، حيث أنها شاكراً، ثم نجحت ساتيك بهدية.

وقد ثبتت عينيهما في عيني:

ـ علبة شيكولاتة، أليس كذلك؟ لست صغيرة إلى هذا الحد. فتحت الحقيقة وعرفت ما
ـ لها.

اشعلت سعادت، من قمکا:

- ما اظنهن اخلاقی سوچت نک بهدنا.

- حدث الأُمُر صدفة ، فهي تشبه حقيقتى تماماً، مفتاحهما واحد، وقد سمعت مراتاً
حاديـش مـحـمـود ،

نفخت قلقة، دخاناً، قالت:

ما وصف

حرب في الإجابة، كيف يمكن أن أبسط لها الأمر، كما بسطته للعديد من العمال من قبل ، لحظتها صاح إسماعيل اليوناني ديا سلام يا جدعان .. كلام ما يخرش الميه ..

لهم تترکنْ أفكـرْ

- آنتم شواعون؟

تسلیم

10

- ١٢ -

-کشیده هایی که ممکن است در اینجا آورده شوند

Singer -

- هي كل خطوة فخ.. وقد لا تكون معك غداً..

- ولكن لا بد أن معكم بنادق ومسدسات..

ضحكـت من قلبي:

- وأحسنـة وقناعـات، وأنشـوطة راعـى البـقر.. تـفكـيرـك سـينـمائـي من مـارـكة جـارـى كـوبـرـ.

فـي ذـيل ضـحـكتـها جاء صـوت مـحمـود مـن الدـاخـل ، قـاـلت بـسـرـعة:

- الظـاهـرـ أنه لم يـنتـظرـ حتى تـسـعـفـه دـمـوعـ العـيـن.. أـرجـوكـ لا تـخـبـرـه بشـئـ ما دـارـ
بـيـنـناـ.

قبلـ أن تـجـيبـ عـلـى دـهـشـتـنـي كانـ قد وـصـلـ إـلـى مـكـانـنـاـ، اـنـجـنـتـ خـارـجـةـ بـالـأـكـوابـ الفـارـغـةـ،
أـكـدـتـ عـيـنـاهـا الرـسـالـةـ. لـلـمـرـةـ الـأـولـىـ يـغـوـصـ الـقـلـبـ حـتـىـ الـعـمـقـ فـيـ صـفـانـهـماـ ... فـهـلـ
كـتـبـتـ لـهـاـ هـذـاـ مـرـةـ فـيـ رسـالـةـ؟ـ وـأـينـ هـىـ الـآنـ؟ـ.

.....
 جاءـ النـادـلـ بـكـأسـينـ:

- أـخـلـبـ الرـسـائـلـ خـيـرـ مـؤـرـخـةـ بـتـارـيخـ السـنـةـ. أـرـدـتـ أـنـ اـخـتـبـرـكـ ، ثـبـتـ لـىـ أـنـكـ تـكـذـبـ.
برـجـاءـ:

- أـلـاـ تـعـدـلـ عـنـ هـذـاـ الـحـدـيـثـ صـوـنـاـ لـلـعـشـرـةـ؟ـ
فـخـ فـيـ الـهـوـاءـ:

- هـذـهـ لـيـسـ مـحـلـ مـنـاقـشـةـ، وـمـعـ ذـلـكـ فـيـانـيـ أـسـالـكـ جـادـاـ عـنـ التـزـامـكـ بـهـذـهـ العـشـرـةـ.
هـلـ تـعـصـفـ رـيـحـ الـاسـتـجـواـبـ بـصـدـاقـةـ أـزـهـىـ سـنـوـاتـ الـعـمـرـ؟ـ مـاـ أـتـعـسـنـاـ حـقاـ.

- مـاـ بـيـنـنـاـ لـيـسـ صـدـاقـةـ تـقـليـدـيـةـ.. وـلـكـنـهـ أـرـقـىـ مـنـ هـذـاـ بـكـثـيرـ.

ويـشـئـ مـنـ الـحـدـرـ أـضـفـتـ:

- وـلـاـ يـجـوزـ أـنـ تـؤـثـرـ مـسـائـلـ شـخـصـيـةـ فـيـ أـشـيـاءـ أـهـمـ مـنـهـاـ بـكـثـيرـ.

بـغـضـبـ:

- لـاـ أـسـمـحـ بـهـذـاـ الـكـلامـ.. لـسـتـ طـفـلاـ.. وـلـكـنـكـ تـحـاـولـ إـحـرـاجـيـ وـلـاـ تـجـيـبـ عـمـاـ أـسـالـكـ
عـنـهـ .. مـلـاـذـاـ تـعـالـجـ الـأـمـرـ بـكـلـ هـذـاـ الـخـبـثـ؟ـ

.....
- كـنـتـمـاـ تـلـتـقـيـانـ هـذـاـ كـثـيرـاـ؟ـ نـعـمـ آمـ لـاـ؟ـ

- قـلـتـ أـنـ هـذـاـ حـدـثـ؟ـ

- يـومـيـاـ؟ـ

- بـالـطـبـعـ لـاـ.

- أجب.

- تقريباً

تنهد بارتياح كأنما أسعده أن أوقع بي

- وكانت تعلم أشياء لم يكن يصح أن تعلمها؟

- ليس بالضبط.

- بعينين مفترستين:

- أيسعدك أن أقدم دليلاً على كذبك؟

هتفت:

- لهم انكر، ولكننى أعرف واجبى تماماً.. ولا يجوز أن أكون محل مسالة شخصية
منك، ولو أردت هلهذه المسائل أوقاتها وأمكنتها التى تعرفها جيداً..
انحنى النادل واضعاً الأطباق المساعدة، أخففت الثلوج والماء، الشغل بخشوا غليونه.
عبر أمامنا عاشقان شاردان، قلت أن على أن أترك المكان فوراً لو أردت إلا تفهم أشياء
عزيزة.

.....
... تطوف بالنفس كذكري . تسبح التعب والإرهاق وما نلاقي من حصار . ومس
شفتيها لباطن كفاك ذكري مختزنة لن ينساها القلب مهما بعثت الأزمان . واعترف
بأنك قلت لها أشياء ما كان يصح أن تقال، كانت جزءاً منك لا تستطيع أن تخفي عنه
 شيئاً . مشوقة ابداً إلى الفارس والنبي وحتى الآله . وكانت معبودها ، وكانت قبلتني .
شهدتنا شوارع المدينة نضحك ونثرثر ونملأ الفراغ قصور وهم، وعرف القلب مسرات لا
حضر لها، وما أمتخ أن يشهدك جزء من اليوم متجمساً تخطط للعالم مستقبلاً وسط
دخان اللافاف، وتواجهه مع عدد قليل قوى عاتية، يظنه الكثيرون بهنائى حتى في لعن
القلوب وترها عيوننا الشابة وسط دخان اللافاف مجرد فمور من ورق ويهقه
إسماعيل البهنسن،

- أى وعهد الله ، مدير شركتنا ورق، دا حتى ورق بفره؟
ويشهدك بقية اليوم محبباً ، رقيقاً حانياً، تخطط لعش غرام صغير فتعجزك الوسائل
وتثنؤه بحمله، ومرة ذكر الزواج.
قلت:

- ستعانين كثيراً..

ابتسمت ..

- وسأسعد كثيراً

- هذا يتوقف على مفهوم السعادة لديك ، ومن واجبى أن أوضح لك أن عناوين كثيرة ستدخل حياتك ، ربما لا يبدوا لها معنى الآن. تناولت كفى:

- البرجوازية وعرفناها ، وكذلك البروليتاريا .. لكن أعدك أفنى سأعرف أكثر.

- لا أعنى بهذه ولكننى أعنى المصطلحات الأخرى.

- لا أفهم..

- المطاردة والهرب والتفيش والاعتقال والسجن.. وربما القتل.
جفلت قليلاً.. ضغطت بكفها كفى.

- عيبك أنك تتصورنى أصغر مما أنا في الواقع.

بعد لحظة صمت:

- طابعك العقلى البارد غلالة خارجية .. أنت حس خالص حتى فى السياسة. الصغيرة الرقيقة تتقن الكلام، وهى بعد زهرة فيها حنو الطبيعة ورقتها ، وتباحث عن لحظة تصنع فلا تجد ، كذلك خلا وجهها من الأصابع، لتعجب من تفتن الطبيعة فيما تصنع . خبرة آلاف السنوات فى صنع الجمال ، وما أبسط تعبيرها عن أحاسيسها ولعلها صدقـت فيما قالت ، بذلك يتحقق القلب عند لقائهما كما يتحقق فى تلك الجلسات العاصفة.

.....
آن أن تعرف الخفقات الخانقة ، ولم يمض على رحيلها أسابيع . فتأمل ما خلفته فى القلب من ندوب. عمما كان يتكلم منذ لحظةٍ. تاهت فى صرخات الخمر قدرتك على الاستماع. يظلل الكدر مجلسنا . كان قريباً دائماً من القلب والروح هكيف هان عليه ان يخنق كل شيء فى هذا الاستجواب القاسى

- مادمت لا ت يريد أن تتكلم سأذكرك.. أرسلتها لك أول مرة بالحقيقة.. أليس هذا صحيح؟

- نعم.

- هل تعارفتما قبل هذه المرة؟

- لا..

- وماذا دار بينكما فى هذا اللقاء؟



- لا شيء سلمتني الحقيقة فأخذتها . ومضى كل إلى حاله ، خشيت أن تكون مراقبين .

- ثم التقitemا بعد ذلك في منزلنا؟

- نعم .. وتحدثت معها قليلاً حول دراستها .

- وأرسلتك، مرة إلى مدرستها، لا ذكرأي مناسبة؟

- ليس لمدرستها ، ذهبت للصحة المدرسية لأوصي بها صديقاً طبيباً .

نظرنا إلى بعيني صقر:

- ذاكرتك قوية .. فلماذا تدعى التسيان، هه، ماذا حدث في هذا اللقاء؟

- لا شيء .. ذهبت معها وحدت بها إلى البيت .

- على الفور؟

نعم.

- ولكنكم تأخرتما ثلاثة ساعات .

- تذكرت .. كنا مرهقين .. دعوتها لشرب عصير فاكهة .

- أين؟

هنا في هذا الكازينو.

تنهد بارتياح شديد

- هل قلت لها أنك تحبها يومذلك؟

- لا .

- متى قلت لها ذلك؟

- لا أذكر..

إلى الثغر المزعج عاد. حبات العرق تجمعت على جيئتي . كأول مرة أخرجت فيها المخ من تجويف الرأس، عبّشت فيه بأصابعى، بددت على المنضدة ما يحمل من أسرار وأمال وذكريات. استسلم لشرطي دون أن ألم فمتنى بدركنا قبس من رحمة كتلك.

فجأة:

- هل قبلتها؟

- لا ..

- ولا مرة؟

- قلت لا .

- غريبة، أتذكر أذلك كنت تبدو هي بعض الأيام مرحماً أكثر مما ينبغي .
وكثيراً ما كنت تثير مناقشات لا تقلق إلا العاشقين، أيها أجمل، العيون السوداء أم

- ماذا كان لون عينيها؟ أنا نفس لا أذكر، مع أنها اختي وقد تربينا معاً، أظن أنها كانتا سنجابيتين، لذلك تحمس يومها للعيون الستنجابية!

أجل كانتا سنجابيتين، حفظت كل تفاصيلهما . تغزلت فيهما . النهر والهواء وحتى سور الكورنيش شهود على كل ما كنا نقول . قبلتها في ليلة صيف . في لحظة معلقة بين الليل والنهر. أنهكنا أنا ومحمود عمل الليل الطويل . استيقظت كعادتها فجر كل يوم لتنسق كل استذكارها . أطلت علينا عبر باب الحجرة . رأيت شاعر الفجر ومطلع الصبح وشعرت بملامح قطر الندى وسمعت شقشقة الطيور . وهي تنحدن أمامنا بصينية القهوة . اقترب كيأنها مني . تهدل شعرها الأسود الطويل فازداد دنواً . شمنت عبير الصبح . إلى الغرفة الأخرى ذهبت لأبحث عن كتاب في المكتبة . من النافذة كانت تطل ، استدارت بمجرد أن دخلت . اشتربكت عيناهما المفسولتان بندى الفجر بعيني المرهقتين المتعبيتين . تماست يدانها فوق كتاب كنا نبحث عنه . وجدت كيأنها بين أحضاني يتنهد بيطء . عرفت من شفتها اللدنتين الرطبتيين لأول مرة . انساب إلى مسها الدافئ . من الغريب أن صدري لم ينشق لكن يحتويها كما كنت أطمح . ابتعدت عن أخيراً وقطرة من الدموع معلقة بعينها . تشاغلت بها عن الإجابة عن نظرتي المستفهمة . عدت بالكتاب ، بيد أن السؤال ظل معلقاً في الغروب التالي قالت:

- أظن أنها تخون ثقة محمود.

- أنا على استعداد لأن أفتحه .. محمود إنسان عصرى بكل معنى الكلمة ولن يزعجه في شيء أن فتحاب.

- هذا مجرد كلام.. أنا أعرفه أكثر منك .
تناولت كفها بين يدي .

- هناك جوانب أخرى فيه غير أنه شقيقك .. أنا أدرى بفكوه جيداً، إنه أكثرنا تطرفاً . سهمت نظرتها الحائرة بعيداً . الطريق خال إلا من أقدام قليلة لم نعثرها انتباها .

تأملت جانب وجهها مشوفاً . فكرت أنه ناعم الملمس ، ويدعوا للقبل والغناء . قالت:

- لدى ما يحملنى على الاعتقاد بأن هذا رد فعل لعجزه عن تحقيق ما يؤمن به حتى في محيط أسرتنا .

- هذه قسوة لا مبرر لها .

- ومرة سأله نفسى لماذا تطمحون إلى فرض تصوركم على العالم، وأنتم غير مقتنيين
به فيما يختص بذواتكم؟

معاتباً:

- سلوى .. كيف هان عليك هذا القول؟

بسمة محربجة:

- لا تزعل . عشت نهاراً كابوسياً.

حائراً:

- ليس هناك ما يدعو لهذا .. اتظنني أنى أخدعك؟

- نفيت الفكرة عندما طافت بي .. والحقيقة أنتى ارتعبت من السقوط. أحطت
خصرها بذراعى.

- أنت أكثر براءة من ملاك.. وعلى أن أقر أن تحويلك إلى زوجة سيكون أكثر تعقيداً
 مما انتصدى له من مشكلات معقدة.

اطبق الصمت على الطريق، وكنت أتوق إلى عالم البراءة،وها هي نبتة من زرعه
القليل. فلمتني يرتاح العالم من الشر والقتل والظلم. آنذاك يخلو لنا الجو للحب
والفرح.. وتطير العين بين أسراب الطيور ، دون كلل.

.....

هل آن أن تقر بأنها كانت تفهم أخاها خيراً مما فهمته . ينصب المشانق وفخاخ الاتهام
لتواجه وحيداً أسلحته العاتية. والقلب الحزين أعجز عن أن يصد مطاراتق الاستجواب ،
وعلى المنضدة حزمة الرسائل: أدلة اتهام خطيبة ليس من السهل تفتيدها أو الطعن فيها
ولو حتى بالتزوير . والذاكرة الخؤون تأبى إلا أن تعذبك.

مد يده إلى جيبي أخرج عدداً من الأوراق:

- مادمت مصرأ على الكذب، فساوا جهوك بالأدلة، تقول أنت لم تقبلها، إذن فما معنى
هذه الجملة

مقاطعاً...

- محمود .. لا داعي لهذا.

تجاهل مقاطعتى .. تعممت شفتيه ببعض كلمات من الخطاب ، ثم رفع صوته:

- هذا عن العينين السنجاويتين.. أسلوبك بديع ولك مستقبل أديس مرموق .. آه ..
هذه هي الجملة ، وضفت تحتها خطأ .. شفتك عالم من الدفء والنشوة.

أجل كانتا كذلك ولكن يا للخجل .. هل تتحصن بالكذب مرة أخرى:

- هذا مجرد خيال محبين، وهو لا يعني شيئاً.

- أنت تكذب، إليك بقية الجملة، عرفت عندما قبّلتك في تلك اللحظة المعلقة بين الظلمة والنور أن قدرى أن أعيش بينهما.. ما قولك.

- ليكن.. قلت أذنا كنا محبين وكفى.

- إذن قبلتها؟

- نعم؟

تنهد بارتياح.

- كم مرة؟ أقول لكه لا داعي، لدى ما يؤكد أنها مرات متعددة.. ولكن هل .. ممست صدرها؟

آه: الجميلة الرقيقة التي كانت تخجل من لمسة اليد ورفة العين، وتذكر يوم بكت مجرد القبلة، فكيف يمثل بها هذا التمثيل الشنيع.. أيبدو الموت رحمة بها؟

- هل ممست صدرها؟

- لا أدرى إلى أين تدفع الحديث.. أنت تجلد ميتين.

نفع بیأس.

- أنت جلدت كل شيء .. ألم ترو لها ما يعرض أمن الآخرين للخطر؟..

- أردت أن أجعلها تستعد لما قد تواجهه إذا ما تزوجنا .. ومن الطبيعي أن .. أدق بعنف على المنضدة.

بشراسة . لا تتورط في أكاذيب جديدة والا خسفت بك الأرض.. نحن لا نهزل . فكيف تعرض أمننا للخطر بهذه الاستهانة؟

- سامحك الله.. أنت غاضب ولعل أحزن منك» ولكنها اختك وما كان لي أنأشك فيها..

منغلاً:

- قلت أذنا لا نهزل .. من حقى أنأشك في أي إنسان حتى فيك أنت نفسك
محض وقت قبل أن استوعب ما قال . تترسب المراة تدريجياً في قرار القلب. التفت خلفي . عاشقون يحتمرون بمظللات من نظارات النجوم . وسوست ضحكة خافتة وأصوات هامسة كحدرتلليل. مرة قلت لها أن أنفها كأنف كليوباترا فافتر شعرها عن بسمة خجولة ولم تجب . وتحدثت عن إسماعيل البهنس وحبيبه عزيزة طويلاً.

وقالت أنه ضخم ومخلص، فهو كل العمال هكذا؟

وهذا النهر كم مساحت عيناه سطحة بتبتل العاشقين..

- لا تلزم الصمت.

ثم ببرة ساخرة:

- من الطبيعي الا تستطيع مقاومة لحظة كالتي يقضيها من يجلسان خلفنا . وبين القبلة ودغدة الصدر تعرض مستقبلنا للخطر.

كان صدرها كبر عم تفتح حديثاً.. احسست به دائماً في صدرى يتنهد ببطء..

- كف عن الكلام البذئ ولا انصرفت فوراً.. إن ذكرها أعز عندي من صداقتك.

صرح بعفف:

- لا أكل من هذا الكلام، ما أسهل أن تتسلل كفك من فتحة البلوزة، هذه أشياء تحدث كثيراً وانت تعلم هذا..

- قلت لك أن هذا لم يحدث ، كنا حبيبين، قبلتها وقبلتني، وكنا نعتزز الزواج ، و كنت ستعلم كل شيء في حينه.

- كذاب ، لديك شقة تقيم فيها وحدك ، ولعلها ذهبت إليها آلاف المرات» ويبدو أننى ساضطر لطلب نتيجة التشريح لكي أعرف هل ماتت عذراء أم لا ..

- أنت مازوكى.

- لا تضحك على بكلمات استطيع أن ألقى في وجهك بمئات مثلها..
.. ثم بضعف مقاجعه.

- إننى مرهق.. مرهق.. ولكن أحثنا لم يكن بينكمَا شيء غير القبلات.. لا أظن، فى الخطابات كلام كثير يحتمل مختلف التفسيرات، وقد أخذت أهمها وإليك الباقي، فقط أريد أن أسألك سؤالاً أخيراً، أظن أنها لم تتم فى حادث ، شككتى الطفل فى هذا.. لعلك.. لعلك غدرت بها، أفقدتها بكارتها وتخلت عنها، لا تفيد نتيجة التشريح بشيء، أنت تعلم هذا وأعلمك، كما أن هناك ألف وسيلة لممارسة الجنس دون أن تفقد الفتاة بكارتها.. ولكن.

ارتفعت الضجة فجأة حولى، ملاطنين كل شيء .. هرمت أقدام كثيرة راسى.. حثت خطواتي فى الطريق عائداً وحدي، تركته يتكلم مع الفضاء!

ثلاث مشائخ متينة الصنع

صلاح عيسى

.. ما من أحد من الذين يجلسون حولك .. (لا سكير ابن حشاش .. فلا تكن حنبلياً،

١- حالة الأوراق إلى فضيلة الفتى:

من تلك اللحظة بدا مقتلنا . كان ذلك في شمبوب الغروب . ونحن نغادر المدرج . فكرت أن اسمعها أفحش الكلمات . قاومت رغبتي بعنف خفت بعد قليل مخالفة رماداً في تجويف رأسى.

رفعت راسها فاهتز ذيل الحصان الأسود في مؤخرته . سالت:

- ما رأيك فيما قاله الدكتور كمال؟

كانت بعض الخبرات الخاصة قد علمتني أن أرد على السؤال بسؤال، طلبت رأيها:

- تعلم أن فهمي لهذه المسائل قليل .. ولكن الفكرة باهرة حقاً.

كان ذلك رأيي عدلت عنه في صدى رنة الثقة التي تكلمت بها.

● من المجموعة القصصية «بيان مشترك ضد الزمن».

- ليست جديدة على أي حال..

علقت بضحكة مقتضبة . عرجنا في المشي متوجهين إلى باب الجامعة الرئيسي . دقت الساعة .. لم أعن بمراجعة دقاتها .. في المقدمة أشباح تغادر المكان . دقات الأقدام تأتي من خلفنا . مغيراً الجو قلت:

- الفساتين الشتوية تزيدك فتنة.

ابتسمت . حفظت كفها على ذراعي ضفطة وقحة ممتنة . مس مرافقى جانب ثديها . هزتني رعشة دفء .

وأنا أقرأ ساعتي:

- مازال لدينا وقت نتعشى فيه بمنزلى .. موافقة؟.

ترككت ذراعي برد فعل لم تحسن التحكم فيه ..

- .. لدينا كمية من اللحوم والفاكهه ستوفر بها للأيام التالية:

- ورياض؟.

- لا شأن لك به .. ليس بالشقة ، فقد تغير عن المحاضرة .

أوقفتنا إشارة المرور أمام باب الجامعة . انعكست أشعتها الحمراء على وجهها ..

- رياض، كائن غريب؟..

وأنا أتناول يدها لنعبر الطريق.

- هذا ما يقوله المقدس سمعان ، وعندئ أنه من السهل أن ينفذ الجمل من سر الخياط ، أما المستحيل فهو أن ينفذ ابنه رياض ، إلى ملكوت السماء . ولكن هذا ليس موضوعنا . حول المقدس سمعان ، إيراد ماكينة الطحين إلى دجاج وفواكه ولحوم ، أدعوك لالتحام بعضها ، ويهمنك اعتبارى بعض هذه البعض.

- تنهدت ببطء ، تأملت عينها ، كانتا غائبتين:

- لا استطيع أن أتأخر .. نؤجلها لليوم آخر.

- التاكسي يقرب المسافات . لم نذهب منذ أسبوع.

تحمسنت في آخر مواقعها:

- لدى أسباب أخرى غير الوقت .. ربما بعد يومين أو ثلاثة.

هزت رأسى بابتسامة وصفتها بأنها وقحة ، سألتها والأتوبيس يهل من بعيد عما إذا كانت مصابة بمحضن.

- هل أدركتك الإكس؟

ضررتني ضربة خفيفة على صدرى . قفزت إلى السيارة في لهوجة شديدة . غابت في الفراغ .

عزيزى عادل،

تأكيداً لرسالتك رقم ٣٨ السابقة . وقياماً بمسئوليتي تجاهك أكرر لك النصيحة
، سحر، ليست مخلصة لك، تأمل صدرها ستجد شامة فوق النهد الأيسر وأخرى أعلى
السرة، وثالثة فوق مهبط البطن بقليل وفي أعلى الفخذ آثار عملية جراحية قديمة..
الا تستغرب معرفتى لهذه الحقائق؟

ـ ناصح أمين..

فتحت درج المكتب بهدوء .. أخرجت ملفاً ضخماً عنوان «سحر ١٢/٧، ١٩٤٣»، وارفقت
الورقة به، أعدته إلى مكانه.. أشعلت سيجارتي.

قال «رياض»:

ـ هل من جديد؟

ابتسمت.. قلت

ـ لا شيء .. خطاب من مكتب الأمن.

• • •

عند العشاء أشعل «رياض» موقد الكيروسين ... في ضيجه خف الزحام في رأسى ،
التهمت النيران جونلتها القصيرة التي انحسرت عن فخذ أبيض ذابل بحيوية دافقة.
اختفت الصورة كلها .. عادت الضجة تملأ كل تجويف الرأس.. الصالة زمهريرة البارد
والموقد ينشر ضيجه دون مقاومة .. فتح «رياض» فمه ليتكلم أزعجني منظر الطعام في
تجويفه..

ـ ما أخبار معاشرة الدكتور كمال؟ ..

ـ لا باس بها.

مستطلاً بعينيه بينما انباته تمرق فخذ الدجاجة .. قلت:

ـ شرح تجربة جديدة للعلاج الجماعي تقوم على اختيار جماعة تتخلص من
حساسيتها تجاه خطاياها بأن يعترف كل فرد بآثامه بصرامة تامة أمام الجميع.

ـ وهل فوجئت التجربة؟ ..

ـ ربما .. قال أيضاً إننا في النهاية سنجد أنفسنا أبرياء تماماً فيما فتصوره خطايا ..
هو بالفعل ما يفعله الآخرون.

ـ والفائدة؟

- سنعدل عن تأنيب أنفسنا بلا مبرر.

اضاف السكر إلى الشاي.

- تجربة مثيرة على أي حال ليتنى حضرت . أخذنى المقدس، لانتظار ظهور العذراء فوق قبة كنيسة الزيتون . لم أطق الزحام. قلت له أنتى أرغب حقا في الانتحار ولكن ليس تحت الأقدام. غضب عماك المقدس وأنذرنى بأننى سانهى من الملائكة ، فشلت فى كتم ضحكتى وهربت منه لكن انتحر فى مكان هادئ ، ولكن محاولتى ورثمتها ٣٨ فشلت.

- لماذا؟

- كان ظلام الشاطئ يخفي عاشقين افزعهما ظهوري. ظننا أنتى أريد بهما سوء وقد تحول المشهد إلى تراجيكوميدى من اللون المبتذل . وحاول الولد رشوتى خيل إليه أنتى شرطتى ، وفي النهاية فقدت حماسى للموضوع كله.

وأنا أرفض سيجارته المنتفخة ذات الأريح النفاذ:

- بودى أن أعرف سببا مقنعا لتفكيرك الهزلى في الانتحار؟

سحب نفسا عميقا من سيجارته . تأمل الرماد المتراكم في قمتها محافظا عليه. قال:

- سمعت أن المنتحر لا يدخل ملوك السماء.

في دفء الضحى بدا «التأيير الأخضرانيقا» على جسدها . أما مشارف فخذليها فناعمة بيضاء .. وحيدان كنا في البرجولا . عدد قليل من العشاق حولنا . قالت:

- هناني «الدكتور كمال»، أمعن على بحث أعمال السنة.

- عظيم.

بابتسامة زهو:

- المؤمن انه قال: عدلت عن الظن بأن الفتیات الجميلات دائما تافهات. فجر زهوها صديد الضيق في صدرى . هرست بأصابعه زهرة كانت قد أهداها لي قبل دقائق . لم أعلم.

التفت أهداها بوجهى لكن تصطادا عينى . أملت وجهى فأصابت القذيفة سحلية صغيرة كانت تصعد فوق جذع الشجرة. سألتني عما إذا كان هذا يضايقنى ؟ . ذفبت ذلك.

- أنت لا تغار على.

- الغيرة إحساس بدائى .. ثم أنت أثق فيك

غنی رادیو عابر فی الممشی المجاورة.

- تراجعت جارتنا مع امرأة الباب .. آه .. كانت معركة حامية.

- شغل عيال .. تراجعت أطفالهما ، وسرعان ما دقت النازف في العمارة، وارتضعت الأصوات بين الطابقين الأرضي والسابع عبر بئر السلم.

- قالت امرأة الباب أنها قحبة وزوجها قواد .. وأودلاها كلهم سفاح.

- هذا سبّ علني لو طبق قانون العقوبات
علا صوات الراديو خلفنا

- هل ما قالته عنها صحيح؟

- ليس هناك دخان بلا نار . جاري لن تنام لعدة ليال.

يدها في يدي ضغطتها . اختنق صوتي برغبة طارئة:

- أما نحن فنستطيع أن ننام، الآن؟

- في عز الضحى؟

- مما يحدد وقت النوم ليست الساعة، بل الرغبة.

كل شيء كان معروفاً من قبل . ونحن نتجه إلى التاكسي طلبت مني أن أكف عن الوقاحة ، باخ حماسى للأغنية التي كان الراديو يذيعها . يكرر المطرد المذهب باللحاج سمج في الشارع السابق لشارعنا سبقتها - كالعادة - بخطوات سريعة حتى لا يرانا أحد معا ، دخلت باب المنزل كالهارب خطواتها تدق الأرض خلفي في ايقاع رتيب ، يقلل التعود من سخف كل شيء اعترضت زوجة الباب طريقى:

- خطاب تلك يا أستاذ عادل.

عادت مريم ، من كوخها في بئر السلم ، الخطاب في يدها . أحد أطفالها يجذب جلبابها . عرفت الخط على مظروف الخطاب . ما انشط مكتب الأمن ، وما أكسل قانون العقوبات.

قبل أن أصعد كانت ، سحر ، قد وضعت قدمها اليمنى على أول درجات السلم:

قالت ، مريم ،

- أين تقصددين يا شابة؟

بغيط خائف:

- عيادة الدكتور مصطفى.

صعدت كالهاربة . وقفـت لحظة متعمداً حتى اختفت دقات أقدامها في الدور الثالث .

انهيت مسرعاً حديثاً ملتفاً بذاته مع زوجة الباب. لا حقتنى كلماتها في السلمة

السابعة عشر:

- جاءت، فردوس، الغسالة .. وستعود يوم الأحد.

ثم بصوت خافت:

- ربنا يهدى العاصي.

من الحمام جاء صوت المياه وهي قتساقط . أشعلت سيجاري . قضت رائحة الدخان على عبير تركته في الغرفة . فتحت باب الشرفة . واجهت ضوء الشمس . قالت ساعتي أن ، رياض، سيعود بعد ساعتين ، سحر، - كل مرة - تبكي الآن في الحمام وتمسح دموعها بظاهر كفها . كالعادة ستعود بعينين ذابلتين غاب عنهما وهج الشهوة ، كسيرتين وذليلتين .. لا داعي لل Yas أمامنا وقت لجولة أخرى . إذا غلبتها الشهوة تحيلها كائنا آخرأ .

تعلقت عيني السارحة بعصابير جاءت من المزارع القرية . متى اطير في الفضاء بهذه العصافير؟

عينا بباب عماراتنا تطاردان العصافير ، شاريه فضي ، يجلس كحكيم أفلست بضاعته . رجل منكسر أما زوجته فشرسة كوحش . قالت ، سحر، نظرتها ترعبني .. يخيل إلى أنها لا تصدقني . المزارع رحبة ومتسعة فلماذا لم تكون عصافوراً؟ . اصطدمت يدي بالخطاب .

عزيزي عادل

أنت إلى الآن لم تصدقني طبعاً . ولكن هل يكفيك أن تعلم أن ، سحر، عندما تغلبها النشوة تصبح قائلة ، رائع، .. ، مدهش، .. أيكفيك هذا لكي تتأكد أنني سبقتك إليها .

مخلص أمين

كان رقمه ٤٠ وضعته في الملف

٢ - المشنة الأولى : مقتل صورة عارية في المرأة

ليلة العيد التقينا . انتهوا من صلاة العشاء وبدأوا يصلون التراويح تصاعد تكبيرهم يقتحم صمت مخدعنا . كانت متشبثة بحملة صدرها تما允 في خلعها . لم تتنفس في آخر لحظات الممانعة أن تمد يدها المرتعشة بالرغبة فتظلم الحجرة . وانا منهمك في

عهلى طرأت على ذهني فكرة: هناك لاشك رجل يعاني سكرات الموت الآن في نفس اللحظة . طردت الفكرة في موجة تقبيل حادة . طاردنى بالحاج ، خهد حماسى لما كنت افعله . انقلبت راقداً إلى جوارها . كانت تلهث ذاتية . يدها تتحمس رقبتي . أدرت وجهي إليها شفتاي باردتان . لفظتهما . ظل وجهها على صدري . أشعلت عود ثقاب .. صرخت منزعجة ، سحبت الملاعة بسرعة ، وغضت نفسها . عاودتنى الرغبة أن أسمعها أفحش الكلمات، أتعامل معها كبغى، خفت أن أفقدها . تراجعت الرجل الذي يعاني سكرات الموت دخل الآن في مجال الغيبة . عاد فخذلها العاري يلقى نفسه فوق فخذلي .. البرودة تنتقل إلى جسدي عبر أنفاسها الساخنة . وجه الرجل الميت شق الظلام . احتاجت إلى كل قدراتي على الإبصار لكي اكتشف ملامحه . تأكدت أنه خالى، عيناه جاحظتان . بشرته مليئة بالتجاعيد . ملامحه تتجمع في تشكيل متسلول راج ، تعلق بوجهى المرهق .. أما أمى فكانت تخفي يأسها وحزنها في نظرة صابرة قال:

- كأس واحد .. واحد فقط ..

بدت لي الرغبة مشروعة تماماً . أما أمى فقالت لهجتها الصابرة

- لا .. الدكتور قال: لا

خارج الحجرة دمعت عيناً أمى .. بكى مثلها .

توقفت دموعى دققت النظر لم يكن الرجل خالى المجاور للفرش اصطدمت يدى المتدهة بتمثال مصلوب ارتجفت ببرودته : هدية ، المقدس سمعان، ولا يمكن رفضها فى غرفة واحدة أعيش مع إنسان مصلوب مسمى الأطراف . عيناه حزينة عاتبتان ، تكذبان قسمى بأنى برىء من دمه ، شعرت أن لحظة اندماجا قد افلتت ابتعدت عنى قليلاً لحمها غريب عن لحمى تبيّنت خطوطه رغم الظلمة . قال صوت في الخارج :

ـ جزار .. الضحية .. كل عيد وأنتم بخير.

تحسست رقبتى بأصابعها . في جموع الرغبة تنسى كل شئ من المسجد المجاور تصاعدت تكبيرات العيد وضجة أطفال الشارع .

- لم نلتقي منذ شهر

ثم وهن تنتقل بأصابعها من صدري إلى بطني:

- رغم هذا فانك غير متهم .

-

- افکر الا اجيء .. هذه المرأة تتعقبني بعينين مجرمتين ، وكلما رأته قالت: ربنا يهدى العاصي ، وكل مرة تسألنى إلى أين أنا ذاهبة .

اوفر ..

المرأة حقيقة مزعجة ، ولكن اهتمامها بها يبعث على السأم، ومن هو هذا المخلص
الأمين؟.. هل أصفعها بالملف وجميع المستندات . ستنكر بلاشك الأدلة صاعقة . داعرة
من الدرجة الأولى فما هذه الحساسية المرضية .. ومتى يطبقون قانون العقوبات ..
- صعدت خلفي مرة إلى عيادة الدكتور مصطفى، فوجدتني في غرفة الانتظار
وأنتفتحت بالتومغربي ركنا وتهامست معه، وطبعاً أكيد لها أذن زيونة معروفة .
- رببت كل شيء .. ذكاوك فوق مستوى الشبهات .

-

- ما أخبار جارتكم؟.

وضبعت رأسها على كتفي . ثديها العاري أيام عيني .. شمممت أريجيه .. كفها الآخر
يتتحسين ببطء فخذني:

- لا شيء .. وأمس زارقنا وأعادت على سمع أخي كل الكلام البدهئ الذي قالته لها امرأة
الباب .

شدّدت عليها .. اختنقـت لهجتها برغبة حادة . شفتـاي تدنـوان من شفتـيها .

- ماذا قالت؟

قبلـتـنى ولم تـجـب . حـثـثـتها:

- أظنـ أنها تعـيـدـ هذاـ الكلـامـ علىـ آخـيـ لـعـلـهـ يـصـدقـهـ ، وـتـرـىـهـ أـنـ تـفـتـحـ لـهـ الطـرـيقـ ..
وـقـحـةـ ..

ازاحت الكلمة الأخيرة وجه خالي .. كفها تتحسن أدق مراكز الاحساس في، كنت خامد
الرغبة تماماً . استفرزـنىـ شـئـ للـضـحـلـهـ قـاـوـمـتـ اـسـتـسـلـمـتـ فـىـ النـهـاـيـهـ . انـفـجـرـتـ
ضـاحـكاـ . مـدـدـتـ يـدـىـ . أـضـأـتـ النـورـ فـجـاهـ عـكـسـتـ مـرـأـةـ الزـيـنـةـ أـمـامـنـاـ تـفـاصـيلـ المـوقـفـ . مـلـتـ
نـفـسـهاـ بـسـرـعـةـ . اـخـتـلـطـتـ ضـحـكـاتـ الـهـيـسـتـيرـيـةـ بـتـكـبـيرـاتـ العـيدـ .

- سـحـبـتـ المـلاـعـةـ لـتـغـطـىـ . مـنـعـتـهاـ . اـنـتـزـعـتـ المـلاـعـةـ . أـلـقـيـتـهاـ بـعـيـدـاـ تـمـلـكـهاـ غـضـبـ جـنـوـنـىـ .
سـبـتـنىـ بـأـقـدـعـ الـأـلـفـاظـ . لـمـ اـتـوـقـفـ عـنـ الضـحـكـ مشـهـدـهـاـ وـنـحـنـ عـارـيـنـ مـضـحـكـ فـعـلـاـ .
أشـرـتـ إـلـىـ صـورـتـهاـ فـيـ الـمـرـأـةـ وـاـصـفـاـ كـلـ مـسـاحـةـ فـيـ جـسـدـهـاـ .

صـاحـتـ

- أـسـكـتـ يـاـ مـجـنـونـ يـاـ اـبـنـ الـكـلـبـ

لـمـ أـسـكـتـ . مـدـتـ يـدـهـاـ إـلـىـ التـمـثـالـ الـبـرـونـزـىـ .. رـفـعـتـهـ إـلـىـ أـعـلـىـ

صـاحـتـ:

- سـاقـتـلـكـ .

ترددت قليلاً خفت ضـحـكتـىـ . اـرـتـعـشـتـ طـاقـةـ أـنـفـهـاـ . قـذـفـتـ التـمـثـالـ بـقـوـةـ فـاـصـطـدمـ

بصورتنا في المرأة . تحطمـت إلى مـزق صـغـيرـة . سـقطـت فوق السـرـير تـبـكـي فـي تشـنجـ عـصـبـي . عـرـيـها الـبـاكـيـ أـمـامـيـ . لـمـ تـعـنـ بـتـغـطـيـتـهـ .

كـفـتـ عنـ الضـحـكـ، خـرـجـتـ تـارـكـاـ الغـرـفـةـ فـي خـطـوـاتـ بـطـيـئـةـ .

٣- المشنة الثانية؛ سقوط المدعى العام

اخترقت عيناهـا ظـهـرـىـ كـرـصـاصـتـيـنـ مـكـتـومـتـيـنـ . تعـثـرـتـ أـقـدـامـيـ فـي درـجـةـ السـلـمـ لـابـدـ أنـ انـفـيـهـاـ تـعـامـاـ مـنـ حـيـاتـيـ . قـبـوـعـهـاـ فـيـ بـئـرـ السـلـمـ يـعـطـيـهـاـ مـيـزةـ المـراـقبـ الدـائـمـ . عـيـنـاهـاـ الثـاقـبـتـانـ تـرـيـانـ كـلـ شـيـءـ .

قالـتـ سـحـرـ:

- نـظـرـتـهـاـ تـقـولـ أـنـهـاـ لـنـ تـسـكـتـ . وـاـنـاـ تـازـلـهـ هـرـتـ رـأـسـهـاـ وـتـصـعـبـتـ بـشـفـتـيـهـاـ ، وـسـأـلـتـ رـيـهـاـ

مـتـنـ يـهـدـيـ العـاصـمـ ، فـهـرـبـ الدـمـ مـنـ جـسـدـيـ .

تـفـتـعـلـ الـمـنـاسـبـاتـ لـتـكـلـمـنـيـ كـلـمـاـ رـأـتـنـيـ صـاعـدـاـ . تـؤـكـدـ وـجـودـهـاـ . اـسـتـنـدـتـ عـلـىـ دـرـابـزـينـ .

الـسـلـمـ . رـفـعـتـ رـأـسـهـاـ مـنـادـيـةـ . تـوقـفـتـ عـنـ الصـعـودـ .

- الإـيـصالـ جـاهـزـ: هـلـ أـصـعـدـ بـهـ؟

- سـأـغـيـرـ هـدـوـمـيـ وـأـنـزـلـ فـورـاـ . الـغـسـالـةـ فـوـقـ؟

مـدـتـ يـدـهـاـ تـلـمـ الـفـسـطـانـ فـوـقـ فـتـحـةـ صـدـرـهـاـ . لـاـ تـأـمـنـ لـعـيـنـيـ هـرـيـتـ بـهـمـاـ بـعـيـداـ ، وـقـعـتـ

فـيـ شـرـكـ عـيـنـيـهاـ . مـسـحـتـ بـهـاـ مـسـطـحـ صـدـرـهـاـ . أـكـلـ الزـمـنـ بـعـضـ اللـحـمـ لـكـنـ مـاـ بـقـىـ

كـانـ صـالـحـاـ لـوـلـيـمـةـ عـلـىـ أـيـ حـالـ .

- فـرـدـوـسـ؟.. لـمـ .. لـاـ تـأـتـ وـلـنـ تـأـتـ!

عـيـنـاهـاـ تـسـقـطـانـ فـيـ شـرـاكـ عـيـنـيـهاـ . عـنـ سـؤـالـ لـمـ أـسـأـلـهـ أـجـابـتـ:

- هـنـ إـلـآنـ بـالـتـخـشـيـةـ . هـاجـمـواـ مـنـزـلـهـاـ أـمـنـ..

دقـ الـبـابـ . وـجـدـتـهـاـ أـمـامـيـ . جـرـيـتـ فـارـتـديـتـ الرـوـبـ عـلـىـ مـلـابـسـيـ الدـاخـلـيـةـ جـلـسـتـ عـلـىـ

مـقـعـدـ بـمـنـتـصـفـ الصـالـةـ . رـائـحةـ صـابـونـ رـخـيـصـ تـنـتـشـرـ مـنـ وـجـهـهـاـ الذـىـ كـانـ نـضـرـاـ كـمـاـ

يـنـبـغـيـ لـبـشـرـةـ خـرـجـتـ لـتـوـهـاـ مـنـ تـحـتـ المـاءـ . مـدـتـ يـدـهـاـ بـالـإـيـصالـ . وـسـأـلـتـ عـنـ «ـرـياـضـ»ـ .

وـيـدـونـ مـنـاسـيـةـ قـالـتـ:

- مـسـكـيـنـةـ ، فـرـدـوـسـ ، أـخـذـوـهـاـ مـنـ الدـارـ لـلـنـارـ .

- مـخـدـراتـ؟

- لـاـ .. رـيـنـاـ أـمـرـ بـالـسـتـرـ ، وـلـكـنـ الحـجـرـ الدـائـرـ لـابـدـ مـنـ لـطـهـ .

ابـتسـامـتـهـاـ لـزـجـةـ . صـفـعـهـاـ خـيـالـيـ ، تـرـكـتـهـاـ تـنـظـفـ الشـقـةـ وـخـرـجـتـ إـلـىـ الشـرـفـةـ عـلـىـ

الـطـوـارـ الـمـقـابـلـ يـجـلـسـ زـوـجـهـاـ يـتـمـتـعـ بـالـشـمـسـ . عـيـنـاهـاـ سـاـيـختـانـ فـيـ الـفـضـاءـ تـرـكـتـهـاـ

خلفي تعيد ترتيب الملاءة فوق السرير. سيكون عملاً شيطانياً لو افترستها وحارسها ينضر الوحي. عجوز ضعيف فكيف استولدها كل هؤلاء الأبناء؟.. اسمه الذي يناديه به الجميع في الشارع دون أن ي يحتاج : «زوج مريم».

- .. وكانت تروح وتتجئ وقضاؤها في إثرها .. أعنى ، فردوس ،

لهم تمانع عيني في أن تواصل روایتها:

... سأله عن مارا.. ومرة استجوبونى فى النقطة: ألا تصطحب أحدا معها إلى شقتك؟.

تمهد لشىء مرعب ولا بد من سبر غورها حتى النهاية. وهي تنظف التسريحة وجدت بعض الأوراق المالية الصغيرة ملقأة فى إهمال ، فاولتني إياها ، قائلة:-
- فلوسكم كثيرة، لذلك تهريع فيما لا فائدة فيه.

اصطبقت أصابعه على كفها بالنقود . ضغطت الكف لأتغلب على ممانعتها . أصرت بلا حماس على الرفض؛ تكلمت كفى مع كفها . على أن أقدر لقدمي قبل الخطو موضعها . لانت كفها . ففتحت ثوبها . وضفت النقود بين الصدر وحمالته . طاردت عيناي النقود، اصطدمتا بعينيها المتجاهلتين .

تركت الغرفة . جلست أدخلن فى الصالة . جاءنى صوتها يغنى : «ياللى زعمتوا البرتقال» . وشت بحته بعث ساخر . أصعدنى التردد . خاضت رحلة طويلة من دروب قريتها إلى شوارع المدينة وأزفتها ، فماذا لقيت فيها؟

قطعت الغباء قاتل دون تمهيد:

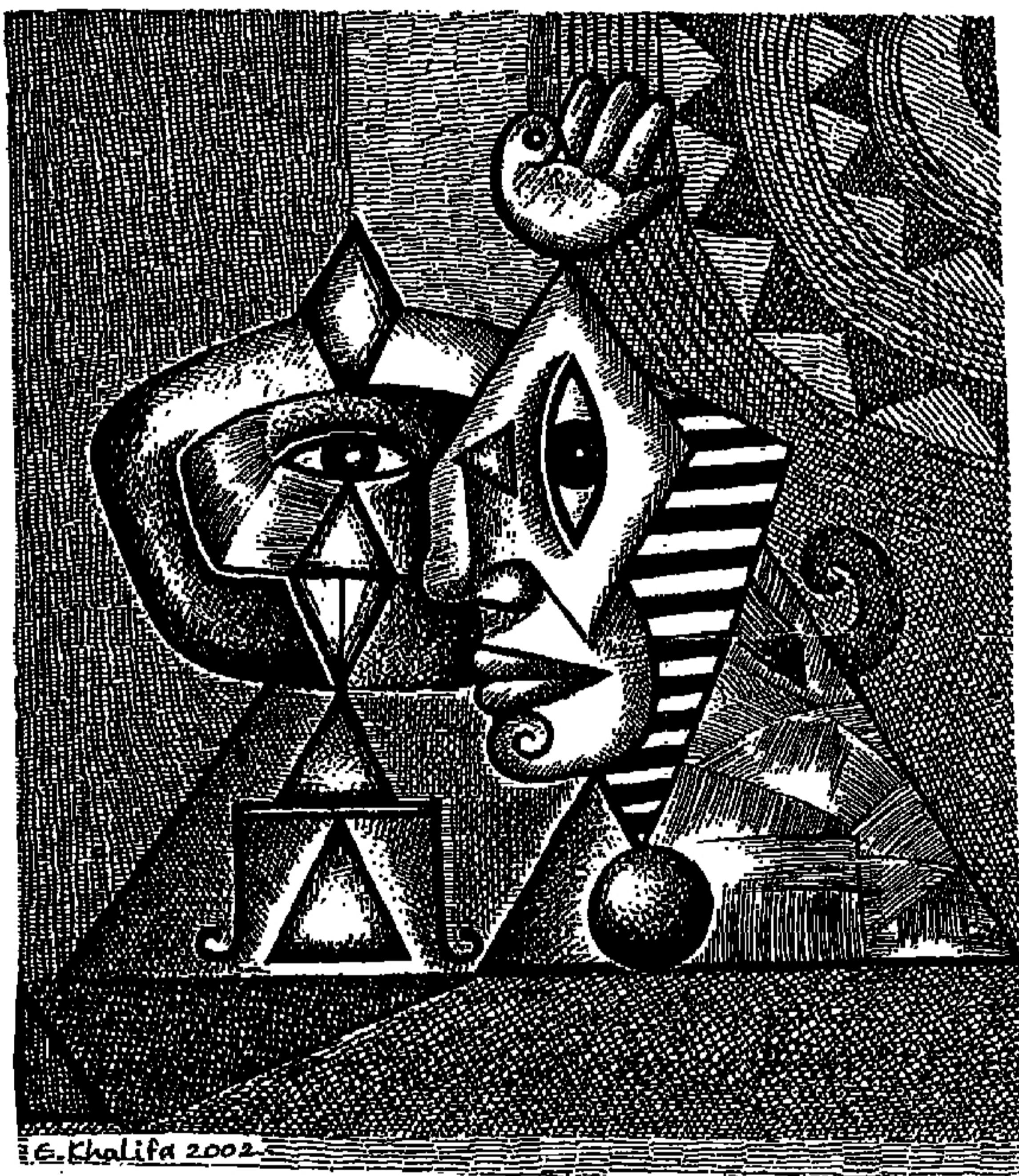
- دينا يسامحني أضمرت فردوى دون أن أقصد، مرة تراجعت معها فأسمعتها وسخ الأذان، أعمانى الغضب فقلت كل شيء ولا بد أن ابن الحرام سمع ، فقد كانت مراقبة متآمرة من نوع شديد الخبث ، فضحت المرأة على ملا متعمدة فهل استكتبت أحد العرضحالية شكوى ضدها ، حتى أودت بها؟.

مصمصت شفتيها محللة أنها لم تصدق وعطي:

- حكم .. ولكنها تحرى على ولايا... وفتحت بيوت الكثيرات...

انفجرت في صدرى أمال خبيثة، تحصنت في موقع مكين حتى لا تستدرجنى ثم تصرخ وتجمع على السكان، ف تكون ضحية من نوع يصعب غفرانه .. لسانها سليط يشهد بذلك تاريخها الحافل في المعارك . وليس لها كبير .. هل وعدها أحد بمنحة ضخمة إذا أخلت الشقة، ما أسهل أن تفضحنى فتجعل الإقامة بها عذاباً لا يطاق .

لتحمسك المساحة هونا ما ، فهي تبدو طيبة يعكس نظراتها الباردة القاتلة.



E.Khalifa 2002

- ربنا يهدى العاصي، وعلى فكرة فريدة غسالة أخرى.

تجمدت يدها على المكنسة، قالت نظراتها: كف عنه وعظلك السخيف. لسانها قال غاضباً:

- انتم كالقرع لا تمدون إلا إلى الخارج .. هل دعوتنى لأنفسك ورفضت؟ خنقته الحدة كلماتها الأخيرة. علت ملامحها نظرة غضب سطحية. لم أتحكم في ذراعي الذي مد كفى لبريت على خدتها . لافت.

- لا تخضبي .. نحن لا نستغنى عنك ، ولكنك هل يمكنك حقا .. أن ... انفجرت:

- نست عميماء ولا كتعاء .. في رقبتي كوم عيال.

اضعف مما تصور الخيال ، روح استهانة باهرة .. بوقاحة قلت:

- «فردوس»، كانت تخسل وتطبخ وتكنس و...

- ماذا ...؟

رفضت عينها أن تفهمـا .. أشارت يدي - اهتزـت قليلاً:

- و... تدعـك لنا ظهورـنا في الحمام؟.. نحن عزـاب وأنت أدرـى طبعـا بالمشاكل. بسخرـية:

- إلاـ هذه .. النـسوان لا تـكـفـ عن التـسلـل إـلـيـكمـ ، أناـ لا تـجـوزـ عـلـىـ الـحـيـلـ : عـيـادـةـ الدـكـتـورـ .. المـصـورـاتـىـ ، هـذـهـ حـرـكـاتـ مـفـهـومـةـ..

يرجـ الخـفاءـ ، تـعـرـفـ عـنـاـ الـكـثـيرـ ، تـبـدوـ مـسـتـعـدـةـ لـالـتـنـازـلـ ، لـنـ تـرـتـبـ مـرـةـ أـخـرىـ تـحـتـ وـهـجـ عـيـنـهاـ ، لـنـ أـرـضـنـ إـلـاـ بـالـرـضـوخـ النـهـائـىـ.

- ولكنـ الـأـمـرـ لاـ يـسـلـمـ .. وـالـبـحـرـ يـحـبـ الـزـيـادـةـ ، ثـمـ إـنـكـ تـعـجـبـنـتـىـ .. سـأـكـفـكـ .. لـسـانـىـ ..

سـئـمـتـ المـنـاقـشـةـ ، لـاـ عـلـاقـةـ بـيـنـ شـيـءـ وـشـيـءـ . يـقـولـ اللـسانـ ، مـاـ لـاـ تـفـعـلـهـ الـأـفـخـاذـ شـدـدـقـهاـ إـلـىـ اـسـتـسـلـمـتـ كـخـرـقةـ : أـنـفـاسـهاـ

وـاـصـلـتـ لـابـدـ مـنـ الـأـنـتـصـارـ النـهـائـىـ . سـأـصـنـعـ مـنـ الـدـاخـلـيـةـ عـلـمـاـ أـرـفـعـهـ عـلـىـ سـارـيـةـ الـشـرـفةـ . لـذـلـكـ أـتـحـمـلـ ثـقـةـ جـسـدهـاـ.

فـيـ الـلـحـظـةـ الـمـنـاسـبـةـ قـالـتـ:

- لـاـ .. كـلـهـ إـلـاـ هـذـاـ .. لـاـ أـرـفـعـ ذـيـلـىـ لـأـحـدـ هـمـاـ حدـثـ. حـائـراـ وـأـنـاـ أـتـأـملـ عـرـبـىـ:

- وـلـكـنـ مـاـ الفـرقـ ، لـقـدـ قـبـلـتـكـ وـاحـتـضـنـتـكـ .. وـ.. وـ..

- وـلـوـ ، هـذـاـ شـيـءـ آخـرـ ، وـلـكـنـ لـاـ أـرـفـعـ ذـيـلـىـ إـلـاـ لـزـوـجـىـ ..

وأنا البعض ملابسي،

- متى يهدى الله العاصي؟.

تناولت النقود ، أعادتها إلى صدرها.

(٤) المشنقة الثالثة ، ميسرة ضد الموت فوق قمة جبل

بين رفوف الكتب لامست ذواقي شعرها وجهي ، قبلتها قبلة خفيفة زجرتني نظرتها .
جلست إلى المنضدة ، أدفعت مقعدها من مقعدي . نفخت عاتبة ، أعادت مقعدها إلى
مكانه ، غاب وجهها في صفحة الكتاب . تأملت جديتها بنظرة هائلة . أجلسها خيالي
عارية تقرأ كتابات العالمات ، مصحفها الذهبي يتذلّى بين نهرين متربعين ، فتحت
صفحة منه ، قرأت ، وقيل لها أدخلني الصرح فلما دخلته حسبته لجة ، وكشفت عن
ساقيها .. صدق الله العظيم .. ترفض الملابس القصيرة ، تقاطع الديكولتيه بكل درجاته .
ويعد أجازة العيد وجهتني ملامحها بنذر القطيعة . تنسحب من كل مجتمع أكون فيه .
إنفردت بها أخيراً في البو فيه . بكت بعد أول كلمة ، لو لا أن المكان قليل الرواد لكانت
فضيحة يعيش على أصدائها الهواة . حاولت أن أفسر موقفني . فشلت . تحبها ولكن
الشك دمر كل شيء .

في أيام القطيعة كاد الهرج أن يقتلني . عز على القلب أن تواجهه العيون التي طانا
اشتهته وكأنها لم تعرفه أبداً . أليس هذا اللسان المخاصم هو الذي تغنى بك في لحظة
النشوة . ووصفك بأنك رائع ، ومدهش ، فكيف أصبحنا غرياء؟.

في اللقاء التالي عرفت أن الخيوط لم تنقطع بعد ، قالت ، لست عابثة ولن أكون ، عال
وبالكذب تستقيم الأمور . لعنة الله على التعود ، ما العلاقة بين تهتكها وبين أي شيء:
ماذا أغراني بما فعلت؟ قانون العقوبات سلمتك نفسك لأنني أحبك ، ولكنك لا
تستحق ، تجاهلت رغبتها الطاغية . ستقودها أقدامها (ليك مهما حدث ، لا تزد الخرق
على الراتق . رقم الخطاب الأخير ٤٢ آه .. أنت تظنني .. م..م.. استطيع الاستغفاء
عنك .. عن أي رجل آخر .. حوار لذين على أي حال . طبقو قانون العقوبات يا أولاد
الكلب ، كل مرة أبكي وأقرر أنها الأخيرة ، وأنا أغتنس اتقينا واقسم إلا أعود .. وكفرت عن
ذلك مراراً بالصيام والصلوة . كانت تعود من الحمام منهوكة شاحبة تصرف بسرعة .
أمن لا تفارق السجادة . وأبن رجل محترم .. لو عرف أخي لقتلنا .. لماذا تأخر مجلس
الشعب في نظر قانون العقوبات الجديد؟.

- أكرهك وأكره نفسى ويودى أن أقتلك .

لم يحدث . قادتها قدماها إلى الشقة . عريها كان نابضا بشهوة أسابيع القطيعة . دق الجرس . توقف كل شيء . باردة الجثة كميت . قامت مرتعبة تبحث عن ملابسها . انهارت باكية . صرخت فيها . قالت: انفضحنا وانقضى الأمر . لعنتها في سرى ..

قالت بوحشية:

- قلت أن رياض، لن يأتي، وها هو قد جاء . سينقب في كل الغرف ، وقد يسعدك أن تعرف أن نظراته لم غير طبيعية.

صحت:

- إهدئي رياض، معه مفتاح ولن يحضر قبل العاشرة.

- هي امرأة الباب .. انفضحتا.

انخرطت في نشيج هستيري قلت بهمس غاضب: اسكتني .
أغلقت الباب عليها بالفتح.

شممت رائحة مؤامرة في الجو.. على الباب رأيت مريم:

- عجائب، لماذا تقف هكذا كالخفيه؟ أريد أن أدخل.

ببرود قلت:

- أيقظتنى من النوم ماذا تريدين...؟

- عينى على النوم الأهربنجى .. أنا عارفة وشافية.
تدبر لفضيحة من النوم الساخن..

- إفرضى .. لا أحب المطاردة ، وأكره أن يتتجسس على أحد...

- وأنا يا روحى لا أحب أن يأكل أحد عروقى..

- عرقك؟..

استندت برفقاها على الباب . هزت رأسها هزة مغناجة:

- طبعا يا عينى .. منعت لسانى من الكلام وهذا يعرقنى.

مدت يدي بالنقود .. ترددت لحظة ، سحبتها من يدها إلى الداخل . دسست النقود بيدي بين فهديها ، خلصت شفتيها من شفتي ، أبعدت يدي التي كانت تعبث بجنون في مهبط بطنهما:

- ماذا هذا؟ أدميت شفتي .. أنت مجنون.

- سأنتظرك بعد انصرافها..

هزت رأسها هزة لم أفهمها . سأت سحر،

- من؟

وأنا أسحبها للفراش

- مريم المجدلية.

دخل «رياض» إلى المكتبة، القى بحقيقةه المنتفخة :

- كيف حالكم أيها المحبون الأغبياء؟..

ابتسمت سحر.

- أنبهوك إلى أن أى هجوم سيؤدي عليه بمثله.

- هذا ليس هجوماً، ولكنه حقيقة علمية، الأفضل أن تترككم لجلسة بها كمية من الغبارة المعتبرة، ولكن لعن الله الدكتور كمال.. وسحرة أعمال السنة وعلم النفس والذين وضعوا تقاويمه.

مهذنا:

- هنا مكتبة فاعقل أحسن لك.

- غبي ككل المحبين، الحب نشاط غير جدي ومضيعة للوقت، كيف ينتحر جحش مثلك، ووراثة عيون جميلة كهذه العيون، وشفاءه يوقف الشوق إليها موقن قدماء المصريين.

- حاسب

تساءلت:

- لهذا غزل.

- أنكر باستهانة، قال:

- الليلة عيد ميلادي، وأنا أنوي أن انتحر ولكي يكون داعماً حافلاً فإنني أدعوكما إلى جلسة تبدأ من المغرب بـ «مونت بيلا، المقطم»..

سحر:

- لا استطيع أن أتأخر، أبي يعتبر المرأة عورة ولا بد أن تختفي بعد المغرب.

ساخراً:

- تتسلقين مع المحروس حتى العاشرة، وهناك أعداء سخيفة مثل محاضرة مسائية، حفل تكريمه استاذ، مذاكرة مع صديقة... إلخ.

حسنت المناقشة:

- قبلنا الدعوة فأرجحنا من إلحاحك ولكن «مونت بيلا» مكان غير مناسب.

- النقود موجودة، طلب أبي وأرسل مبلغاً لا يأسن به، لن نسكر أو نشاهد الرقص، في التراس المطل على الجبل سمعطى الشموع، وسأوعدكم وصيتي قبل أن انتحر جاداً.

رغم كل المحاذير شربينا، وحدنا تقريباً مع هضاب الجبل وضوء القمر الضئيل، أطفأنا

الشمع بضجة ابتلعها الفضاء . قاومت سحر إغراءنا أن تشرب . شربت عدة كؤوس
من النبيذ قدمها رياض ، مؤكدا أنها من دمه .

(غم قلتها كفت لوضم ابتسامة بلهاه على شفتيها.

- لا أطمئن إلا للبرقة، فهي مشروب فطليق.

Journal of Soil and Water Conservation, Vol. 36, No. 6, December 1981

دعا عبد رانحه المحدر من سيدنا زاده (رياض، سن،

- ولكن ، الويسيكي ، رائق . أما الحشيش فـ ، مدهش ،

ناهضراً إلى سجائره المشتعلة.

- نحن في مكان عام ، أتريد أن تبيت في التخشيبة؟

ناهضراً إلى سجائره المشتعلة.

پاسٹھانہ رد:

- فحن تخاف من اشباح ، أولاد الكلب لا يطيقونه قانون العقوبات ، وما من أحد من يجلسون حولك ، إلا وهو سكير ابن حشاش أو المكس ، فلا تكن حنبليا ، وصباح اليوم فكرت في طريقة حديثة للانتحار ، فقلت للعسكري : يا شرطى ، معن نصف قرش حشيش فما قولك ؟ سأنتس : غباره أم كبس ؟ قلت : كبس . سأنتس عن ماركته قلت ، أمل حياتي . قال : ماركة ممتازة ، ولكننى أ Finchakl به ، للصبر حدود ، فهو أعظم ماركات الكبس ، تركته ومضيت فعلام تخاف ؟ أما أنا هقياماً بمسئوليتي تجاهلك أقول لك أن الويسكي رائع ، أما الحشيش فمدهش .

رسائل ملهمة في إسلام المرأة

- فعلا هو رائم، ومدهش، ولكن أكره الحنابلة وأبغى منهم.

فِي عَيْنِهَا نَظَرَةٌ ذَاتِيَّةٌ أَعْرَفُهَا مِنْ طُولِ مَا خَبَرْتُهَا، تَوَدُّ عَلَى نَظَرَتِي الظَّاهِلَةِ:

- ما الخطاب فيما يقول.. إنه رائي ومدهش وهو كذلك فعلا.

تنبیت الی، ما قرید ان تقول. فهمهه دریاضن، قال:

- الساعة الـ٩ والتاسعة والنصف ، بقت على الرحيل ساعة ، أما وانتها تشريان على حسابي ، وتحتفلان بعيد ميلادى السادس والعشرين فمن حقى أن القى خطبة ناولته السجاوة، ثم أذكر متى أخذتها .. وقف خطيباً :

- المسألة يا أنساتي وسادتي . أنتى قررت أن انتحر بطريقة مستحدثة ذلك أن كل الطرق أصبحت قدية ومستهلكة : النيل - القطار - المجتمع - البرج ، ولأن بعض الأصدقاء يتتصورون أنتى جبان أنشروا شاعرة انتشارى على سبيل الدعاية لشخصي الضعيف . فيانى أعلنتهم أنتى أبحث بجدية مفرطة ، وأنهم إذا أشاروا على طريقة حديثة ، فسوف أنفذها ثوراً . ولا يأس من استعراض معلوماتكم التاريخية حول أشهر

وسائل الانتحار.

سحر، كيلوباترا والأفعى

- كانت عابثة ، ولن تتحكم في أفعى مع العلم انتي أكره ،الأفعى،.
- الأرشيدوق .. ولن عهد النمسا وعشيقته..
- جميل ولكن أين لى عشيقته الجميلة.
- بإشارة من يده رفض الانتحار الهاتلري.
- إنتي ضحيته فكيف أقلد طريقته .. هل غالب حماركم؟ بحثت في تاريخ الرهبان البوذيين في فيتنام. إنها طريقة مشيرة، ولكن لماذا أحرق نفسى .. وعلام احتاج ؟ في البداية قررت أن أحرق نفسى أمام أبي فقد صفعنى بكفه الضخمة لأنه وجدى وأنا طفل أعبث بأعضائى الجنسية، ورغم أنتى كنت سعيدا لحظتها فقد انهال على ضربا.

سحابة صحو ، قلت:

- «رياض، كفى».

- السيجارة بين شفتي سحر، لا ادرى كيف وصلت إليها . بابتسامة سارحة أكمل:
- في الصيف الماضي، أردت أن استعرض أمامه اعجابي بـ «يمانويل كانط، وفلاسفة الشك»، فبصدق في وجهى ، لذلك أردت أن أحرق نفسى أمامه....

.....

- فكرت أن يكون لافتخارى سببا سياسيا، فوجدت لها جميعا تدعوا للانتحار واحتارت فى تفضيل احدها على الآخر.

سحر:

- لماذا لا تبحث عن سبب غرامى ، هذا يكسبك عطفا كبيرا على المستوى الشعبي؟..
- حبيبى لا تستحق الانتحار من أجلها فهو خائنة.
- المجرمة.

- بالعكس أنها رائعة، ودهشة،

وبصري المرتب يتنقل بينهما:

- لماذا تكرر هذين اللغوظين .. كأنهما كل قاموسك.

سحر بضحكة ذات ذيل عابث:

- لا تناقض بين هذه كليهما . أعرف إنسانا رائعا، ودهشا، ولكنك في نفس الوقت مجرم.

- خفت أن اعترف لها بحبى فيظننى أبن عدت للعبث بأعضائى التناسلية.

- أخذت الشر وراحـت..

- نعم .. لكنها راحت به إلى غرفة نوم رجل آخر..

ناولتها السيجارة الثانية دون أن أشعر.

- المجرمة.

- ولكنها فاتنة ذات ثلاث شامات: واحدة فوق النهد الأيسر وأخرى هي أعلى السرة وثالثة فوق مهبط البطن بقليل.

صحت

- «رياض... آن لنا أن نعود

٥- تنفيذ الحكم

ونحن نتحدر في شوارع المدينة الجبلية شعرت بدوار . تقنيات ، سحر ، معدتي كانت عائمة . هاجنى قيئها ، أفرغت ما هي بطنى . نظر «رياض» إلى إفرازاتنا . قال :

- تخذيتما بقدونس ، وهو مصدر للقلب والمعدة كالأسبرين . هددنى أبى بالنفى من ملکوت السماء ، ولكننى ضبطته يدب على خادمتنا الطفلة ذات ليلة . ويصلى فى الصباح .

ضحك وغنى ، ليه عزيز دمعى تذله كل ساعة بين ايديك .. كان احسنتنا حلال رغم سكره البين . مضينا نبحث عن تاكسي يقودنا إلى المدينة .

وقف فى منتصف الطريق وواجهنا قائلًا :

- يا صديقى إننى محصور تماما . ساعة وانا أقاوم مثابة تقاد تنفجر ، وذلك تطهر لا يليق ، وتزmet لا معنى له ، وما أمتلك أن يتبول الإنسان على هذه المدينة من ارتفاع شاهق كهذا .

ومضى في الظلام .

١٩٧٠/١٩٦٩

هذه الفيالق الثقافية النقطية!

صلاح عيسى

تبادل الكتاب والأدباء، والصحفيون المصريون، المعارضون - أساساً - لغزو العراق للكويت، مع زملائهم المعارضين - أساساً - للتدخل الأجنبي في أزمة الخليج، الاتهام الصريح والمقنع بأن رائحة النفط تفع من أفلامهم، وتوضح من مواقفهم، فأعادوا بذلك فتح ملف ذلك الاختراق الواسع الذي تمارسه الإقطاعيات الثقافية لجماعة المثقفين المصريين، والذي انتهى بتأسيس فيالق ثقافية وصحفية، صرائيلية وخلجية، تربط مصالحها بـ لأنظمة الحكم في تلك الأقطار.

إذا كان من غير المتعلق أن نعتبر كل من قال رأياً في الأزمة هو مجرد صوت سيد، فإن من غير المنطقي كذلك، أن ننكر أن هذه الفيالق هي حقيقة ثابتة، وهي أحد الأعراض السلبية لظاهرة النفطية التي ساهمت في تدرج جماعة المثقفين العرب عموماً، والمصريين خصوصاً، وفقدت كثيرين منهم مواقفهم المستقلة تجاه ما يجري في وطنهم وفي أمته، وتحولت بعضهم إلى أبواب لأنظمة بعضها عشائر متخلف، وبعضها ديمقراطي فاشستي، تقود قسم منهم الحاجة إلى ضمان استقرارهم المادي، بعد التدهور المتلاحق في مستوى معيشة الذين يعيشون على قوة عملهم، بينما يقود الطمع إلى الشروء والجهاد والتبره المزيفة الآخرين.

وخسارة الوطن والأمة بهذه الظاهرة، خسارة مزدوجة، فهي تتعدى تحول مبدعين حقيقيين إلى سذاجة أو غباء لأنظمة لا تستحق سوى لعنة كل متقدح حقيقي وكل مبدع موهوب، لتصل إلى إفساد جماعة المثقفين العرب كل ما كان لها من ثقل ونفوذ على الشارع العربي، وعلى مراكز اتخاذ القرار، بعد أن تحولوا - كما يقول فزار قبانى - إلى طبول في مواكب الصلاطين.

ومن الإنصاف لجماعة المثقفين المصريين، أن نقول بأن تزوعهم للحصول على عائد مادي مجز لإبداعهم، يكفل لهم حياة كريمة، ويجنبهم مذلة السؤال، هو تزوع مشروع وعادل، ولكن الأوضاع التي جعلت بعضهم يقبلون المسماة على هذا الحق، بالتنازل على مواقفهم الراديكالية تجاه ما يجري في الأمة، هي التي تستحق التنديد، وتطلب التعديل، وتنتظر الخطوة التي يبدأ بها طريق الألف ميل، الذي تستعيد في نهايته جماعتهم، استقلالها وتأثيرها على جماهير أمتها وسلطانينا..

ولو أن مصر اتحاداً لكتاب، غير اعتماد الأستاذ أباذهلة، ولو نجح المثقفون المصريون والعرب في التغلب على عوامل الفرق، التي حولتهم إلى شظايا فاسدوا عدداً من الجمعيات الأدبية والثقافية القوية، ولو أن نقابة الصحفيين اهتمت بالإضافة إلى اهتمامها بإقامة معارض للسلع المعمرة، وتوزيع السلع الاستهلاكية، بالدخول في مفاوضات مع الناشرين للصحف والمجلات والكتب التي تمول بجانب من قوانص النفط، لضمان أجور مجزية وعادلة لما ينشره الكتاب والصحفيون المصريون والعرب عن طريقها، لو أن شيئاً من ذلك قد حدث، لوجد المثقف المصري خياراً آخر أمامه غير الالتحاق بـ فيالق الثقافية النقطية التي أصبحت ظاهرة تدعو للخجل!

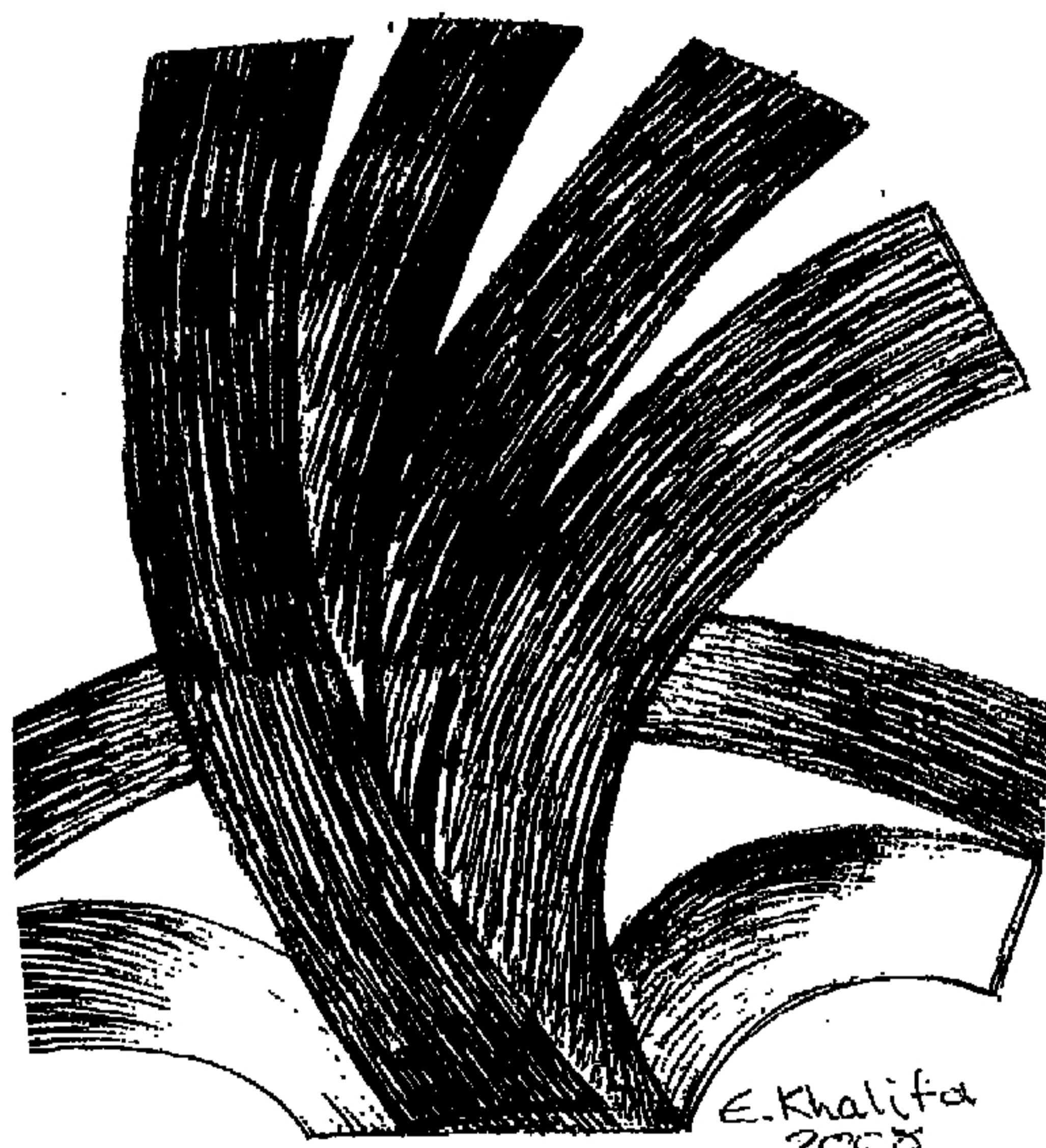
كتب صلاح عيسى

- ١ - **الثورة العربية**، الطبعة الأولى / المؤسسة العربية للدراسات والنشر / بيروت ١٩٧٢ .
الطبعة الثانية / دار المستقبل العربي / القاهرة ١٩٨٢ .
- ٢ - حكايات من مصر، الطبعة الأولى / دار الوطن العربي / بيروت ١٩٧٤ .
- ٣ - **الإخوان المسلمون**، مشكلة الماضي وما سأله المستقبل، (دراسة نشرت كمقدمة للترجمة العربية لكتاب ريتشارد ميتشل «الإخوان المسلمون»)، الطبعة الأولى / مكتبة مدبولي / القاهرة ١٩٧٧ الطبعة الثانية / نشرت كفصل من كتابه «الكارثة التي تهددنا»، مكتبة مدبولي ١٩٨٧ .
- ٤ - **البرجوازية المصرية وأسلوب المفاوضة**: الطبعة الأولى / دار بن خلدون / بيروت ١٩٧٩ .
الطبعة الثانية / مطبوعات الثقافة الوطنية / القاهرة ١٩٨٠ .
- ٥ - مجموعة شهادات ووثائق لخدمة تاريخ زماننا (رواية). الطبعة الأولى / دار بن رشد / بيروت ١٩٨٠ .
الطبعة الثانية (ال الكاملة) دار عيون / الدار البيضاء ١٩٨٨ .
- ٦ - **فلسطين ، الأرض والمقاومة** (بالاشتراك مع خيرية قاسمية وحسناء مكداش) /
الطبعة الأولى : دار الفتى العربي / بيروت ١٩٨١ .
الطبعة الثانية: دار الفتى العربي / القاهرة ١٩٨١ .
- ٧ - محاكمة فؤاد سراج الدين باشا (دراسة ووثيقة). الطبعة الأولى: مكتبة مدبولي /
القاهرة ١٩٨٣ .
الطبعة الثانية: مقدمة المؤلف لنصوص المحاكمة وقد صدرت مستقلة
تحت عنوان **البرجوازية المصرية ولعبة الطرد خارج الحلبة** / دار التنوير، بيروت ١٩٨٢ .

- ٤- هواش المقرizi، (المجموعة الأولى). الطبعة الأولى: دار القاهرة ١٩٨٣ .
- ٥- رجال مرج دابق (قصة الفتح العثماني لمصر والشام). الطبعة الأولى: دار الفتى العربي / بيروت ١٩٨٣ .
- ٦- مشقون وعسكر (مراجعات وشهادات وتجارب عن حالة المثقفين في عهد عبد الناصر والسداد). الطبعة الأولى: مكتبة مدبولي، القاهرة ١٩٨٦ .
- ٧- الكارثة التي تهددنا. الطبعة الأولى: مكتبة مدبولي / القاهرة ١٩٨٧ . الطبعة الثانية / دار عيون/ الدار البيضاء ١٩٨٨ .
- ٨- تبارييع جريج (خواطر وذكريات) . مكتبة مدبولي / القاهرة ١٩٨٨ .
- ٩- أربعة وجوه لوعده باطل (قصة وعد بلفور) بالاشتراك مع جميل عطية إبراهيم/ الطبعة الأولى : دار الفتى العربي / بيروت / ١٩٩١ .
- ١٠- حكايات من دفتر الوطن. الطبعة الأولى: كتاب الأهالى/ القاهرة/ ١٩٩٢ .
- ١١- المطبعة الثانية ، صدرت فى جزئين عن مكتبة الأسرة ١٩٩٩، ٢٠٠٢ .
- ١٢- بيان مشترك ضد الزمن. قصص ورويات قصيرة . الطبعة الأولى: دار سينا للنشر / القاهرة ١٩٩٢ م.
- ١٣- دستور فى صندوق القمامشة: قصة مشروع دستور ١٩٥٤ (دراسة ووثيقة)/ الطبعة الأولى: مركز القاهرة لدراسات حقوق الإنسان / القاهرة ٢٠٠١ .
- ١٤- رجال ريا وسكنية: سيرة اجتماعية وسياسية (حكايات من دفتر الوطن) الطبعة الأولى: دار الأحمدى للنشر / القاهرة / ٢٠٠٢ .
- ١٥- البرنسيسة والأفندي (قصة غرام الأميرة فتحية ورياض أفندي غالى) ٢٠٠٨ .
- ١٦- شاعر تكدير الرأي العام الملفات القضائية للشاعر أحمد فؤاد نجم/ دراسة ووثائق ٢٠٠٩ .

تحت الطبع

- ١- مأساة مدام فهوى (حكايات من دفتر الوطن) نشر مسلسلا بمجلة، كلام الناس، ١٩٩٤ .
- ٢- أفيون وبنادق (ظاهرة العنف الجنائي والسياسي في مصر في الأربعينيات. نشرت مسلسلة بمجلة ٢٢، يوليو، لندن ١٩٧٩) .
- ٣- هكذا تكلم شكري مصطفى.

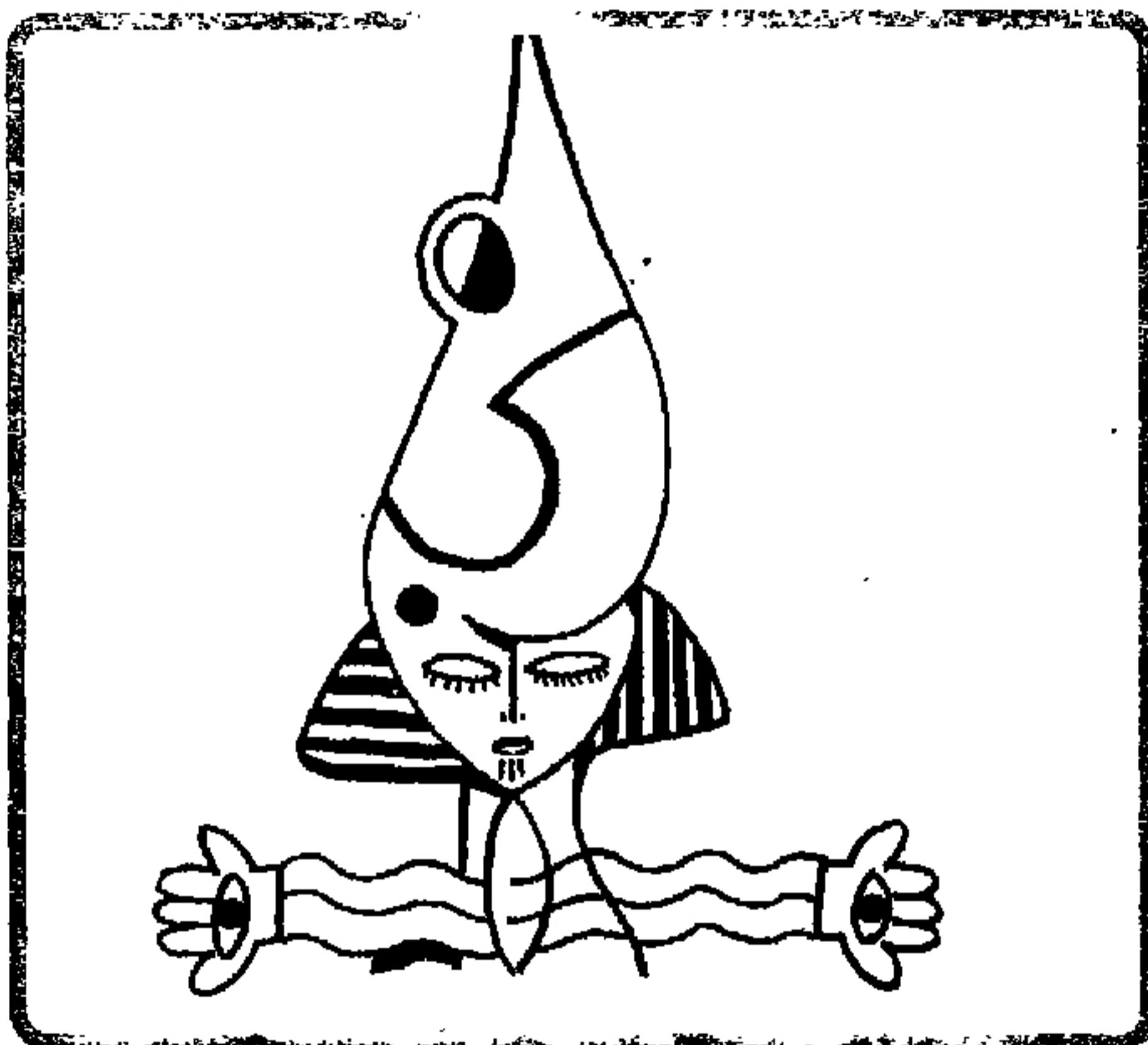


- ٤ - الموت في تشريفة الحليف الوطنى: (حكايات من دفتر الوطن)؛ وقائع اغتيال شهيد مطيبة الشافعى.
- ٥ - خرافية فرج الله الحلو: (حكايات من دفتر الطن) / (وثائق التحقيق في قضية خطف وتعذيب وقتل وإتلاف جثة فرج الله الحلو سكرتير عام الحزب الشيوعى السورى اللبناني عام ١٩٥٩ مع دراسة عن حملة عبد الناصر ضد الشيوعية).
- ٦ - اغتيال مصطفى خميس (الصدام الأولى بين البروليتاريا وال العسكريتاريا)
- ٧ - الصحافة المصرية في معركة الديمقراطية (١٩٥٤ - ١٩٥٠).
- ٨ - مذكرات عرابى باشا وأورقة (تحقيق وتوثيق - ثلاثة مجلدات).

الدیوان المصغیر

الديوان المصغّر

نهارك سعيد
مختارات من «أحمد رجب»



اختيار وتقديم:

ماهر شفيق فريد

أحمد رجب (الذى اقترب اسمه كاتبا باسم مصطفى حسين رساما) هو أشهر كتاب الفكاهة فى مصر اليوم وذلك من خلال ظهوره اليومى فى صحف دار الأخبار وأخبار اليوم والشخصيات التى أبدعها والتى صارت جزءاً من فولكلور رجل الشارع، قارئ الأخبار، وما جرى مسجراها من مدارس الصحافة: فلاج كفر الهنادوة، محترب الأخبار، قاسم السماوى، كمبورة، الكحبيت، على الكومىدا..

فى «قاموس الأدب العربى الحديث»، الذى أعده الدكتور حمدى السكوت، دار الشروق، الطبعة الثانية ٢٠٠٩، كتب الدكتور محمد بدوى - وهو من أنبغ أبناء جيله من النقاد - عن مادة أحمد رجب معلقاً على استخدامه للغة وطبيعة سخريته فقال:

• عرف رجب باللغة السهلة المباشرة التى تدمج العامى والغريب فى تركيب نحوى واضح الحدود وتبتعد عن الإطالة فتقترب من تطابق اللفظ والمعنى، حرصاً على وصول الرسالة ووضوحها. أما السخرية الهدافـة فتتوخى المرح واللعب والمحاكاة الساخرة، وقلب منطق الأشياء، وإدهاش المتلقى بكسر توقعه..

ولد أحمد رجب (وانا هنا اعتمد على مقالة محمد بدوى) فى مدينة الإسكندرية عام ١٩٢٨ وتعلم فى مدارسها ثم تخرج فى كلية الحقوق بجامعة الإسكندرية عام ١٩٥١ . عمل فى عدد من الصحف والمجلات أهمها - إلى جانب - الأخبار، وأخبار اليوم، الجيل، وهى، واشتهر بالميادة التى دبرها لعدد من كبار نقادنا وأدبائنا حين نشر فى مجلة «الكوناكب» (مارس ١٩٦٣) نصاً مسرحيَا من فصل واحد عنوانه، «الهواء الأسود»، مدعايا أنه من تأليف الأديب السويسرى فوردريش دورنمات وأنه شمودج لأدب اللامعقول. وتبارى النقاد فى تحليل المسرحية والإشادة بمواطن العمق فيها إلى أن كشف أحمد رجب النقاب عن أنه مؤلفها الأوحد، مؤمنا بذلك إلى فتنة نقادنا بكل ما يأتى من الغرب أو ما أسماه إحسان عبد القدوس: «عقدة الخواجة».

تضىم كتب أحمد رجب: أي كلام، نهارك سعيد، ضربة فى قلبك، كلام فارغ، صور مقلوبة، توته توته، الأغانى للأرجياني، الحب وستينه، وحولت بعض قصصه إلى أفلام تلفزيونية، وحصل على جائزة الدولة التقديرية للأدب منذ تسع سنوات، فى عام ٢٠٠٠ .

أهم خيوطه هي العلاقة بين الرجل والمرأة حيث يرى أن الرجل هو الجانب الضعيف وأن المرأة تقوده من خطمه إلى مصيبة الزوج فيندم حين لا ينفع الندم . ومن الموضوعات الأخرى التي تستثير باهتمامه: العلاقات بين الرئيس والرؤوس فى المصالح الحكومية، الأغانى ودلائلها على نفسية الشعب المصرى، تعقيدات البيروقراطية ، حذقة المثقفين فى التدوارات وعلى شاشات التلفزيون ووراء ميكروفون الإذاعة، إدعاءات نقاد الأدب والفن، خلافات الأزواج والطرق المثلثى للتربية الأطفال، الإيمان بالأبراج والطوالع والحظ وـ

يمكن أن يؤدي إليه من حلاوة أو مأس، الأمثال الشعبية ودلائلها، اختيار أسماء المواليد، المسلسلات التلفزيونية وأثر التليفزيون بعامة، تصريحات الوزراء، أسئلة الامتحانات، دلالة الألوان، وهو يستخدم أحياناً أقنعة من التاريخ الفرعوني أو من الحضارة الإغريقية القديمة (موظف إسبرطة، إلخ...)

اخترت في هذا الديوان الصغير أربعة نصوص تمثل فيها عدد من أوجه أحمد رجب أن كانت بطبيعة الحال لا تدعى استقصاء لكل جوانبه (وددت لو اتسع العيز المكاني لإبراد بعض نصوصه الأطول، والأفضل ، مثل «الوزير جاء»، أو «الويا إسبرطة»، أو «لا قانون للحب»، ولكن لا سبيل لذلك). النص الأول، هي ودموعه، من كتاب «توته قوته».. النص الثاني، تمام يا هندم، من كتاب «أى كلام».. النص الثالث، المهمة من فضلك، من كتاب «نهارك سعيد».. النص الرابع، الزعيمة، من كتاب «ضريره في قلبك».. وكل هذه الكتب من نشر قطاع الثقافة والكتب والمكتباتأخبار اليوم في عام ١٩٩٧.

نالت كتابات أحمد رجب تقدير المثقفين والأدباء. فجمال الغيطانى ، مثلا، يكتب في مقدمة لكتاب «أى كلام»:

«سخريته فيها تأمل وعمق وحزن تستمد مقوماتها من روح ساخرة، وموهبة نادرة، وثقافة عريضة، واستناد إلى تراث طويل للشعب المصرى، تراث يجعل الإنسان المصرى أسيان في ذروة فرحة، فإذا ضحك طويلاً أو من القلب يتوقف على الفور ويقول، اللهم أجعله خيراً..»

والناقد الفنى كمال النجمي يسميه في كتابه «القلم والأسلاك الشائكة»، (كتاب الهلال مارس ١٩٩٧) «المهدار الجبار»، ويقول:

في كتاباته اليومية يسجل بلا تعمد تاريخاً موجزاً لعصره يشبهه من بعض وجهاته ما سجله الجبرتى في تاريخه .. الصدق والتلقائية والتجرد من الهوى، والرغبة في إصلاح الحال، والغيرة على مصالح الناس والسخط على البعث والفساد وخراب الذمة».

أشارك هؤلاء الكتاب، بطبيعة الحال، تقديرهم لأحمد رجب وإنما أعددت هذا الديوان الصغير عنه أساساً، لكنني لا أريد أن أبالغ في تقدير قيمته؛ إنه في مقابل مزاياده - يفتقر إلى العمق الفلسفى - ويشوب كتاباته شيء من التكرار وكأنما الأفكار المستحوذة عليه قد فضلت معينها أو كاد، وهو أدنى درجة أو درجات من اقرانه الأكثر عظمة في حقل الفاكهة: المازنى، ويحيى حقي و محمد عفيفى، لكن متعة قراءته تتظل حقيقية، وبعض كتاباته - بوان يمكن هذا البعض قليلاً - يستحق أن يعيش على طول الزمن ■

م.ش.هـ

هي ودموعه

الحب يشيع في كل الأغاني، وهذا شيء طبيعي، إنما الشيء غير الطبيعي أن تدور معظم أغاني الحب عندنا حول الحبيب الذي فات والحبيب الذي راح والله يمسيه بالخيرا

ولا أعرف سرًا لهذه الظاهرة إلا أن يكون مؤلف هذا اللون من الأغاني الشائعة بكثرة، واحداً من الآتي بيانهم:

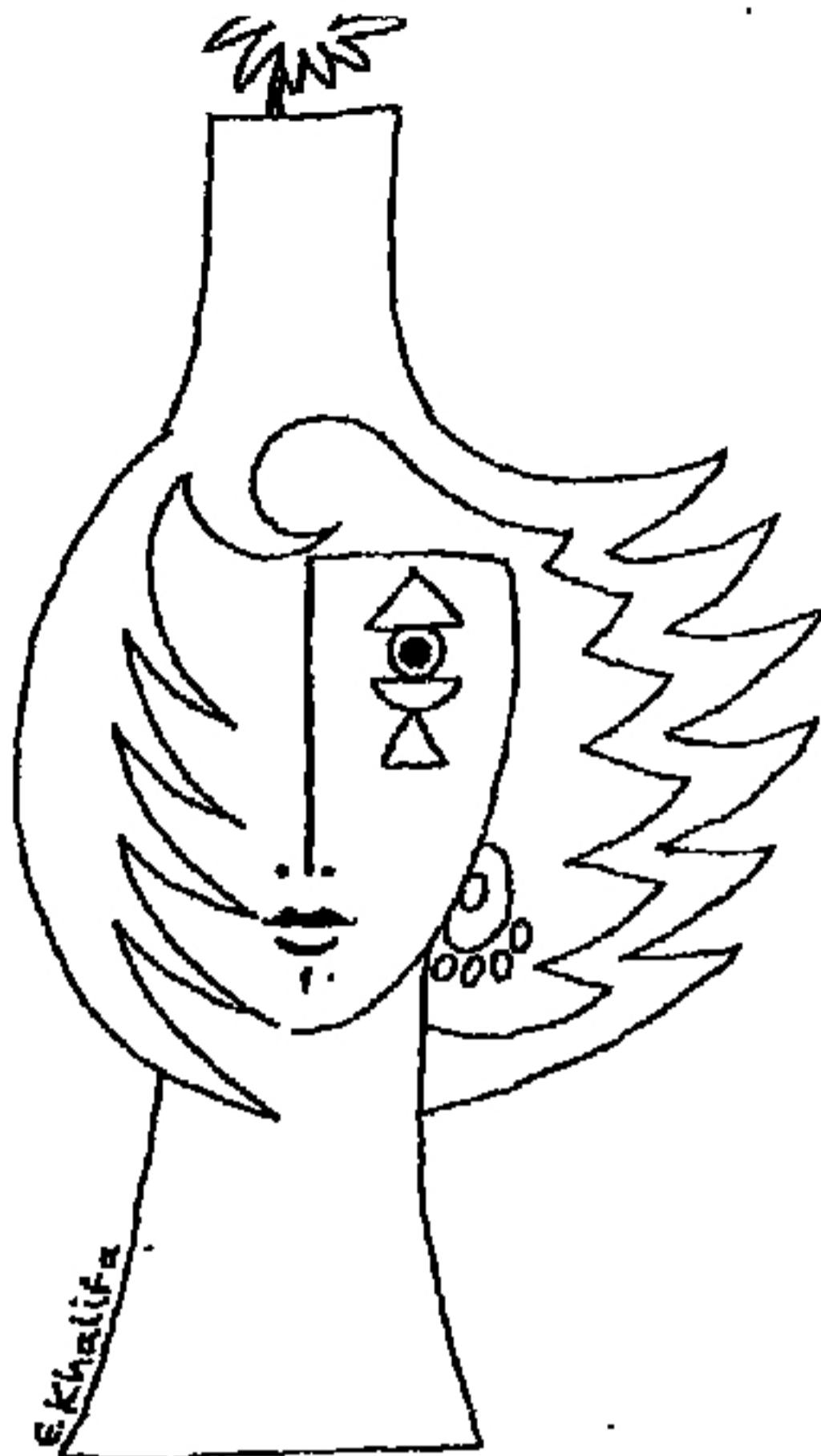
أولاً، مؤلف بكى عند مولده بلا سبب وبعد زواجه عرف السبب الحقيقي لبكاء الرجال عند مولدهم، هنا يصبح أمراً عادياً أن يهرب المؤلف إلى ذكرى البنت التي لم تصير زوجته، والتي لم تزن على دماغه أبداً ليصحبها إلى أقسام البضائع المستوردة والتي لم تكن تكلفه - الله يمسيها بالخير - إلا ثمن فنجان شاي في جنينة الأسماك.

من البديهي جداً إذن أن يحدثنا مؤلف الأغنية عن الحبيبة التي راحت هذه، وأن يذكرها بالدموع لأن ما كانش لها تكاليف.

ثانياً - مؤلف يرى أن الحب نوع من نوع الاستعمار الحريمي، إذ تقوم المرأة بحسب ذلك جميع أسلحتها للقيام بعملية غزو شامل تسيطر خلاله على جميع المرافق العامة في الرجل، قلب الرجل، وعقل الرجل، وأعصاب الرجل، ومحفظة الرجل أيضاً، ثم ترفع علها فوق رأس الرجل لتعلن أنه قد أصبح مستعمرة نسائية خاضعة لنفوذها، ثم تنتقل نفس هذه المرأة للقيام بعملية استعمارية لرجل جديد يخضع لها نفس خضوع المؤلف المستعمر، وهنا لا يجد المؤلف هكاكاً للتحرر منها فيلجاً إلى الصراخ والصوات والبكاء، وهي طبيعى جداً إذن أن نسمع من هذا المؤلف كلاماً غاصباً عن الحب الذي كان والحبيبة التي راحت الله لا يمسيها ولا يصبحها مطرح ما هي قاعدة.

غير أننى أتلمس العذر لمؤلفي هذه الأغاني، إنهم يتحدثون عن الحب الذي راح هو أن الحب المبتور له سحر خاص، إذا أنه حب لم يصل إلى المأذون ولم ينتقل إلى مقره الأخير في بيت الزوجية

فلو أن كل حب من ماركة التي فات واللى راح قدر له أن يستمر إلى مداده لكان نهایته هي قراءة الفاتحة على روح هذا الحب عندما يضع العريس يده في يد أبو العروسة، ولو أن مؤلفي الأغاني الذين يكترون من الحديث عن التي فات واللى راح عرفوا قصة صديقى المرحوم محمد الفلاوى لاقتصدوا فى دموعهم وصواتهم بسبب الهجر



والفارق.

فقد كان صديقى محمد الفلاوى شاعرًا رقيقاً شفاف العاطفة. قال أحلى كلام فى الدنيا عندما افترق عن حبيبته التى أصر أهلها على تزويجها من رجل آخر، وتشاء المقادير أن تنفصل الحبوبية عن الرجل الذى قررت تزويجه بالإكراه لتفتربن بصديقى الشاعر الرقيق.

وحمل محمد الفلاوى - خلال شهر العسل - لقب: حضررة صاحب السعادة الزوجية، ثم مرت بعض السنين ليفقد صديقى هذا اللقب ثم اعقبتها أعوام أخرى لترقد الزوجة على فراش الموات وإلى جوارها صديقى يستمع إليها وهى تقول:

- أخفر لى يا محمد .. فقد عذبتك كثيراً أثناء زواجنا، كنت قاسية دائمًا ووريثك المر

الوان وأشكال

بينما كنت أنت طيب ومسامح.

وهنا قال محمد:

- أنا ٤٤

- أيوه يا محمد..

فرد محمد قائلاً:

- أما إنك ساذجة! أمال هاكرة مين اللي حط لك الزرفنج في الكفتة؟

تمام يا فندم..

كل إنسان ضعيف أمام التناقض.

من الذي يرفض أن يقال له أنت الأذكي والأقوى والأصوب رأياً والأعظم موهبةً؟ ومن الإنسان الذي يستطيع أن يتحمل الحقيقة السخيفة وإنسان آخر يواجهه بها قائلاً:

أنت غبي

ولعل أحسن ما قيل في أمر التناقض هو أنه يحسن بالإنسان أن يتلقى المدح الزائف فيه كما يتلقى زهرة، يشمها ويحرص على الا يبتلعها.

لكن كبار الموظفين يشمون الأزهار ويعلّكونها ثم يبتلمونها ويتصورون أن كلمات المرؤوسين من محترفي التناقض هي حقائق سعيدة!

ولست أدرى كيف يمكن أن يتحقق رئيس العمل من أوهامه التي يعذبه بها المنافقون؟ كيف نرده إلى حجمه الطبيعي؟ هل تخصص مثلًا يوماً في الأسبوع اسمه اليوم الإداري المفتوح تزال فيه حواجز السكرتارية وتتوقف فيه لوائح الجزاءات والتأديب ليدخل المروضين إلى رئيس الإدارة قائلاً:

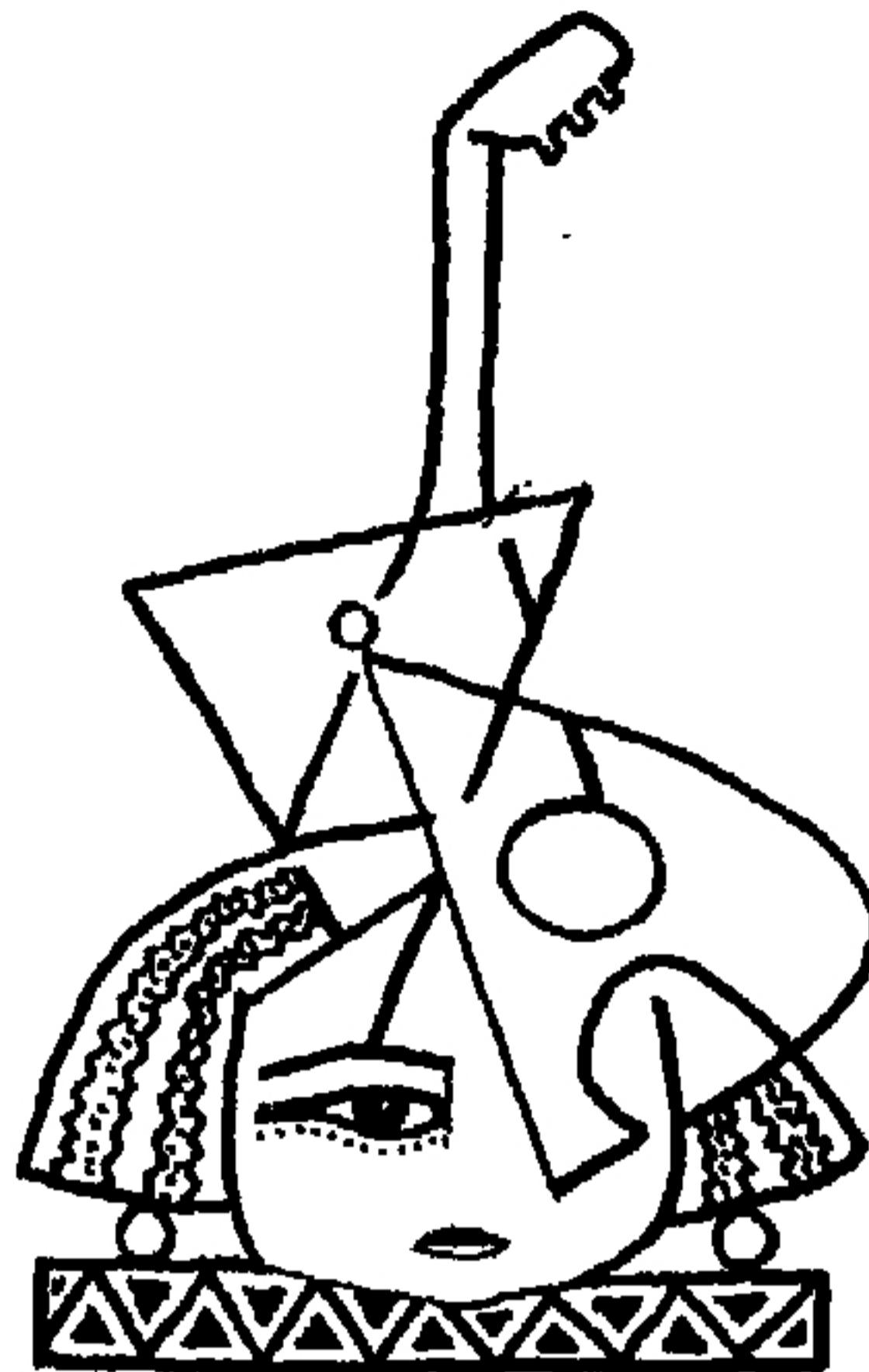
- السلام عليكم..

- وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته.. تفضل اجلس وقل الحقيقة.

- هلان الفلافي يرأس بقرار منك إدارة ليست مجال تخصصه - فهل يمكن يا سيدى أن تعطينا أسباباً وجيهة لتعيينه غير أنه ابن اخت المدام؟ ثم يستقبل رئيس العمل كبير أطباء الشركة ليقول له: لقد أشعروا صفات ليست فيك، فإن كنت تحرص يا سيدى على أن تتحلى بهذه الصفات فهذا دواء قد يساعدك على التفكير بذكاء.

والتناقض صفة إنسانية تميز بها الإنسان عن الحيوان لأن الحيوانات لا تناقض أبداً، فلا هي مصابة بجنون العظمة كالإنسان، ولا هي عندها نرجسية أو مركبات نقص أو جنون حب السلطة، وهي جمِيعًا لوثات عقلية يرضيها التناقض كثيراً، ويقول المنافقون: لو كان الحمار الوحشي مثلًا - وهو المعلم المفضل عند الأسد - قد تعلم كيف ينافق الأسد لنجا من أطلاقه وانيابه، ويضيف المنافقون: لكن الحمار الوحشي لا يعرف التناقض لأنه حمار!

ولو كانت الحيوانات في حدائق الحيوان تناهق الإداريين فيها لقرانا في حركة الترقى



أن القرد قد رقى إلى ذئب والنمر إلى أسد والأرنب إلى ذئب، كما سنرى أن الذين لا يجيدون النفاق من الحيوانات قد لاقوا الجزاء في حركة الترقيات فنزل الأسد إلى درجة بغل استرالي والزرافة إلى غزال والفيل إلى شمبانزي والنسر إلى دكربط.

ومن حسن حظ تلك الحيوانات أنها لا تعرف الصحف، حيث يمارسون الإنسان في أعمدة المجتمع والوظائف الـوازا مستحدثة من النفاق، ولو عرفته حيوانات الحديقة لظهرت في أعمدة الصحف هذه الإعلانات:

- مرجان كبير القرود يتقدم بصفته وبالنيابة عن إخوانه القرود بأخلاص التهاني للسيد مدير الحديقة بمناسبة تقلده منصبه داعياً لسيادته بدوام التقدم والرقة.
- حمار الحديقة الوحشى يهنئ السيد المدير الجديد بثقة الوزير.
- ينعن سيد قشطة ببالغ الحزن والأسى السيدة زفوبيا زوجة عم السيد وكيل الحديقة التي اختطفتها يد المنون وهي لاتزال في ريعها التاسع والتمانين.

إذا لاحظه مدير الحديقة أن الأسد مثلًا لا يمشي في موكب المداحين عاقبه بتغيير اللحم الذي يأكله وامر بـأن يأكل الأسد اللحمة التي يشتريها الناس من الجمعية.

المهنة من فضلك؟

قد يتضح في ظروف خاصة أن للزوج هاذفة، ففي بعض الأحيان تسيطر مهنة الزوج على تصريحاته وأحاديثه، ويشحول عندهن إلى أداة قسلية وتنقيف للزوجة، ومن هؤلاء الزوجات السعيدات جارتنا ناهد.

إن زوجها لا يكلمها إلا في تخصصه العلمي «علم الإنسان القديم»، فلا يحدثها إلا عن إنسان جاوة البدائي، وإنسان بكين ذي القامة المعتدلة، وججمجمة إنسان نيافندرتال، وهو في خلال حديثه الشائق يمسك بجمجمتهما، أو يدعها تمسك بجمجمته لتتفق بنفسها على تركيب العظام، فلما تمرست ناهد في هذا العلم لطويل ما حدثها فيه، اكتشفت أن ججمجمته منحدرة الجهة، ولم تجاهره عندهن بذلك وإنما علم الجيران بهذه الحقيقة العلمية في الاشتباك الدوري بينهما، فقالت ناهد بأعلى صوتها إن ججمجمته ذات الجبهة المنحدرة والفك البارز هي بالضبط ججمجمة الإنسان الشمبانزي البدائي الذي عثروا عليه في الفيوم، ثم راحت تحدد له الصفات المشتركة بين وجهه ووجه القردة العليا والأورانجوتان.

وكان الجار الثاني هو الدكتور كرم، ولأنه شديد التعلق بتخصصه العلمي، فقد كان يشبع من حوله لوناً بهيجاً ومسلياً من الحياة ليمن فقط للسيدة نعمت زوجته، بل لكل الجيران أيضاً، وقد كنت أكثرهم استمتاعاً بمحواره، إذ كانت ذاته غرفة مكتبي تتطل على غرفة المعيشة عنده، فاستغنت تماماً في أوقات الفراغ عن برامج التليفزيون اكتفاء بالعروض المثيرة التي يقدمها الدكتور كرم، ذلك الأستاذ الحائز على ثلاث دكتوراه في الدراسات الصوتية للغة، وبرهن بحق على استاذية عظيمة في علمه.

ذات مرة شاهدته جالساً في غرفة المعيشة يقلب صفحات جريدة، وما ثبت أن نادى خادمه: يا عنتر، ولما أتي صوت عنتر من بعيد يقول: «نعم يا فندم، .. اعتدل الدكتور في جلسته متحفزاً وقد القى الجريدة جائباً، وجاء عنتر بعد برهة ليسأله الدكتور: هل كنت ترد على ندائى وفمك محسو بطاطة مشوية؟». إن مخارج الألفاظ وانت تقول لى «نعم يا فندم» تكشف بوضوح أنك كنت تأكل البطاطة.

وانكر عنتر، وأمام العصبية المتضاغدة للدكتور كرم، اعترف الخادم بأنه كان يأكل قطعة مارون جلاسيه وهو يرد النداء، ولم يكتثر الدكتور لهذا الاعتراف الصريح بالسرقة،



وصمم على أن عنتر كان يأكل بطاطة مشوية، ثم كلف الخادم بـ أحضار البطاطة من المطبخ مع طبق المارون جلاسيه، وراح يأمره بأن يحشو فمه مرة بقطعة مارون ومرة بالبطاطة ويقول، نعم يا فندم، وظل الخادم يركل المارون والبطاطة حتى أتى عليهما جميعاً.

وعندما عادت نعمة من العمل وجدت أن عنتر قد ترك البيت إلى غير عودة، فأشارت هي الأخرى في أرجاء المنزل لوناً من تجديد الحياة لكسر الروتين ورتابة المأثور، وأذ صرخت ولطمته وارتقت عويلها، فقد أصبح عليها أن تقوم بأعمال البيت انتظاراً للخادم السابع خلال شهرين. فقبل عنتر كان هناك سعدان وأم الخير وحسنين ومصيلحي وزاهدة والحنفي. ولقد تركوا الخدمة جميعاً بسبب الخلافات العلمية مع الدكتور، أم الخير مثلاً أخذ عليها الدكتور أنها ما من مرة ترد على ندائها إلا وهي تقرقر لبها أبيض بالذات وليس لها اسمراً إذا ما ادعت ذلك عن الخادم سعدان، فقد قضى أياماً عصبية والدكتور يدرّيه على الطريقة المناسبة للكلام لأنّه - في رأي الدكتور - يتكلّم كالرعاع.

عندما أدار دكتور كرم قرص التليفون رد عليه صوت نسائي بأن النمرة غلط، وما لبث أن استولى عليه الاهتمام المهني فاستاذتها في سؤال، فلما أذن له سائلها: ما شكل سنتك الأمامية اليمني؟.. لابد أن السنتين الأماميتيين عندك بديعتا التكوين، فانت تنطقين حرف العين بجرس له عذوبة خاصة.

- نعم..

فلما أعاد إليها ما قال، بدا له أن المرأة المجهولة قد طربت لهذا الثناء، ولاقي في نفسه ما شجعه على أن يقول لها: كم هو جميل حرف العين عندك.. قولني سلامات، فأطلقت المرأة ضحكة أنوثية ثم قالت في دلال: سلامات، وسعد الدكتور كرم بأن السيدة متّفهمة ومستنيرة تقدر الأبحاث العلمية، وعندما بدأ يجرب حرف آخر في فمهما هو حرف الزين، قال لها: قولني لي: زوروني كل سنة مرة، واستجابت المرأة، وما لبث أن صادف الدكتور هو في نفسها، فتضاعفت سعادته وهي تسأله: تحب تسمع «العين»، تاني؟

- أرجوك!

- كلمتني عن نفسك

وتقاضاكاً، ومنضي الدكتور يقدم نفسه إليها، فأدلني باسمه، ومهنته، وعنوانه ورقم تليفونه، ولم يكن الدكتور كرم يدرى أن الذي كان يمسك بالسماعة في تلك اللحظة ضابط شرطة الآداب الذي داهم مسكن المرأة.

١٩٦٣
في الشقة المجاورة لسكن الدكتور كرم - حيث يقطن الأستاذ بكير - كان العرض صباحيا فقط، فالأستاذ بكير مهنته العلاقات العامة، وقد حصل في هذا التخصص على مؤهلات كثيرة من جامعات بريطانيا وأمريكا، وهو شخصية جذابة وناجحة، يحظى بإعجاب سكان البناء جميعاً ما عدا زوجته طبعاً، فالزوجة عادة لا تتباهى بما يتباهى به الآخرون من زوجها، ذلك أن كل زوج كالقمر، ليس في بهائه طبعاً، ولكن في أن له وجهاً وضيئلاً يواجه الناس، ووجهها دائم الظلم يواجه الزوجة المسكينة، فالعلاقات العامة - مثلاً - تتحتم على الأستاذ بكير أن يكون الأظرف والأرق واللطف، وأن يبتسم وأن يجامل وأن يحل المشاكل في دبلوماسية وأن يتتحمل في صبر وإفادة سخافات الآخرين، فإذا ما عاد إلى البيت أفرغ شحنته العصبية المختزنة في زوجته الطيبة هدى التي اعتادت أن تتحمله في صمت وصبر.

وأشهد أن الأستاذ بكير لم يكن - كمعظم رجال العلاقات العامة - يرقد في قناعاً زائفَا من الحب والمؤدة للناس، بل كان يحب الناس حباً حقيقياً.

ولقد رأيت بعيني ما الذي تكلفه له محبة الناس!

ففي كل صباح كنت أسمع زهرة متأنة للأستاذ بكير يعقبها صوت شديد الحزن: لا حول ولا قوة إلا بالله. وتسائله هدى من بعيد: من؟ ويرد بكير بصوت تخنقه الدموع، ماهر عباس.. البقية في حياتك.

ولم تكن هدى تستفسر عمن يكون ماهر عباس. فزوجها يصادق الدنيا كلها . كل ما كان يعنيها أن تهدئ من روعه وأن تخفف عنه..

.. في الصباح التالي يتراهم إلى سمعي صوت الأستاذ بكير مفجوعاً: غير معقول! ..
غير معقول!

وتسائله هدى : من؟

ويرد بكير باكي النبرات : مراد الكروتي .. لا إله إلا الله..
يا حبيبي يا مراد .. يارب صبرك .. يارب صبرني..

كنت أراجع صفحات الوفيات في الجريدة، فيزداد إكباري للأستاذ بكير لأن المتوفى رجل بالمعاش، لا سلطان له أو جاه ، أو رجل عادي متواضع الأقارب فلا شبّهة إذن في نفاق أو مداهنة من جانب الأستاذ بكير، وما من صباح يمر دون أن أسمع صيحة الفجيعة يطلقها هذا الرجل النادر في زماننا الصعب. والشئ المذهل أنه كان لا يعود من كل ماتم إلا في الواحدة صباحاً بعد أن ينفض الناس من سرادق العزاء. وينوب عن أهل الفقيد في محاسبة محل الفراشة والقراء وغير ذلك..



E.Khalifa

ليس هذا فحسب.. فإنني أذكر الصباح من شهر مايو عندما أطلق الأستاذ بكيير صرخته اليومية المفجوعة ثم قال: ميرزا مات ٦٩ يا خبرأسود ٦٩ ميرزا ٦٩.. معقول ٦٩ استغفر الله العظيم.

وناشدته زوجته أن يرحم صريحته من هذه الانفعالات بينما أمسك هو بسماعة التليفون وقد بدأ يعد ترتيبات سفره إلى لندن.. ففتحت الصحيفة على صفحات الوفيات فوجدت أن المرحوم ميرزا فريدون قد توفي في لندن وسوف يدفن جثمانه هناك.

اينذهب إليه بكيير في لندن؟ أي رجل خرافى هذا الأستاذ بكيير؟ إنه طراز عظيم ونادر من البشر تقلص وانقرض..

سلمت عليه بحب وتقدير وهو يستعد للتحرك نحو المطار. وغاب في لندن أسبوعاً يودع ميرزا فريدون صديق العمر.

في شهر يوليه اكتشفت هدى أن بكيير لم يكن يعرف واحداً من هؤلاء الموتى، بل كان يزعم أنه ذاهب إلى المأتم الليلي ويقضى نصفاً من النهار ونصفاً من الليل عند الزوجة الجديدة



E.Khalifa200

الزعيمية

ووسط حشد من الحضور في قاعة الفندق الكبير أقت الزعيمية محاضرة دعت فيها أعضاء حزبها من الزوجات تخصص يوم في الشهر يسمى اليوم المفتوح حيث يعقد الزوجان جلسة ثنائية بعيداً عن الأولاد ليصافح كل منهما الآخر بالأخطاء التي ارتكبها، وموافقه غير المسوية، وكل ما يريد الإظهار به، فحرية الرأي بلا قيد ولا غضب وحرية التعبير مكفولة بلا جساليس.

وكتب الأقلام تعلق على محاضرة الزعيمية، فمن قائل إن مثل هذا اللقاء سوف يكون الفتيلة التي تشعل الدينامية ومن قال إن هذا هو السبيل الحضاري إلى التنفس عما يعانيه الطرفان من ضغوط نفسية قد تؤدي في النهاية إلى انفجارات تحطم البيت والأسرة، وقال ثالث: إن تحقيق فكرة الزعيمية يمثل صمام الأمان من أن تنتقل أخبار الزوجين إلى صفحة الحوادث، أو يختفي الزوج في كيس بلاستيك.

وبدأت الزعيمية بنفسها فعرضت الفكرة على زوجها الدكتور عبد الهادي الذي أبدى ترحيباً وتشجعاً، واتفقت الزعيمية مع مدام نازلى مديرية المنزل على إجلاء البيت من الأولاد بعد ظهر يوم السبت الأول من كل شهر، إذ قررت الزعيمية أن يكون هذا موعد اليوم المفتوح.

في الاجتماع الأول مع زوجها بدأت الزعيمية حديثها بأن على كل طرف أن يتحرر من الخوف حتى يصافح الآخر، وقال: إنها تأمل أن يحاول كل طرف اختيار الفاظه بدقة بعيداً عن الكلمات الحادة وأن يبدي كل طرف بالغ أسفه إذا اضطر إلى استعمال لفظ غير لائق لا يوجد له بدل.

وبدأت الزعيمية حديثها قائلة للدكتور عبد الهادي: أعبر لك عن بالغ أسفني إذ لا أجد لفظاً بديلاً، ولعلني أكشف لك لأول مرة عن الحقيقة التعسة، فمنذ زواجنا قبل ١٩ سنة صدمتني كثيراً أن أراك بليد المشاعر. سكتت الزعيمية للحظة فقال الدكتور عبد الهادي: هل تسمحين بأن تذكري وقائع محددة لعلى أستطيع الدفاع عن نفسي بدلًا من الاتهام العام ببلادة الذهن والمشاعر.

قالت الزعيمية: إن بلادتك تتبدى بوضوح في مواقفك تجاه مشاكل الأسرة وتنصلك من مسئوليياتك التربوية .. أنت في حالة هروب دائم، أحياناً في أبحاثك وأحياناً في الشطرينج، ولو لا مدام نازلى - تلك السيدة العظيمة - لا أدرى كيف كان يمكن أن

يكون حال هذا البيت والأولاد، فأنا غارقة في عملي ومسئوليائي في الحزب ، بينما أنت منصرف إلى أبحاثك الفاشلة.

ومن مظاهر بلادتك ذلك الأسلوب الانهزامي الذي تناقش به الأولاد، فآمنت تسلم لهم بأراء ما كان ينبغي أن توافق على مجرد مبدأ مناقشتها، وبقدر ما أراك مستسلماً لأراء الأولاد. لا حظ - بكل اسف - محاولات دائمة لتسفيه أراء مدام نازلى خصوصاً أفكارها التربوية الممتازة. هذا بالإضافة إلى الروح غير الودية التي تبديها نحوها متجاهلاً أنها قريبيتي، الأمر الذي اضطررني أكثر من مرة إلى أن أقف بجانبها ، وأنا أعرف حقيقة دوافعك إلى هذا.

إنها النزعة العنصرية عندكم يا عشر الرجال بوهم التفوق على المرأة وأنكم الجنس الأقوى والأرقى والأذكي، هراء، هراء، فإذا كان العلم قد أثبتت أن مع الرجل أكبر حجماً من مع المرأة، فقد جاء النبا العلمي السعيد بأن مع الرجل أصغر بكثير من مع الحمار. انتهت الرؤية العنصرية إلى التأكيد على وجوب تصدي الدكتور عبد الهادي لأراء الأولاد التي يزعم - وهما - أنها رؤية جديدة ومتازجة للحقيقة وإنه ضد أن يعتنق الأولاد أفكاراً جاهزة أو معلبة. ثم أبدت إصراراً على أن يحترم زوجها مدام نازلى وأراءها النافعة المشرمة.

وجاء دور الدكتور عبد الهادي لكنه يتكلم.

قال: الحق أنت في جلسة المصارحة هذه لا أجد ما أقوله.

قالت الرؤية، ماذا تعنى؟

- لا أجد فيك ما أنتقاده ، ولا أجد عيباً في شخصك أو مواقفك أنت سيدة نادرة قل أن يوجد الزمان بها.

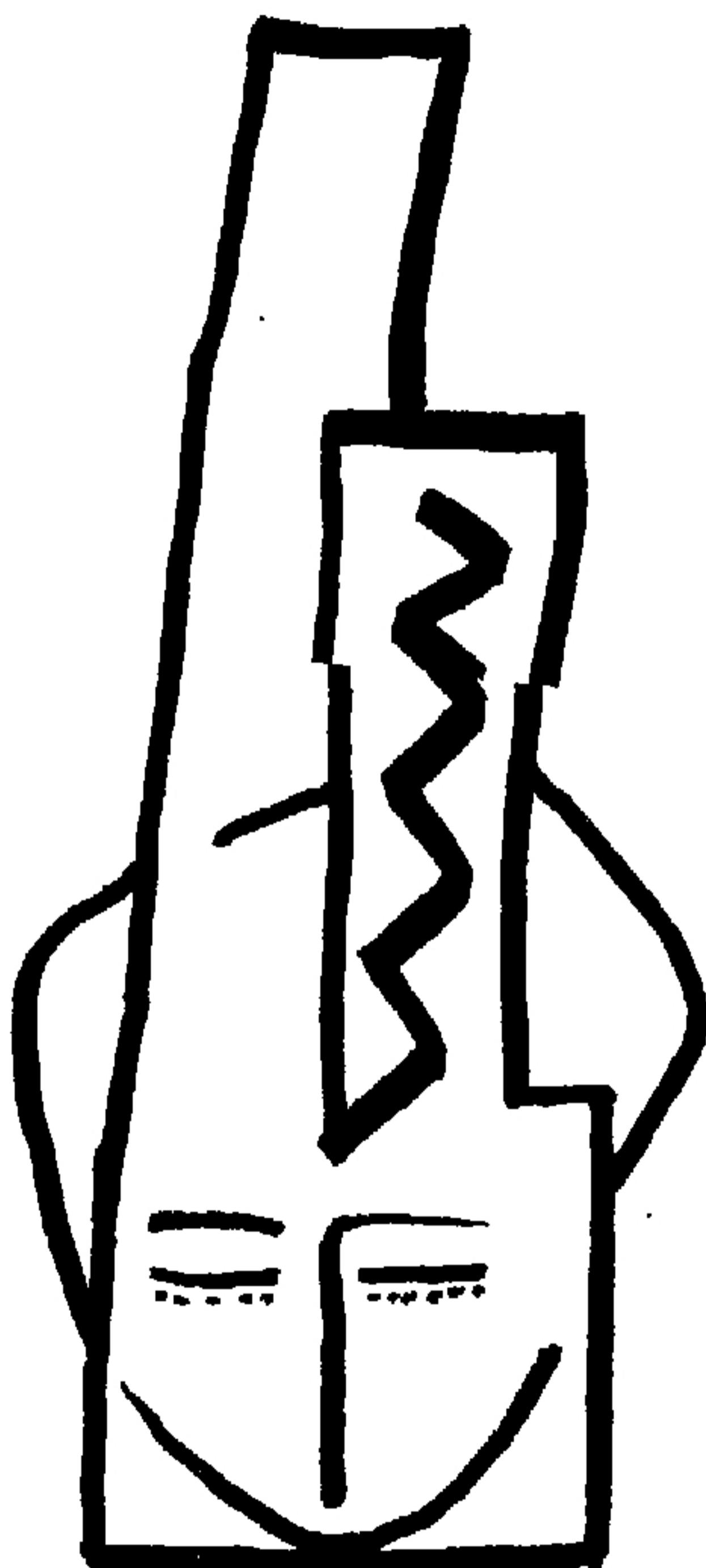
قالت الرؤية: الا تختلف معنى في رأي؟ الا تبدي رفضاً ملحوظاً على تصرف ما؟
- إطلاقاً.

قالت الرؤية: أعرف أنك إنسان سليم وجبان ومتعدد، ولكن صدقني أنت في هذه الجلسة تتبادل الآراء بحرية تامة، فقل كل ما يعن لك بلا خوف ، واكتشف عن مشاعرك مهما كانت شريرة.

- لا أجد فيك مطعناً واحداً.

ثم نهض عبد الهادي واقفاً وقال: هل يمكن أن نعتبر أن جلسة المصارحة قد انتهت؟ فصاحت الرؤية: أجلمن ، ثم راحت تردد في عصبية، تكلم إليها الجبان.

التفت الزوجان نحو الباب الذي ظهرت به مدام نازلى وعلى وجهها تأثر واضح وهي



تخاصب الزعيمة بصوت يملؤه الأسى: هذا كثير يا أبلة .. كثير.
صاحت الزعيمة: عودى إلى حيث كنت يا نازلى .. هذا أمر لا شان لك به.
قالت مدام نازلى بل هو أحسن شئونى .. فالدكتور عبد الهادى زوجى من ١٥ سنة ■

ذكرى أحمد: هو صحيح الهوى غالب

توفيق حنا

في يونيو ١٩٦٣ صدر كتاب «ذكرى أحمد»، في سلسلة «أعلام العرب»، بعد مضي عاشرين أو أكثر على رحيل هذا الملحن المصري العظيم ذكرى أحمد، ويقدم مؤلفه صبرى أبو المجد هذه الترجمة بهذه الكلمات:

هذا الذى بين يديك ليس مجرد قصة أو رواية طويلة أو قصيرة، كما أنه ليس مجرد نشر لبعض المذكرات أو الذكريات الفنية، أنه مزيج من كل هؤلاء، فيه القصة وفيه الرواية، وفيه التاريخ الحى لفنانا ولفنانينا، وفيه المذكرات والذكريات والأحداث التى يزاح عنها الستار للمرة الأولى، خلال الستين عاماً الأخيرة.

وعن حياة وشخصية الفنان المصرى الأصيل ذكرى أحمد يقول صبرى أبو المجد، إنه الوعاء الذى يضم حياة فنان خرج من القاع، ليترى على القمة، فنان رأى ما لم يره غيره من صمود إلى أعلى ومن هبوط إلى أسفل، ومن غنى فاحش إلى فقر مدقع.. تسعد الملايين من العرب كل ليلة بالحانه الخالدة، وهو مصاب بالذبحة الصدرية، يسكن فى الدور الخامس فى عمارة ليس بها مصعد..

ولعل هذا الكتاب هو الكتاب الوحيد عن ذكرى أحمد - وأرجو أن أكون مخطئاً - عن رفيق طريق الفنانة المصرية الخالدة أم كلثوم منذ اللقاء الأول فى ٢ يونيو عام ١٩١٩ . حتى وفاته .. فى ١٤ فبراير ١٩٦١ .

كانت أغنية ،اللى حبك يا هناء، التي أبدع كلماتها الشاعر احمد رامي هي الأغنية الأولى التي لحنها زكريا احمد للفنانة ام كلثوم في منتصف العشرينات.. وكانت هذه الأغنية هي أول أغنية استمع إليها عند أحد الأصدقاء في مدينة المنيا.

ويحكى لنا زكريا احمد ظروف تلحين هذه الطقطوقة،
كنت في هذا الوقت أقوم بتلحين روايات على الكسار، فدعتنى ام كلثوم ، التي كانت تقوم بالغناء في فترات الاستراحة بين فصول روايات الكسار إلى تلحين بعض أغانيها، وذلك بمناسبة تسجيل عدة أسطوانات لها، وكان أول ما لحت لها ،اللى حبك يا هناء.. وكان ذلك سنة ١٩٢٥ ..

ويحدثنا زكريا احمد عن علاقته بأم كلثوم وتقديره لصوتها وشخصيتها الفنية:
إن اللحن الذي أريد أداؤه بصورة معينة، ولكنني لا استطيع أداؤه بهذه الصورة لا يوجد من يؤديه كما أريده إلا ام كلثوم، أن صوتها يمتاز برشاقة وخففة دم وجمال ما بعده جمال».

وعن علاقة ام كلثوم باللحن .. كل لحن .. يحدثنا صبرى أبو المجد،
ام كلثوم تسمع اللحن مرة من زكريا، وتغنمه معه في المرة الثانية، وفي المرة الثالثة تغنمه وحدها،

وعن صوت ام كلثوم يقول زكريا احمد:
ـ إنه يمتاز بثلاثة أشياء: أولها أن الله وهبها صوتا لا مثيل له من ناحية القوة والجمال، والثانى أنها بحكم حفظها وتجويدها للقرآن الكريم قد اكتسبت خبرة تجعلها قادرة على اعطاء كل كلمة وكل حرف ما ينبغي للنطق الصحيح، وبحكم العادة وبمضي المدة أصبح ذلك فى طبيعتها، وسلمت مخارج الحروف عندما بحث يتبين سامعها كل كلمة تغنمتها بوضوح تام.

والشىء الثالث هو أنها رقيقة الحس وعظيمة الذكاء، كثيرة الاطلاع، فهي تجيد فهم كل أغنية، وتحس بكل معاناتها، التي تشير إليها كل كلمة في الأغنية، وكثيرا ما يفتح الله عليها فتنعمق في فهم الأغنية وفي الأحاسن باللحن الموضوع لها، فتضفي إلى المعنى التي يريدها المؤلف والملحن معانى أخرى متولدة منها، شديدة الشبه بها، تخلب لباب السامعين، دون أن تخرج عن المقصود في التأليف والتلحين. ومن هنا كانت ام كلثوم أحسن المطربات لأن صوتها وأداؤها يصدران عن فهم واحساس».

ويتساءل صبرى أبو المجد:
ـ من صاحب الفضل الأول في الأغنية؟ فهو المؤلف الذي صاغ كلماتها؟ أم هو الملحن

الذى وضع موسيقاها؟ أم هو المطرب الذى غناها بصوته؟.

ويقول زكريا احمد:

إن الفضل يرجع إلى الثلاثة معاً.. المؤلف، والملحن والمطرب، وإن كانت مهمة الملحن أشق وأعنف وأكثر جهداً وعرقاً..

ولكنني أقول معتمداً على كلمات زكريا عن صوت أم كلثوم وعن علاقة أم كلثوم بالكلمة واللحن .. إن الفضل الأول للنجاح الأغنية يرجع إلى الصوت.. الذي يحمل مسئولية الكلمات والألحان.

ويحدثنا المؤلف عن دور الفنانين في ثورة مصر الخالدة عام ١٩١٩ :

كان دور الفنانين في ذلك الكفاح عظيماً حقاً، إذ أنهم لم يكتفوا بالمشاركة بالمؤتمرات والاجتماعات المتتالية في المساجد والكنائس، بل أخذوا على عاتقهم، مع ذلك، مهمة أجل خطراً وأعمق أثراً هي مهمة إذكاء الروح الوطنية الثائرة، وتزويدها بوقود من الفن الموجه المتغلغل في النفوس.. وكانت الألحان الوطنية التي وضعها الموسيقار المصري العبقري الشيخ سيد درويش ما تکاد تتردد على المسرح حتى يحفظها جمهور المتفرجين..

وفى مقدمة ألحان سيد درويش التى ظهرت فى السنة التالية لقيام الثورة من تأليف بديع خيرى.. ذكر منها:

قوم يا مصري مصر دايماً بتندبك

خد بنصرى نصرى دين واجب عليك

رد سعدى قبل ما يروح من اديك

ويحدثنا المؤلف عن دور زكريا احمد في ثورة ١٩١٩ :

... ولحن زكريا احمد في هذه الفترة الحاناً سرت في الشعب كما تسري النار في الهشيم..

منها ما غناه عبد اللطيف البناء:

قال يا سعد من غيرك زعيم،

ومنها ما غناه زكي مراد:

مصر أولادها رجال،

وكان لزكريا احمد نشيد «سعد زغلول»، كان يلقى في بداية العمل بمسرح «الملاجستيك»، حيث كان الجمهور والمنشدون والمطربون يرددونه جميراً وقوفاً، والن جانب هذه الثورة العظيمة التي قام بها المصريون - كل المصريين - ضد الظلم والقهر والاستبداد .. ضد سلطان الظلم في سبيل الحرية والكرامة والعدل والاستقلال .. إلى جانب هذا فقد

امتلأ عام ١٩١٩ بالأحداث المهمة في حياة زكريا أحمد .. يقول زكريا أحمد :

هي ١٩ مارس امتنعت عن الشرب.

وفي ١٨ مايو سافرت إلى السنبلاويين وسهرت عند على أبو العينين

وفي ٢ يونيو عرفت أم كلثوم وكانت قد جاءت إلى السنبلاويين للاستماع إلى .. وسمعتها وهي تغنى مع أخيها خالد، وعزمتني عندها في الريف .

وفي ١٠ يونيو زرت أم كلثوم بطماء الزهابيره وأكلت عندها وزة على الطبلية.

وعن سيد درويش وزكريا أحمد يحدثنا المؤلف حديثا طويلا استغرق فصلا كاملا، من الظواهر التي استرعت انتباه الدارسين للتاريخنا وجود تشابه غريب بين بعض الشخصيات البارزة التي تكمل الواحدة منها الأخرى. ففي دنيا السياسة - مثلا - نجد مصطفى كامل ومحمد فريد ، الأول باعث الحركة الوطنية في بداية القرن العشرين، والثاني هو حامل شعلة التحرير والانطلاق التي سار خلفها الملايين ..

وفي دنيا الموسيقى نجد سيد درويش وزكريا أحمد ..

فبينما يفجر سيد درويش الثورة الموسيقية العربية، ينجح زكريا أحمد قرابة الأربعين عاما في أن يكون الحارس الأمين للموسيقى العربية الأصلية، يذود عن حياتها، ويدافع عنها، ويضم إلى كنوزها تحفا من روايته، ويضيف المؤلف:

.. وفي أحسن الحالات النفسية لزكريا أحمد كان يغني لسيد درويش الكثير من الأغانى والأشجان، التي كانت بالنسبة له أعذب الأغانى وأجمل الألحان ..

ومع المؤلف يستعيد زكريا أحمد بعض ذكرياته عن بعض الفنانين الذين اتصل بهم: ... على الكسار الذى كان بالأمس ظاهيرا والذى لم يعرف الكتابة والقراءة في صغره، ولا حتى بعد أن كبرت سنها وأصبح يمثل بنجاح روايات مولير، ويجمع في مسرحه بين أبطال الفكاهة والغناء، ويستأجر كبار الفنانين الإيطاليين لرسم المناظر التي يحتاج إليها في مسرحياته ..

- ومحمد عبد الوهاب - صبي محمود يوسف الترمي - الذي كان يصعد إلى المسرح في الفواصل ليغنى:

انا عندي منجه

وصوتي كمنجه

ابيع وأغنى

وأكل منجه

والذى لم يكن يرتدى سوى جلبائه القصير، وفيما بعد، ألبسوه البنطلون القصير. وقد أصبح شيئاً يهتم به أحمد شوقي الشاعر الكبير وتهتم به البلد باسرها ..

• • •

ويسجل لنا المؤلف ما قرره عالم الموسيقى هـ.ج فارمر في كتابه عن «الموسيقى العربية»،
إن العرب قد وصلوا في الموسيقى إلى الدرجة التي وصل إليها الساميون، ويمكن أن
نقول إن أصل الكلمة الشاعر عند العرب يرجع إلى «شاورو»، أي رئيس المغنيين في الآشورية،
وتسمن الترقيله الآشورية: «شيرو»، ونلمح فيها كلمة شعر.

• • •

وزكرياً أَحْمَدُ الَّذِي رَافَقَهُ الْمُؤْلِفُ عَدَّةَ سَنَوَاتٍ قَبْلَ أَنْ يَكْتُبَ هَذَا الْكِتَابَ يَعْبُرُ أَصْدِيقُ
تَعْبِيرٍ عَنْ شَخْصِيَّةِ «ابْنِ الْبَلْدِ»، بِكُلِّ مَا تَحْمِلُهُ هَذِهِ الشَّخْصِيَّةُ مِنْ مَعَانِي الْوَهَاءِ وَالْكَرْمِ
وَالصَّدْقِ وَالْبَسَاطَةِ وَالشَّهَامَةِ وَخَفَةِ الدُّمُّ وَالذِّكَاءِ (يَفْهُمُهَا وَهِيَ حَلَائِرُهُ) وَالْإِعْتِزَازُ
عَلَى الْكَرَامَةِ..

ويقول صبرى أبو المجد وهو يقترب من نهاية رحلته المليئة بالاستطراد والتنفس
عنها الرواى الشعبي وهو يكرر لحدثه ،فتك بالكلام،
ولَا تنتهى موسيقى زكرياً أَحْمَدَ، بِلْ سُبْقَنِي إِلَى الأَبْدِ مُتَمَثِّلَه فِي هَذِهِ الشِّرْوَةِ الْفَنِيَّةِ
الصادقة، التي، ثُرِحَوْ أَنْ تَنَالِ مَا تَسْتَحِقُ، مِنْ عِنَادَه وَدِرَاسَةِ وَتَمْجِيدِه.

3

وخير ما اختم به كلمتي عن كتاب زكريا احمد، هو ما سجله المؤلف صبرى أبو المجد في نهاية الفصل الأخير، بكلمات كمال الجويلي عن الأغنية الأخيرة لزكريا احمد وهي، وهو صحيحة فهو غلاب:

استمع زكرياً أَحْمَدَ إِلَى أغْنِيَّتِهِ الْجَدِيدَةِ الَّتِي لَحَنَهَا لَأُمِّ كَلْثُومَ وَهُوَ فِي فَرَحٍ .. الْفَرَح
كَانَ فَرَحٌ فَبِوَيْهَ بَنْتُ صَدِيقٍ عَمْرَهُ عَبْدِ الْعَزِيزِ قَطْهِ .. وَالْفَرَحُ كَانَ فِي دَرَبِ الْمَسْمَطِ ..
قَبْلَ أَنْ تَغْنِيْ أُمِّ كَلْثُومَ فِي حَفَلَتِهَا غَنِيْ زَكْرِيَاً أَحْمَدَ فِي الْفَرَحِ . لَمْ يَغْنِ «هُوَ صَحِيحٌ
الْهُوَيْ غَلَابٌ» الَّتِي لَحَنَهَا لَأُمِّ كَلْثُومَ بَعْدَ طُولِ غِيَابِهِ عَنِ الْمَعْرُوسَيْنِ عَلَى الْكَوْشَةِ ، ثَلَاثَتِنَا
نَادِيَهُ ، وَصَلَاهَ الزَّيْنِ عَلَى الْمَعْرُوسَيْنِ ..

ويند أن خرج المدعون وتبقى زكرياً أَحْمَدَ والعريس والعروس.. كانت الساعة ١٢، وكان معنى ذلك أن الوصلة الأولى لأم كلثوم قد انتهت .. وفي الساعة الواحدة انتهت الوصلة الثانية، وسمّ زكرياً أَحْمَدَ آخر نشرة الأخبار.

كان الشيخ يعرف الوصلة الثالثة، هو صحيح الهوى غالب، كان واضحاً أنه قلق.. كان الملحن الشيخ صاحب التجارب الطويلة والألحان الناجحة كالزوج الذي يقف خارج غرفة الولادة في انتظار مولوده الجديد.

E.Khalifa



وبدأ لحن زكرياً أحمد يناسب في سكون الليل بصوت أم كلثوم .. هو صحيح الهموي
غلاب .. ما اعرفش أنا .. والهجر قالوا مرار وعداب واليوم بستة، ورأيت زكرياً أحمد
سعيداً ..

وتتحمس الجماهير .. وتتحمّس أم كلثوم وتعيد مرة أخرى «ازاي يا ترى .. أهوده اللي
جري .. ما اعرفش أنا .. وتردد أم كلثوم «ازاي يا ترى .. أهوده اللي جري ...»

وتنتهي حفلة أم كلثوم .. وتضج الجماهير بالتصفيق ويخرج زكرياً أحمد يشق طريقه
خارج درب المصطفى، الذي شهد فرحين .. فرح نبوية قطمه .. وفرح «أهوده اللي جري» ..

وينتهي الفرج .. وتنتهي الأغنية .. وتنتهي حياة زكرياً أحمد بعد فترة قصيرة، (١٤)

(فبراير ١٩٦١)

ويقول صبرى أبو المجد أخيراً،
«رحم الله زكرياً أحمد وحمة واسعة هلقد كان هناانا شعبياً صادقاً . أحب كل الناس ،
وأخلص للفن وأهله، وحافظ على كرامته ، وقدم لوطنه العربى ثروة موسيقى جديرة
بكـل تقدير واجلال».

أوجاع المفقود

ربيع مفتاح

يسسيطر الهم الاجتماعي على معظم إبداع الكاتبة مدحجة أبو زيد إلى الدرجة التي يمكن أن تصل عندها القصة القصيرة إلى ما يسمى بالقصة الاجتماعية - وقد تجلت هذه السمات في كتابها المتميز مذكرات اجتماعية اجتماعية في الريف المصري -

وفي روايتها استراحة المفتريات وأيضاً رزائر بعد منتصف الليل ثم تجئ المجموعة القصصية أوجاع المفقود لتبلور وتوكّد هذا الاتجاه - وهذا نوع من التميز تنفرد به الكاتبة وأن كان ذلك لا يمنع من وجود بعض القصص القصيرة التي تفلت أحياناً من هذا الزمام ولكنها يظل الاتجاه العام في كتاباتها من منظور اجتماعي، وهي تحاول جاهدة المزاوجة بين الفن القصصي والروائي وقضايا المجتمع كأشفة بذلك عن الأمراض الاجتماعية التي يعاني منها القراء في المجتمع المصري كما أن قضايا المرأة تأخذ محوراً رئيسياً في إبداعات الكاتبة ومن ثم تأتي القصة الاجتماعية لتعبر عن ضرورة اجتماعية وفيها تحاول الكاتبة تجمع ورقة وعلاج التشوهات الاجتماعية من أجل مواكبة العصر وانتزاع مظاهر التخلف والجهل وثبتت القيم والمثل لكن المعضلة الرئيسية في هذا الاتجاه وأقصد به الاتجاه الاجتماعي تكمن في الصراع بين التقرير والتوصير أي بين التقرير الاجتماعي والتوصير الفني، فالقصة القصيرة تتطلب كفن

من الفنون لا تتحول إلى تقرير اجتماعي وتظل قدرة الكاتبة على الإبداع مرهونة بأحداث هذا التوازن الاجتماعي والفن، بين التقرير والتصوير.

ومن خلال قراءة قصص أوجاع فقد سترى إلى أي مدى استطاعات الكاتب مديحة أبو زيد إحداث هذا التوازن وأيضاً مدى نجاح أو أخفاق الكاتبة في ذلك.

السمات المعرفية والجمالية للمجموعة

- القراءة هي الضحية الحقيقة في المجتمع التقليدي

لم يكن المفكر الكبير سلامة موسى ينطلق من فراغ حين أكد على ثالوث الجهل والفقر والمرض. باعتباره هذا الثالوث هو المعوق الأساسي لأنّه تقدم ومنه تتبع عوامل الخلل والتخلّف الاجتماعي، حين يهيمن الفقر ويفرد جناحيه على رعوس هؤلاء الذين لا حول لهم ولا قوة فأن هذه الرعوس تمتلئ بالخرافات. ونجد الأمراض بجميع أنواعها النفسية والجسدية مرتفعا خصبا في هذا المناخ، كما أن علاقة المرأة بالرجل لا تسير في إطارها السليم.

في قصة «دماء على الثياب البيضاء»، تناقش فيها القاصية قضية «ختان البنات»، حيث تصور الكاتبة هذا المشهد قاتلة:

اعتلت الداية ظهر الفرن بجبروت وبحوارها جدتي، أخرجت موسى من خرج قماش قديم، راحت تنسنه بحجر ثم جاءوا بأختي وهي تصرخ وتکاد صرخاتها تزلزل جدران الدار، حملها بعض الرجال.. قامت النسوة بتعریتها أمام الملا، فتحت ساقيها بقسوة، تقدمت الداية ممسكة بموسى وأجرت العملية بمساعدة جدتي الجسور دون بنج.

أليست الداية امرأة؟

كما أن النسوة قد ساعدتها على ذلك

إذن هذا التراث من القهر، قهر المرأة وادلالها يتم من خلال النساء، وبمعنى آخر هن اللائي يحافظن على هذا الإرث الظالم ويقمن بتفعيله ومن ثم يصبح وعن المرأة هو الركن الأساسي والمحور الرئيسي في القضاء على هذه العادات المستهترة ولن نجد نساء مثقفات واعيات إلا في ظل رجال يتسمون بنفس الدرجة من الوعي والثقافة ولن يتاتي ذلك إلا بالقضاء على الفقر وثقافة الفقر.

في قصة «المخيف»، وهي عبارة عن لوحة قصصية تشي بالرعب ولوحى بالفزع من خلال وصف وسرد الرواية الحاضرة التي تنتابها الوساوس وتمتلئ نفسها بالرعب داخل مزرعة مهجورة، هذا الإحساس بالخوف والفزع عند الرواية موجودة قبل أن يبدأ لأن لديها الاستعداد لذلك فهي تعتقد أن مثل هذه الأماكن تسكنها الأشباح والمغاربة،

فهى تخاف من الرجل فالرجل سوف يسلبها عذرتها ويسطوا عليها حتى ولو كان صاحب المزرعة هذا الشاب الطيب انه خوف ازلى قد نشأ من قهر تاريخي ولا سبيل الى التخلص منه الا من خلال المرأة نفسها.

في قصة (اغتصاب) والتي جاء السرد فيها بضمير الغائب يحدث نفس الشعور بالخوف والفرز ويسيطر على تلك المرأة من هذا الرجل القاسم المتحفز للهجوم عليها في آية لحظة.

وتصور الكاتبة ذلك قائلة (زحف كثعبان اخترق أحد الشقوق في جدار البيت العتيق، تخطى العتبات المقدسة، نهضت في تناول، خشى الفضيحة، اختفى في لمح البرق، انتابها الخوف، السكون يغلف المكان لم تجد دنيا سوي التلفاز) وتحاول الكاتبة ان تربط بين هذا العدو الداخلي والعدو الخارجي (احكم العدو قبضته على كل اسوارها وسقطت المدينة بين ذئب المفترس، وجدت نفسها تصرخ بينما تغادر الفراش

(بصعوبة)

فهل قصدت الكاتبة اغتصاب الأرض من العدو الخارجي واغتصاب العرض من العدو الداخلي؟

ولكن في النهاية تعطينا الأمل بوجود غيمون كثيرة تنذر بسقوط المطر.

أوضاع اجتماعية مضطربة

تنطلق الكاتبة مديحة أبو زيد من خلال معايشة الواقع الاجتماعي مضطرب وممتلئ بالفساد، تكثر فيه المصائب والألام والمظالم ويعيشن فيه الفساد الإداري، بل إن الأطفال يشتغلون وتتعرضون لشتي أنواع السخرة والاستغلال وأيضاً يعاني من سوء المعيشة والحرمان من مباحث الحياة ويعايشون تراثاً قوامه السحر والدجال والتخلف.

في قصة غيط الطماطم، تطرح الكاتبة الوضع المتدني للطفل في البيئة الريفية الفقيرة وذلك من خلال دار حضانة في إحدى القرى المصرية الفقيرة والرواية هنا حاضرة ومشاركة في الأحداث باعتبارها إخصائية اجتماعية.

- لا تشغلى بالك، أولاد فلاحين اعتادوا أكل المش والجعوضيin، كوني مرفة، ولا تنسي ذلك مشرفة جديدة.

وعندما تاه بعض الأطفال من الحضانة وحين جدوا في البحث عنهم جاءها الرد كالتالي:

- في غيط الطماطم دا أجرة العيل خمسة جنيه في اليوم يا ست هانم.
وفي قصة اختفاء، يعود السحر مرة أخرى ليقوم بدور أساس في حركة الحياة، حياة

هؤلاء الفقراء الذين يعانون ، والرواية هنا حاضرة تقول:
ويعد أن عاشرت الفلاحين وعرفت طباعهم دللي البعض على عراف القرية، أفاد بأن
البعض الزرقاء من فعل الجن والشياطين يصاب بها الذين ينامون في الظلام.

ويجيء الحل من العراف كالتالي:
عمل لي حجاباً علقته في مكان مرتفع وأمرني برش الأرض بما مذاب فيه بعض
الأعشاب..

لكن السؤال الذي يطرح نفسه: الرواية باعتبارها اجتماعية اجتماعية تعمل في الريف
ومن المفترض أن تقاوم مثل هذه الأشياء أم أنها تكرس لعمل السحر والمدخل؟

بساطة السرد وازدواجية الحوار

السرد في معظم القصص يتسم ببساطة وغير مكلف لكن فنية القصة توقف كلما
لجأت الكاتبة إلى الخيال بعيداً عن رصد الواقع رصداً فوقografياً لأن الخيال يلعب
دوره الأساسي في عملية الخلق الفني فيساهم في تكثيفها أو الاتساع بها أو جعلها
موحية أو شفافة أو رامزة أو مصورة ومن ثم تأتي فنية القصة القصيرة نأخذ مثلاً
على ذلك وهو تصوير الواقع كما هو من خلال سرد بسيط في قصة غيط الطماطم
شد انتباхи بباب النادي ، كان مفتوحاً على غير العادة، تمريت إلى سمعي أصوات
مضطربة - شعرت بالاختناق، تسلل الصقيع إلى أطرافي، فالتراب كسا الأرض، وأمتلأ
الجو بالغبار، علت صرخات الأطفال، أحدهم ضرب زميله بحجر، وأخر حاول أن يصعد
المرجيحة المكسورة فقادت تهوي به، وثالث افترش التراب وراح يصنع بيوتاً من الطين،
ورابع كان يبكي من ركن قصى.

واذا كان الوصف هو أحد عناصر السرد الفني لكنه هنا لا يحتمل أي تأويل سوى نقل
الواقع كما هو.

أما عن السرد غير المحايد أي الذي يمزج بالخيال لأى قصة «افروديث الأسيرة»، تصور
الكاتبة لحظة حب فتقول:

«احتويتك بذراعي .. وأناملى السحرية ونبضات الحياة تسري في دفائيننا وقبيلاتنا التي
تفوح وتتصاعد على أشارة الزمن وهي تحمل وعودنا ببهجة الحياة كنت حراً معنى
وكانت حريتك طيات ثوبى تتلاصق معنى بأجنحة الطيور الملقة الهائمة في الفضاء ..
اعتنينا جوادنا فانطلقنا بلا لجام في نهايات الحب ..»

أما عن ازدواجية الحوار - تقع الكاتبة أحياناً في المزاج بين العامية والفصحي في
الحوار الواحد أو أى تجئ لغة الحوار غير متناسبة لمستوى الشخصية الاجتماعية

والثقافية.

في صفحة ٢٢ ليس من المعقول أن ينطوي أحد الفلاحين بالحوار الآتي:

- كل الأطفال رجعوا إلى دورهم ما عدا طفلينا

في حين يأتي الحوار على لسان نفس الشخصية في موضع آخر صفحة ٢٣

- يعني العيليين ضاعوا نهاركم أسود

ونرى أن الحوار الثاني أكثر ملاءمة واتساقاً معها من الحوار الأول وفي صفحة ٤٤ على
لسان الأم التي اختفت ابنتها تقول:

- أرجوك يا شيخنا دلنى على بنتى ، ذور عينى، جئت من سفر بعيد، وعلى لحم بطني
من طلوع النهار، عافت نفسى الزاد، كل ما أرجوه أن تبرد نار قلبي.

على لسان الأم نفسها يجيء الحوار الآتي:

- ما فيش غيرها - مرات عددها البريرية

الرمز وتوظيفه

نجحت الكاتبة في بعض الشخصيات التعبيرية أن تأتي برمزاً ما وتوظفه في خدمة
السياق العام للقصة، والشعبان بصفة خاصة شكل رمزاً قوياً حاضراً في أكثر من قصة
إنه رمز العدو ورمز الخيانة ورمز الرجل الذي تخشى منه.

في صفحة ٢٦ نجحت الكاتبة في كثير من الشخصيات في إحداث هذا التوازن بين طرح
الهم الاجتماعي والتصوير الفني واستطاعت أن تكشف لنا كثيراً مما يحدث في الريف
المصري ومن ثم أضافت لنا الشخصيات مجموعة من القيم المعرفية فضلاً عن القيم

الجمالية وما فيها من فنية ■

دكان شحاته ليس بالنوايا الحسنة تُصنع السينما

محمود الغيطاني

ربما كان اقتتاع العديد من رجال الأعمال، وأصحاب رؤوس الأموال الضخمة في الأونة الأخيرة بكون السينما صناعة من الصناعات الثقيلة، القادرة على ضخ المزيد من رأس المال لأصحابها ومن ثم الحفاظ على دورة مالية أكثر حيوية وسرعة؛ كان هو السبب الأساس في ازدياد الإنتاج السينمائي في مصر بالأونة الأخيرة، فضلاً عن الإقبال على نوعية من الأفلام كان قد أعرض عنها جل المنتجين؛ وبالتالي كان أصحابها يدورون بها متسولين في محاولة منهم لتنفيذها، إلا أن النتائج كثيرة ما لم تكن مرضية، فإما أن تموت فكرة المشروع بأكمله، أو يتم إنتاج الفيلم بالشراكة مع بعض جهات الإنتاج الأجنبية ومن ثم يكون لهم الحق في فرض شروطهم التي يرونها، أو إنتاج الفيلم محلياً بعد تقديم الكثير من التنازلات وما إلى ذلك من الأمور، إلا أن المحصلة النهائية مثل هذه الفوضى هي إعطاء الفرصة لأفلام أخرى تافهة ومتهاقة يقبل على إنتاجها الكثيرون من المنتجين نظراً لأنهم يرون أن هذه هي النوعية التي يقبل على مشاهدتها جمهور السينما.

وربما كان هامش الحرية الراهن قد أدى إلى إنتاج العديد من الأفلام السينمائية التي تحاول نقاش الوضع السياسي والفوضى التي يعيشها المجتمع المصري، ولكن من خلال عدة أسقف لا يجب علينا التطاول عليها؛ والا أدى ذلك إلى منع "السيد الرقيب" للعمل الفني بأكمله ومن ثم رفضه؛ ولذلك رأينا أفلاماً مثل "هي فوضى" للمخرج

ـ ٤ـ ٦ـ ٧ـ ٨ـ ٩ـ ١٠ـ ١١ـ

"يوسف شاهين" بالتعاون مع "خالد يوسف" ٢٠٠٧، " حين ميسرة" للمخرج "خالد يوسف" ٢٠٠٧، وأخيراً "دكان شحاته" للمخرج "خالد يوسف" أيضاً ٢٠٠٩، ولكن ليس معنى ذلك أن السينما المصرية لم تقدم نقداً سياسياً أو اجتماعياً من قبيل، فلقد سبق أن رأينا العديد من الأفلام التي تتعرض لمثل هذه القضايا مثل "التحويلة" للمخرج الراحل "أمالی بهنسي" ١٩٩٦، "البريء" للراحل "عاطف الطيب" ١٩٨٦، "الزمار" للمخرج "عاطف الطيب" أيضاً ١٩٨٤، والذي أدى ضربه الحائط بأسقف الحرية المتاحة له إلى منع عرض الفيلم تماماً من العرض الجماهيري؛ ومن ثم لم يعرض الفيلم سوى في المهرجانات الدولية ولذلك لم يعلم عنه المشاهد المصري أي شيء، كذلك رأينا فيلم "وراء الشمس" للمخرج "محمد راضي" ١٩٧٨، وغيرها من الأفلام التي حاولت نقد الواقع السياسي المصري ولكن من خلال صيغة هادفة، متخفية أحياناً لضمان قدرتها على الانفلات بعيداً عن يد الرقابة؛ إلا أن ما فرّاه الآن تُعد نوعية تكاد تكون مختلفة عما سبق تقادمه من الأفلام، سواء في درجة حذتها أو نقدها المباشر في قول ما ترغبه نظراً لارتفاع السقف - الزانف - قليلاً نتيجة العديد من الضغوط الخارجية.

اعتقد أن المخرج "خالد يوسف" حاول قول الكثير في هذا الفيلم، "دكان شحاته"، إلا أن هذا الكثير الذي سعى جدياً من أجل قوله قد أدى به إلى إتّهام السيناريو بالكثير من البرططة التي لم يكن هناك طائل من ورائها؛ وبالتالي ابتعد المخرج كثيراً عن قصة الفيلم الأساسية، بل تناهى أن السيناريست "ناصر عبد الرحمن" قد كتب له سيناريو ما، وبالتالي أمسى "خالد يوسف" بتصور فيلماً خاصاً به وحده لا يقدم لنا ولا يحمل سوى أفكار "خالد يوسف" نفسه حول الفوضى السياسية والاجتماعية التي يعيشها المجتمع المصري، وهنا كان من الأليق بالخرج إطلاق عنوان "دكان سياسة" بدلاً من "دكان شحاته" على فيلمه؛ نظراً لأننا لم نر فيه فيلماً سينمائياً يقدر ما قدم لنا أفكاراً سياسية مصدرها فكر "خالد يوسف" نفسه، ولأنه إذا ما أطلق عليه هذا العنوان - دكان سياسة - سوف نقبل منه أية بضاعة أو تخاريف سياسية يرغب في تقديمها لنا، أليس الأمر مجرد دكان يبيع أي شيء؟ .

ولذلك تساءلنا كثيراً لماذا نحا "خالد يوسف" بفيلمه مثل هذا المنحنى على الرغم من أن السيناريست "ناصر عبد الرحمن" قد كتب له سيناريو إنسانياً لا بأس به؛ وبالتالي فهو يستطيع من خلاله تقديم فيلم جيد يحمل من المشاعر الإنسانية الكثير؛ هذا فضلاً عن أن القصة تقترب إلى حد بعيد من قصة "يوسف ابن يعقوب" وكراهية إخوته له نتيجة حب والدهم له وتفضيله عليهم؟

ولذلك رأينا أثناء نزول تيترات الفيلم الكثير جداً من العناوين الوثائقية في العديد من الصحف يصاحبها بعض اللقطات الأرشيفية المسجلة في تليفزيونات العالم عن الكثير من الكوارث التي تنهي على هذا العالم لاسمها الكوارث المحلية

الخاصة بمصر، إلا أن "خالد يوسف" فضل عرض هذه الكوارث بداية من عام ٢٠١٣ وكان هذا العام هو العام الفاصل الذي استطاع "خالد يوسف" - ب بصيرته الحادة والمكشوف عنها الحجاب - معرفة كونه عام الانفجار الشعبي العظيم في مصر - التي لا تنفجر أبداً - ومن ثم بدأ في العد التنازلي عاماً بعد آخر عارضاً الكثير من تلك الكوارث مثل غزو العراق للكويت، حرب الخليج - هاجسه في فيلمه الأول "العاشرفة" - ٢٠٠١، إعدام صدام حسين، حريق مسرح بنى سويف، أزمة الغذاء في مصر والعالم، حادث الدويقة، غرق العبارة سالم اكسبريس، الغلاء الفاحش الذي بات يعيش فيه المصريون، الإقبال على مجاعة في مصر، صدامات الشرطة والمواطنين، وفاة المخرج يوسف شاهين، تولي أو ياما رئاسة أمريكا، وغير ذلك الكثير مما تعاني منه مصر والعالم حتى يصل في نهاية عرضه التسجيلي إلى عام ١٩٨١ - نتيجة عدم التنازلي عاماً بعد آخر - واغتيال الرئيس العصادر ومن ثم ثم بدأية تولي مبارك للحكم، وكأنما يريد "خالد يوسف" القول (بأن كل هذه الكوارث التي حللت بمصر وكل هذه الأزمات لم تحدث لها إلا منذ عهد تولي مبارك للحكم حتى الآن، وبالتالي فهو بهذا العهد عهد فاسد منذ بدايته).

وهذا ينتهي "خالد يوسف" هذا العرض مع نهاية تيارات الفيلم حينما نرى أهالي منطقة بالكامل يخرجون كي يقطعوا الطريق على قطار بضائع محمل بالقمح ومن ثم يستولون على أجولة القمح في مشهد لا يوحى سوى بالمجاعة الشاملة التي يعيشها الكثيرون جداً من المصريين الآن الذين لا يستطيعون توفير ثمن رغيف الخبز كي يسد رمقهم.

ريما كان هذا المشهد الذي بدأ به "خالد يوسف" فيلمه يعد من أهم مشاهد الفيلم، وبالتالي فهو يتضاير مع مشاهد النهاية البدية التي أنهى بها فيلمه؛ فلقد أشعرنا هذا المشهد بأننا أمام جيوش من الجوعى التي لا يعنيها سوى سد جوعها حتى ولو كانت هراوات الشرطة خلفهم، فهم على استعداد لقتل الشرطة بالكامل من أجل ملء بطونهم الفارغة، ولكن أبدع "خالد يوسف" في تصوير هذا المشهد والتعبير عنه بصدق بمساعدة كاميرا "أيمن أبو المكارم".

نقول إن هذا المشهد يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالنهاية التي رأينا فيها العديد من الشاهد المختلفة التي ترصد فيها "عين الكاميرا" كل ما يدور في بر مصر بعدما تحول الحال فيها إلى فوضى عارمة وشاملة، فنرى المطاوي والسننج والسيوف المرفوعة في كل مكان بينما النامن تجري في فوضى خائفة، ومشهد آخر يصور لنا السطو والسلح على المواطنين، وغيره لأبواب شقق يحاول أصحابها إحكام إغلاقها من الداخل بالعديد من الترابيس فضلاً عن إغلاقها بمقتنيها الخاص، ومشاهد مطاردة الشرطة للمواطنين بلا تمييز، وصدامات الشرطة مع الشعب، ومشاهد عربات الأمن المركزي التي لا تحصى في كل مكان وكأنما مصر قد باتت ثكنة عسكرية، ومشاهد تهديد الجماعات الإسلامية

لأمن الناس إما بتكسير وتخريب دور العرض السينمائي، أو محاولة ضرب النساء لاسيما النساء في الشوارع لإرضاهم على ارتداء الحجاب وغير ذلك الكثير من الفوضى العارمة التي حلت بالقاهرة ومصر بالكامل حتى لكانك أمام أكثر مشاهد أفلام الرعب إثارة؛ وبالتالي فلن تشعر سوى بالكثير من الانقباض نظرا لأن ما قدمه لها "خالد يوسف" من مشاهد تكاد تكون حقيقة واقعة بما مجتمعنا المصري يعيشها الأن وربما تكون إرهاماً لبداية فوضى حقيقية قد تحل بمصر قريباً جداً، وربما نتيجة لذلك رأينا أن مشهد البداية والنهاية كانا من أصدق وأفضل ما قدمه "خالد يوسف" في فيلمه "دكان شحاته" كي يقع بعد ذلك في الكثير من الأخطاء السينمائية والكثير من الحشو، والأكثر من الاستسهال والمسلق في ثنایا فيلمه الدائرة بين هذين المشهدتين البليغتين.

فقصة الفيلم بسيطة تماماً وإن كانت تحمل قدراً لا يأس به من الإنسانية، ومن ثم نرى من خلال الفلاش باك flash back بعد خروج "شحاته" (عمرو سعد) من السجن ورؤيته لمشهد السطو على قطار القممع، نقول إننا نرى مولد "شحاته" عقب اغتيال السيدات اي عام ١٩٨١ - في ابتعاده على أنه ابن عهد مباركه - وقد توجه والده الحاج "حجاج" (محمود حميده) إلى مسقط رأسه في الصعيد كي تلد امراته هناك مفضلاً أن يولد ولده في الصعيد بدلاً من القاهرة التي يعيش ويعمل فيها، إلا أن الزوجة تموت إثناء الولادة، وبالتالي يعود الزوج بابنه - شحاته - وحيداً كي يتケفل هو بتربيته مؤدياً في ذلك دوره كأب وام في ذات الوقت، ونتيجة للاهتمام الشديد الذي يبديه "حجاج" (محمود حميده) بولده "شحاته" ومن ثم تناسى ولديه الآخرين اللذين انجبهما مع ابنته الوحيدة من أم أخرى غير أم "شحاته"، نقول أنه نتيجة لذلك تعتمل نفس أخيه بالكثير من الكراهية تجاه "شحاته" الذي يستحوذ على أبييهما كل حواسه ومشاهده.

ولذلك نرى الدكتور "مؤنس" (عبد العزيز مخيون) الذي يحمل لديه "حجاج" (محمود حميده) كجنايفي يحاول تصححه - حجاج - بأن يحاول التقرير بين "شحاته" وأخيه الآخرين حتى لا يكون بينهم الكثير من الشقاوة والكراهية، إلا أن شعور الأب (محمود حميده) تجاه ولده الأصغر بأنه يستحق الكثير من عطفه نظراً لموت أميه وهو صغير، ونتيجة لأنه كان هالاً جيداً عليه حينما كتب له الدكتور "مؤنس" (عبد العزيز مخيون) جزءاً من حديقة الفيلا باسمه بينما وشراء من أجل أن يقيم "حجاج" (محمود حميده) دكاناً لبيع الفاكهة في هذا الجزء بدلاً من بيعها في الشارع، نقول إن هذين الأمرين قد جعلا الأب أكثر اهتماماً بولده حتى أنه قد أطلق على الدكان الجديد اسم "شحاته" تيمناً بابنه الذي سماه بهذا الاسم حينما ولد لأنه كان "يشحنته" من الله على حد قوله هو، كما أطلق هذا الاسم على الدكان أيضاً لأنه قد

أخذه من الدكتور "مؤنس" عن طريق الشحاتة، إلا أن هذه الأمور وغيرها الكثير من تدليل الأب لابنه دون بقية أبنائه وغير ذلك قد أدى لكراهية أخيه الذكور له ومحاولته إيذائه معظم الوقت، كذلك نرى "سالم" (محمد كريم) أخو "شحاتة" (عمرو سعد) حينما يذكر لأبيه رغبته في الزواج من "بيسه" (هيفاء وهبي) يرد عليه الأب بأنه قد وعده أن يزوجه إحدى النساء الصعيديات، وحينما يعتراض "سالم" (محمد كريم) يخبره أبوه بأنه لا يمكنه الزواج من الفتاة التي يريدها أخيه زوجة لنفسه - قاصداً في ذلك شحاتة - وبأن "شحاتة" هو الذي يستحقها لأنّه قد طلبها قبله؛ مما يؤدي إلى ازدياد كراهيته "لشحاتة" لأنّه هو الوحيدة المتعلّم والمترفه والمدلل والأقرب إلى نفس أبيهم.

ولذلك نرى الأخرين يحاولون دانما مضايقة "شحاتة" (عمرو سعد) في العمل بجعله يقوم بكل شيء بينما هما مستكينان لا يفعلان شيئاً، بل محاولة ضربه والاستهزاء به وإهانته أكثر من مرة، إلا أن "شحاتة" المحب للأخويه كثيراً والذي يقدمه لنا الفيلم بشكل فيه الكثير من الإنسانية كان كثير التسامح مع شقيقه، ولكننا لاحظنا أن هذه الإنسانية المفرطة التي قدمها لنا "خالد يوسف" في "شحاتة" لم يكن لها ما يبررها على الإطلاق، هذا فضلاً عن أنه لا يوجد إنسان نقى دائماً أو شرير دائماً يمثل هذا الشكل الذي وغرب "خالد يوسف" في تقديمه؛ لأنّ هذا التقاء والبياض المفتعل والمبالغ فيه لا يمكن له الخروج من دائرة الهطل والعبطة، إلا إذا كان "خالد يوسف" يقصد فعلياً وصف بطله بهاتين الصفتين.

على آية حال يخطب "شحاتة" (عمرو سعد) "بيسه" (هيفاء وهبي) في الوقت الذي يشعر فيه شقيقها المعلم "كرم" (عمرو عبد الجليل) بالقلق الدائم نتيجة لأنّه يرى أن "شحاتة" غير قادر على حماية نفسه من أخيه أو حتى الحصول على قرش واحد من ميراثه إذا مات أبيهم المعلم "حجاج" (محمود حميدة)؛ وربما لذلك يحاول المعلم "كرم" (عمرو عبد الجليل) دانما عدم إتمام تلك الزيجة إلا بعد كتابة المعلم "حجاج" حق "شحاتة" (عمرو سعد) له باسمه - أي يقوم بتقسيم الإرث في حياته - قبل موته ضيّاناً لحق اخته وزوجها المقبل، ولكن لأنّ "شحاتة" لا يرغب في إثارة غضب أخيه يرفض ذلك الأمر تماماً، إلى أن يموت الأب "حجاج" (محمود حميدة) ومن ثم يقوم الأخوان بطرد "شحاتة" من البيت والدكان، بل عدم الاعتراف له بأي مليم في الميراث، ولكن لأنّ "محمود" ابن الدكتور "مؤنس" يحضر من أمريكا ومن ثم يخبرهم أن هناك إحدى السفارات الراغبة في شراء الفيلا وبالتالي يعرض عليهم مليوناً من الجنيهات نظير التخلّي عن الدكان المحتل جزءاً كبيراً من حدائقها ولكن بشرط اجتماعهم كأخوة جميعاً وقت إتمام العقد بما فيهم "شحاتة" واحتهم "نجاج" (غادة عبد الرازق)، ومن هنا يحاولون البحث عن "شحاتة" ومن ثم يزجون به في السجن بتهمة تزوير ختم

والدهم بعد حصولهم على المليون جنيه وحدهم، وبذلك يكونون قد تخلصوا من "شحاته" الكارهين له من جهة، وحصلوا على نصيبه من المال من جهة أخرى، هذا فضلاً عن استيلالهم على النصيب الأكبر من حق أختهم "نجاح" (غادة عبد الرازق) التي لا يتركون لها من نصيبها سوى ٧٠ ألفاً من الجنيهات، وهنا يصر "سالم" (محمد كريم) - الأخ الأكثر كرها لشحاته والأكثر رغبة في خطيبته "بيسه" (هيفاء وهبي) - نقول أنه يصر على الزواج من "بيسه" التي ترفض بكل ما يعتمل في قلبها من حب تجاه "شحاته"، فتارة تحاول إحراق نفسها بإلقاء الكيروسين على جسدها، وتارة أخرى بإلقاء نفسها من الدور السابع، إلا أن أخيها يزوجها "سالم" (محمد كريم) رغمما عنها بعد أن يأخذ منه الكثير من المال.

لا أنه من خلال هذه الفوضى السينمائية التي قدمها المخرج نتيجة اصراره على إقصام السياسة والنقد الاجتماعي داخل فيلمه، نراه قد قدم لنا أيضاً بعض المشاهد التي بدت من قبيل الخطاب السياسي، أو المقالات النقدية السريعة.

ربما كان النجاح الحقيقي الذي يُحسب للمخرج "خالد يوسف" أنه استطاع أن يجعل من (هيفاء وهبي) ممثلة حقيقة، اقتنعوا كثيراً بدورها وأدائها ولهجتها المصرية؛ ومن ثم كنا نرى "بيسه" وليس (هيفاء) الحقيقة التي لم نكن نتخيلها على الإطلاق إلا في شكلها المدلل المصطنع، الشديد الافتعال الذي تحرض عليه دوماً في حياتها الطبيعية على المسارح والمحفلات؛ ومن ثم فتحن نتمنى استمرار (هيفاء) في مجال التمثيل الذي ستقدم فيه الكثير إذا ما استمرت على جديتها تلك، بدلاً من مجال الغناء الذي لم تقدم فيه شيئاً يذكر لها حتى الآن.

كذلك أداء الفنان "محمد حميدة" البديع والذي أدى اختلافه في النصف الثاني من الفيلم إلى أن بدا لنا الفيلم خاويًا، هادئاً للكثير من التزانه، إلا أن أداء الفنانة "غادة عبد الرازق" الذي ظهر كثيراً ووضج في النصف الثاني من الفيلم كان هو المقابل لهذا الغياب، وبالتالي كان هناك ما يشبه المبارزة في الأداء البديع بينهما.

على آية حال، ربما أراد "خالد يوسف" القول بأن اعتبار القوة كقانون ومنطق هو النتيجة الطبيعية لغياب التطبيق العادل للقانون؛ وبالتالي كان هذا هو السبب في مأساة "شحاته"، وربما أراد أيضاً القول أن مصر الآن تحيا في حالة غليان قد يؤدي إلى انفجار شعبي على الحكم العسكري - لا أعتقده أنا، وإن كنت أتعناه - ولكن للأسف... فليست بالنوايا الحسنة تُصنع السينما ■

عِبَادَهُ وَالجَسَار

مُحَمَّدُ قَتَانِيَه

ما زال زقاق الشجاعان قائماً معروفاً رغم أن البياضة المعدنية التي تحمل اسمه قد بوتت حروفها مع مرور السنين

ومازال مدخل الزقاق ضيقاً جداً .. لكن عارفيه يخطرون إليه وهم يتوجهون إلى ميدان عابدين الفسيح .. رواد الزقاق هذه الأيام من الباعة الجائلين والبوابين والعاطلين وبعض النسوة العاملات في خدمة البيوت .. يأتين إليه لشراء حاجاتهن ، وكذلك بعض الباحثات عن عمل بعد ترهلهن أو طلاقهن يدللن عليه شعبان مكوجن العائلات! هذا هو حال الزقاق هذه الأيام، لكن عم عبده الذي ترك عمله كباب لأكبر عمارة فيه وهاد إلى الحرفة التي تعلمها في صباه وهي إصلاح الأحذية القديمة ، ما زال يذكر قيمة الزقاق في زمن مضى، ما زال يذكر أبناءه الذين لعبوا وترموا فيه وتعلموا في كتابه ثم انطلقا منه إلى مدارس عابدين وجامعة القاهرة، وأصبح منهم معلمون ومحامون ومهندسو وأطباء، وما زال يذكر باعتزاز شهداء الزقاق من جنود وضباط في معارك التحرير بالسويس وبور سعيد وسيناء، وبفخر ما زال يردد أسماء أبطاله في حرب أكتوبر المجيدة.

لكن المحزن أنه بمرور السنين بدا الرجل العجوز يعتاد مشاهدة بعض السياح وهم يمرون بالزقاق للاستطلاع ، واضعين على أنوفهم المنديل وهم يتخطرون أرضه الغارقة في طفح مياه الصرف الصحي ، يرصدون بعيونهم وكامييراتهم الجالسين في مقهى

دعبس وهم يضيئون الوقت في لعب الورق والدومنو إلى جوارهم أرغفة الخبز المقلقة فوق طاولة من الجريد بجانب مطعم محروس للفول والطعمية، وبجوارها الصينية الممتلئة بشرائح البازنجان والبطاطس والفلفل المقلية حيث تتصاعد رائحة نفاذة، مختلطة بما تنفسه أفواه الوجوه المغضنة في المقهى من دخان البوري والشيشة والسجائر الرديئة.

أيضاً كان عم عبده يرى على أرضه أوراق صحف مهترئة، وبقايا طعام، ومخلفات قطط وكلا布 شاردة، فتؤدي عينيه ما ترميه من ظلال القبع والدمامة على المكان. كان يرصد ما يحدث من كوخه الصغير الذي كان مكانه في زمن مضى جزءاً من حديقة العمارة التي كان يحرسها وسمح له أصحابها بأن يقيمه عليها من الطوب الكسر، والحجارة، وبعض أخشاب قديمة وألواح صاج، كمكافأة له على سابق خدمته لهم، فصار مستقرًا لسريره وموقده وبعض الأكواب والأطباق والحلل، تتوازي خلف ستارة قديمة يجلس أمامها الرجل العجوز، حيث تطل عيناه من خلال نظارته السميكة العدسات إلى حذاء يصلحه، على حين تنهنى زوجته تدع له الشاي كوباً وراء كوب..

كان عم عبده من مكانه هذا، يشهد مقهى دعبس الذي يقع في الزقاق عند المنحنى وهو ينحطف إلى ميدان عابدين، يلتفت إليه باستهانة ضجيج الكاسيت بالأغاني والموسيقى الصناعية، ويلمع خلف المكتب الصغير بداخله المعلم دعبس وهو يجلس بالقرب من رف مرتفع وضع عليه تليفزيون أبيض وأسود لا يلتفت إليه أحد.. ربما في المساء ينظر إليه بعض الزبائن العجائز إذا كان يعرض فيلمًا قدماً يذكرهم أيام خلت

وشباب ولن..

كانت الأيام تمضي ولا جديد يحدث في الزقاق، إلى أن حدث ذات يوم أن أغلق الكاسيت في مقهى دعبس، وأزبح التليفزيون القديم، واعتنى مكانه تليفزيون جديد، وفوق العمارة وضع الدش، وكنس الزقاق، وكومت الزبالة في كيس ضخم، وانتشرت على الأرض نشرة الخشب الملونة، ووضعت كراسى (ضافية أمام المقهى)، وقدم روادجدد من موظفين وعمال وطلبة وحرفيين علاوة على سكان الزقاق.

وقام دعبس وفتح جهاز التليفزيون الجديد فتوالت منه مشاهد ملونة، لحدث نصرة وشوارع فسيحة ونظيفة، ورجال ونساء وأطفال يطال من عيونهم بريق الصحة والبشر والسعادة!

كان عم عبده يرى ما يحدث في الزقاق وهو صامت، إلا أنه لا يحضر أثناء وضع الدش فوق العمارة التي يشغل مقهى دعبس الدور الأرضي منها أن بها شرحاً في جدار

الواجهة يبدأ من أعلى دور فيها ويمتد حتى الدور الأرضي، لم يدقق الرجل كثيراً فلقد كان الشرخ غير واضح تماماً، ومع ذلك كانت عينه تتوجه إليه في قلق بين الحين والحين.. تقيسه عن بعد، وتتمنى إلا يتسع..

ويبدأ صبي المقهى يروح ويتجوّل، وهو يقدم المشروبات للزيائين الذين احتلوا المقاعد المتراسية مستنيمين إلى الصور الجميلة التي ينقلها إليهم تليفزيون دعبس الجديد. غير أنه حدث أثناء انشغال المعلم دعبس بمحادثة صديق له، أن أحد صبيان المقهى الريموت وراح يلعب به، فإذا التليفزيون يقدم من قناة إخبارية، صوراً للجيع والمرضى في أفريقيا، وعشرات القتلى في العراق، ثم بدأ صور جرافات الاحتلال الإسرائيلي وهي تدبّح الأرض الفلسطينية، وطائراته وهي تشن غاراتها، وتسقط قنابلها على أهل فلسطين المدنيين من الأطفال والنساء والشيوخ، وصور الفلسطينيات وهن يصرخن ويسألن في لوعة وعتاب:

ماين أنتم يا عرب؟.

وانتبه المعلم دعبس إلى همومه الزيائين، ونظر إلى المشاهد المعروضة للجنائز التي تنقل صور شهداء العراق وفلسطين فصفع صبي المقهى على وجهه، وبالريموت غير المحطة الإخبارية إلى فضائية تبث أغاني راقصة.. لكن عيون الجالسين في المقهى كانت قد زهدت في المشاهدة، وأصاب الناس كمد وحسرة، فالأطفال الجوعى والمرضى الذين رأوهُم في الصومال كانوا يشبهون أطفالهم، وسيدات العراق الباكيات قتلاهن كن يذكرونهم بأخواتهم وبناتهم وأمهاتهم، وحيثما كان يستصرخن ضمير العرب أصابهم وجع شديد.. أما مشاهد جرحى وقتلى فلسطين فكانت قد أدمت قلوبهم..

زهد الناس في المشاهدة وقاموا.. تاركين التليفزيون يتعج بالرقص والغناء بلا جمهور! وارتفع صوت دعبس يسب صبي المقهى ويعلن حرمائه من أجره عن هذا اليوم النكدا وأوى عم عبده إلى فراشه وثمة رضى في نفسه على ما فعله الصبي، لكنه في مساء اليوم التالي هو يوجئ بأن رواد المقهى قد جاءوا وشغلوا كل الكراسي.. وتملكته الدهشة إذ وجدتهم يشاهدون ماتش كرة، وبين الحين والحين كان يسمعهم يهاللون، ويصفقون، ويضحكون!

ترك الرجل العجوز الحذاء الذي كان يصلحه، وأزاح الأحذية التي لم يكن قد أصلحها بعد.. وابتسم في أحسن، وقد تناهى إلى سمعه ثانية ضحكات زيان مقهى دعبس، وفقد رغبته في شرب كوب الشاي الذي أعدته له زوجته تقليلاً حتى يساعدنه على السهر، وأشاح بوجهه عن المقهى ومن فيه، وراح ينظر نحو جدار العمارة مهموماً.. وبعد فترة قصيرة لاحظت الزوجة أن الرجل قد تغير وجهه فجأة.. ثم سمعته يردد

مستعطفاً، سترك يا رب ، سترك يا رب...).

سألهـ: خير يا عبده.. اللهم أجعلهـ خيراً!

اشار لها وهو يقول: بصـ .. الشـرخ الـلى فـى جـدار العـمارـة.. أنا شـفـته قـبل كـدهـ ، كان

شـرخ صـغير وـما شـغلـتـش يـالـى بـيـهـ! بـصـ.. كـبـرـ اللـيلـة قـوى .. بـقـى حـاجـة تـخـوفـاـ

راـحتـ المـرأـة تـنـظـلـ حـيـثـ أـشـارـ زـوـجـهاـ ، وـارـتـسـمـ رـعـبـ هـائلـ فـى عـيـنـهـاـ وـقـالتـ:

- صـحـيـحـ يـا عـبـدـهـ ، اـزـايـ النـاسـ مـشـ واـخـدـهـ بـالـهـاـ مـنـهـ ، دـيـنـاـ يـسـترـ ، دـهـ اـحـتـاـ مـشـ حـيـجيـناـ

نـومـ اللـيلـةـ ، دـهـ مـمـكـنـ العـمـارـةـ كـلـهـاـ تـقـعـ!

نـظـرـ الرـجـلـ إـلـيـهـاـ ثـمـ اـنـتـصـبـ وـاقـفـاـ.. هـتـفـتـ:

- رـايـحـ فـيـنـ يـا عـبـدـهـ..!

لـمـ يـنـطـقـ .. مـضـىـ مـنـ أـمـامـهـ .. هـرـولـتـ خـلـفـهـ .. دـخـلـ مـقـهىـ دـعـبـسـ ، وـقـفـ وـظـهـرـهـ

لـلتـلـيـفـزـيونـ .. وـقـفتـ بـالـقـرـبـ مـنـهـ .. وـرـاحـتـ تـتأـمـلـ وـجـهـ الصـارـمـ كـانـهـ تـتـعـرـفـ عـلـيـهـ!ـ

كـانـ يـرمـىـ إـلـىـ الجـالـسـينـ نـظـرـاتـ نـافـذـةـ فـىـ صـمتـ ، حـتـىـ إـذـاـ مـاـ اـخـتـفـتـ مـلـامـعـ المـسـرـةـ

الـبـلـاهـاءـ مـنـ وـجـوهـهـ ، أـشـارـ العـجـوزـ إـلـىـ شـرـخـ الـجـدارـ وـهـوـ يـصـرـخـ فـيـهـمـ مـحـذـراـ.

وـرـاحـتـ الزـوـجـةـ تـرـمـقـهـ بـيـاعـجـابـ.. كـانـتـ تـسـمـعـهـ وـهـوـ يـتـكـلمـ ، وـتـتـذـكـرـ أـيـامـ خـطـوـيـتـهـاـ لـهـ

مـنـذـ سـنـيـنـ بـعـيـدةـ أـيـامـ الشـبابـ، نـفـسـ صـوـتـهـ الـفـاصـبـ الـأـمـرـ الـعـطـوـفـ هـوـ.. هـوـ.. نـفـسـ

نـظـرـتـهـ الـغـيـورـةـ عـلـيـهـاـ ، نـظـرـةـ الـأـخـ الـأـكـبـرـ وـالـأـبـ الـحـنـونـ وـالـحـبـيـبـ الـمـتـيمـ بـهـاـ ، الـخـائـفـ عـلـيـهـاـ

حـتـىـ مـنـ نـسـمةـ الـهـوـاءـ!

وـبـداـ لـهـاـ رـغـمـ طـلـعـهـ فـىـ السـنـ شـابـاـ فـتـيـاـ.. فـارـعـ الـقـامـةـ.. حـتـىـ انـ هـامـتـهـ كـانـتـ تـغـطـيـ

الـبـياـفـطـةـ الـتـىـ عـلـقـهـاـ دـعـبـسـ فـوـقـ التـلـيـفـزـيونـ وـالـمـكـتـوبـ فـيـهـاـ

، مشـاهـدـةـ الـماـقـشـ وـالـشـروـبـ بـثـلـاثـةـ جـنـيـهـاتـ، ■

في انتظار الأدب والابن

د. هشام قاسم

بابا حبيبي. خلاص هاشوفك . بقى كله يا بابا ما تجييش تشوفنى من ساحة
ما تولدت.

بن اهرب بابا عماد ومدحت أصحابي وبابا انتصار اللي في الشقة اللي قبلنا وما
أغرفكش أنت يا بابا . سماح يا بابا اديلك أنت جاي فوق هي الطيارة عشان تشوفنى . ماما
قالت لي بابا جاي من السعودية لأنه نفسه يشوفك أصله بيحبك قوى . بابا لو كان
بيحبنى يا ماما كان جه من زمان .

عموماً أنا سامحلك وادينى أهو مستنيك هي المطارانا وماما وفايزه اختى اللي قالتنى
مرة تعرف يا هانى بابا شبه مين؟ . مين يا فايزه؟ .. عمنا صفت ..

بيحضرلك زيده تمام وعيئيه زي عينيه وشوية الشعر البيض اللي في راسه زي بتوع بابا .
بعن حتى هي صورته . بع نا باشوف صورتك يا بابا ما بمحشش أنك بابا . ماما قالتنى
بابا طيب زي عمرو شوكت وهيجبلوك شوكولاته و حاجات حلوة لما يرجع . وهيسيبني يا
ماما العب كرة هي البيت ذي ما أنا هايز . أيوه يا حبيبي . لكن أمبارح وانا بالعب بالكرة
كسرت زهرية اترفدت ماما و قالت لي بزعيق بگره أبوك جاي ويوريك العين الحمراء
ويعلمك الأدب . يا بابا أنت طيب و هيسيني العب ولا مش طيب بوعتضرفيني لما الصعب . لو
ما طلعتش طيب ياباب هقولك ترجع السعودية من تاني و داخللى عمرو صفت ذي ما هو
باباى لأن لما بتقوله أنا أنا بتشافها بييعنى يزورنا كل يوم خميس يضمحلك ويقطط على .
أو داخللى بابا انتصار باباى لأنه بيسيني العب مع انتصار زي ما احنا هايزين .

خلاص كلها دقائق وأشوفك يا هاني. يا مانفسى الطيارة تقفر وتنزلنى أرض المطار وأول لما الباب يتفتح الأقيك قدامى يا هاني. معقوله بابا ما يشوفكش خالص يا حبيبي وما يعرفش أنت مين حتى الصور اللي بتبعتها ماما ملامحك مش باينة فيها وروحك مش حاسس بيها. ولما أجمع صورك قدامى واقعد أبوس فيهم باللخبط زيادة وأحس أن كل صورة شكل. مرة خطر على ذهني خاطر قلت لو أنا ماشى في الشارع وأنت ماشى فيه بالصدفة هاعرفك ولا لا. أنا عارف أنى مقصر فى حقك بس بابا منزلاش في الإجازات عشان يجمع كل قرش يقدر عليه من الشركة اللي بيشتغل فيها ومن الشغل البرانى ويرجع لك بعربيه يخدك فيها ويفسحك فى كل حته تعجبك وتلف فيها مصر كلها ويخليك مبسوط مش محتاج اي حاجة أنت عايزها ويحط لك قرشين في البنك ينفعونك لما تكبر وما تتبعش ذى بابا ما تعب.. دا غير الشقة الحلوة الجديدة اللي وآخذها واللى هاتفترى لما تقابل أصحابك فيها مش الشقة العلبة اللي انت قاعدين فيها لا مایة ولا مجرى.

لما أروح لعماد صاحبى الأقى باباه لابس الروب بيشرب البىب وحاططه رجل على رجل وعمال يقرأ ولما عماد يقوله: بابا عايز اتفرج على التلفزيون يقوله مش دلوقتى وهو عمال يقرأ، او يقوله عايز لعبه هو مخبيها ميرضاش يجيبيها ويقوله روح لاما تجيبيها لك، أنا خايف يا بابا ليكون دمك تقيل ذى بابا عماد أنا عايزك تضحك وتلعب معايا على طول . ولما مدرس الحضانة اداني مسألة جمع أطلع أحلها على السبورة وما عرفتش أحلها زعمق فى وقالى أنت حمار وما بتفهمش . قلت مدحت صاحبى لو كان بابا موجود لكنت خليته يجي مدرس الفصل وخلاه يبطل يشتمنى . قال لى مدحت أن بابا برد لما يعرفش يجاوب بيشتمه ويقول له أنت حمار، أو عى يا بابا تطلع ذى مدرس الحضانة ولا ذى بابا عماد وتشتمنى زيهem.

يا ترى يا هاني بتضحك بصوت عالى وتكرر زى أحمد ابن المهندس زكي زميلنا فى الشركة ، وضحكك يملأ المكان ويخلى كل اللى قاعدين لازم يضحكوا زيك حتى لو كانوا شايلين كل الضيق والضجر.. ولا دائمًا مبوز ومكشر ويعيط عمال على بطال عشان بابا مش معاك. تلاقيك ما بتتفكرش بابا يطلع أيه؟ يا ترى بتلعب باللعبة اللي بابا

يبيعاتها لك على طول ويتركب العربية وتعمل ريشة في البيت وتسبب حوادث . أوعن يا بدريه الواد يكون بيطول لسانه زي ابن عبد العال جارنا في العمارة اللي ساكن فيها ويبيشتم أبوه وأمه حتى الضيوف اللي يبزوروهم وهم مسوطين بسلامة لسانه .. حاكم تربية الستات دائمًا فلتانه:

خلاص سماح يا بابا طاماً أنت جاي وهاشوفك كمان شوية لما الطيارة تقف .. مع انك حيرتني وخليتنى كل ما اشوف بابا زكي والاقيه دائمًا بيصلنى بالجلابية والطاقيه البيضا أقول هو بابا أبيض زيه. لما شفت عموم شوكت بيلعب مع منال ويتركبه حمار قلت يا ترى بابا هيلعب معايا كده. شفت بقى يا سى بابا اعرف بابا مذحت وبابا عمامد وبابا انتصار وبابا زكي وسعد وبابا.. لكن أنت يا بابا .. لا .. يا سلام يا بابا لو كنت بتتحب تلعب معايا زي عموم شوكت وتلبس روب زي بابا عمامد بس أوعن تكون دمك تقيل زيه وتطبطب على ذى بابا انتصار هتكون أحلى أب فى الدنيا وأكون أسعد ولد فى الدنيا بحالها.

يا سلام لما تكون يا هانى ذى أولاد الخواجات اللي عندي فى الشركة رشاقة ولباقة وذكاء مالى عينهم .. عموماً خلاص كلها دقائق والطيارة بابها ينفتح واعدى الخواجى الجمركية وأخذك فى حضنی وأمس كل حته فى جسمك وأشوفك بعيتني .. ونعرف بعضنا وما نرجعش غرباء .. بس يا ترى ه تكون أيه يا حبيبي؟

وافت يا بابا يا ترى حطلع أيه؟

قصص قصيرة

ابتسام الدمشاوي - المنيا

دولاب أمني

لما ماتت أمي قسم إخوتي ممتلكاتها .. أخذت تصيبى دولاباً وسيراً .. ولما ماتت أمي طلقنى زوجى واستأجرت شقة بما أعطونى من ثمن البيت.

أحببت هذا الدولاب كثيراً .. تفتحت أنوثتى فى مرآياته.. كانت تضفر لى شعري .. تنظر إلى جسدى البعض .. تدعو لى بزوج يقدر هذا الجمال.

نقلت الدولاب إلى شققى الجديدة.. انظر إلى وجهى بعد أن شوهته لدغات الناموس .. شقة ماء الشقاء البارد انظر إلى يدى .. قدمى غطاهما بالقفش، ... بهت لون أظافرى .. أدير ظهرى .. وانطلق مسرعة .. أجلس فى ركن قصى .. أعد القروش التى تبقيت بعد طعام الصغار ودوائهم .. لا تكفى لشراء علبة كريم مرطب.

طلبت من جارتنى قرضها (وهي امرأة بخيلة حقوقة) عرضت على أن تشتري الدولاب .. ترددت كثيراً ثم .. بعثت وعدتني أن تعطينى ثمنه عشرة جنيهات كل شهر .. أعطتني عشرة ثم .. انقطعت عن السداد .. وعجزت عن ارجاع ما أعطته لى .. واسترداد الدولاب.

وضمنت حلولاتى وانوثتى على رف معلق على حائط غربى .

وجلست
افتظر.

أم محمد زينب

هذا هو اسمها في الحى الذى تقطنه وبين أحبائها .. فلأنهم يجلونها لا ينادونها «زينب» فقط لأنهم يعلمون أن «محمد»، ليس ابنها بل ابن أخيها منحها إياه لأنها لا تنجذب - وحتى لا يختلط الاسم مع الأم الحقيقية لـ محمد.

تعيش زينب مع زوجها، تجار الكراسي، تربى بعض الدجاجات تبيع بيضهن وتعطى الثمن لـ محمد، وترضى بما يعطيه الله لزوجها من رزق لتشتري لوازم بيتها. مات أخوها .. تشبتت بـ محمد .. أمـه صفيرة شابة قد تتزوج وتأخذـه.

الفراش يحترق بها وهي بين حزن وخوف ما تغفو إلا لتلقي صارخة : أخي .. ولدي. الزوج يقوم منتفضاً يهدئ من روعها و.. ينام حاماً بولـدـه .. ويستيقظ يحكـى لها حلمـه.

أصبحـتـ زـينـبـ وأـثـارـ السـهـدـ والـإـرـهـاـقـ غـيـرـ خـافـيـةـ.. تـلـبـسـ أـحـسـنـ ثـوـبـهاـ .. تـتـجـمـلـ تـطـلـبـ منـ زـوـجـهاـ أـنـ يـرـاقـقـهاـ .. تـطـرـقـ بـابـ زـوـجـهـاـ أـخـيـهاـ.. أـرـيدـ أـنـ أـزـوـجـكـ زـوـجـيـ .. تـحـمـرـ الأـخـيـرـةـ خـجـلاـ.

تقـيمـ زـينـبـ العـرسـ بـعـدـ أـنـ تـبـيـعـ أـثـانـهـاـ الـقـدـيمـ وـالـدـجـاجـاتـ وـتـشـتـرـىـ غـرـفـةـ نـومـ جـدـيـدةـ لـلـعـرـوـسـينـ.

اعـتـادـ النـاسـ أـنـ يـرـوـنـهاـ جـالـسـةـ أـمـامـ بـابـ المـنـزـلـ تـصـلـحـ الـكـرـاسـيـ. وـتـدـاعـىـ الـمـوـلـودـ الـجـدـيدـ.

وجع

أـرـغـمـتـنـىـ بـرـاءـةـ عـيـنـيـهاـ وـطـفـولـتـهاـ الفـضـةـ أـنـ أـجـيبـ عـلـىـ كـلـ تـسـاؤـلـاتـهاـ دـوـنـ مـلـلـ يـوـمـ اـتـتـ بـمـصـاحـبـةـ أـمـهـاـ حـسـبـ المـوـعـدـ المـحدـدـ لـتـنـظـيفـ الشـقـةـ.

تـسـلـلتـ مـنـ أـمـهـاـ جـاءـتـنـىـ فـيـ المـطـبـخـ

- دـهـ سـمـنـ بـلـدـيـ،

- دـنـعـمـ يـاـ حـبـيـبـتـيـ.

- عـارـفـاهـ أـبـوـيـاـ اـشـتـرـىـ نـصـفـ كـيـلـوـ مـاـ وـلـدـتـ أـمـيـ.

الأـمـ تـنـادـىـ : تـعـالـىـ يـاـ بـنـتـ اـوـعـيـ تـضـايـقـيـ المـدـامـ.

.. معلش يا مدام.. دينا يزيرك من نعيمه.
 انشغلت أنا فى إعداد الطعام وانشغلت هي مع أنها وعندما انتهيت من إعداد السلطة
 فاجأني وجهها متلهل بابتسامة متلائمة.
 - هو رمضان جه؟
 - بدري جدا على رمضان.
 - أنا باعرف رمضان لما أمن تعمل سلطة!!

مرايا

ظللت سنوات أطارد زوجي حتى يغير لي غرفة النوم القديمة.
 و....أخيرا استجاذ لي
 ليته لم يفعل !! إذ اشتري دولابا مغطى بالمرايا .. ومن يومها لم أذق طعم النوم.
 أرى نفسي سميكة . . .
 نحيفة .. بيضاء .. سمراء .. طويلة .. قصيرة .. مسروقة .. حزينة ! في آن وغالبا ما
 أرى الصورة سوداء . . .
 أما هو فقد أقسم لا يدخلها . فلم ير نفسه أبداً .
 طلبت منه أن يغيرها مرة أخرى - هررض .
 أمسكت بعصا ، يتوكأ عليها أحيانا .. كسرت المرايا .
 لم يبق إلا صورة عيني المحمرتين من السهر .. وملابسي التي تتجمّد للخروج من
 محبسها .
 عاد زوجي إلى الغرفة وأغلق بابها خلفه ■■■

الشاعر

احترم نفسك

سعدنى السلامونى

احترم نفسك

الكلمة طالعة من بقها

زى صاروح منشن على روحى

وجع كدا مش زى وجع جروحى

وجع من نوع خاص

انطلقت من بقها فى لفة

المكريباص

احترم نفسك

هي قاعدة جنبى

وأنا قاعد جنبها

فى حالى

جايزة بتقولها لى

انا مالى

لفيت بوشى أبقى بعيد

لقيتها بصنى لى

احترم نفسك

الغضب

ناططه من عنبيها

عامل سخونية

غضبها

معرق جسمى كله

الغضب مطلع صهد

الصهد طالع على شاشة عتبه

كل ما أجي أبيض هناك .. أبيض لها

الاقيها ناظر لية

احترم نفسك

الكلمة جمرة نار جواية

مولعة حشايا

أنط من شباك العربية

اهجم .. اهجم على طول
خايف ليه

حائزل أسكر لها
تسكرلين

دى زيونة زيلك زيها
رد هالها .. يانه.. ردها

نفس الكلمة بالضبط
يخليلها تخل زيلك

تشالع الكرسى وتحط
لا .. لا

انا حائزل من العربية وخلاص
لازم اندل

ما فيش حل تانى
أدينى في العربية

والعربية طايره على الأمسفلت
بس ما فيش عربيات جاية ورانا

قبل ما اندل لازم ابص فى المراية

رواية

ولازم عربية تكون جاي
بنها وبين عربتنا

خمس خطوات .. او مترين
عربية نقل بمقطورة

تكون طايرة على سرعة متين
عجلها حايدوس على دماغي

يخليله حتىتين
وساعتها

الكلمة حائزل ع الأرض حروف
بس انا قاعدع الكرسى

مزتوق في اتنين
هي في جنبي

وراجل عجوز على رجليه طفلتين
حانط إزاي وفدين ٩٩٩

احترم نفسك

هي قالت الكلمة دى ليه ٩٩

جايز يكون حبيتها سابها
حايدعوا مع بعض تانى

هي تقول له باحبك

وهو يقول لها بحنون

وكل شوية عنده تروح يمة الجرسون

هي تقول له انت بتبعن على ايه

احترم نفسك

ما ألم الكلمة من جوايا

وزجمها
وارميها في وشها

أردها

خد نفس جامد

كمان

كمان

كمان

كمان

بعض في عندها

قول لها

اهجم في لحظة ضعفها

احترم نفسك

جايز تكون رجل وانا بآلمها

حضرت رجلها

ما انا ساعات أنسى نفسي

الاقي رجلن سابت جسمى

وراحت لرجل قافية

واحنا قاعدين ع الكرسى

وساعات انساها جنب رجل

وانزل امشى

احترم نفسك

هي قائلهالي ليه

ايه اللي خانقها من الدنيا

ومخنوقه بيهم

والله ممكن يكون حبيبها سابها

ايه يعني

بكره حايرجع لها تاني

ويتكلموا في الشقة والدبلتين

هي حايطلب عصير في عصير

وهو حايطلب شاي في اتنين

ويفضلوا من تلال ساعات

لخمس ساعات قاعدين

هي تبكي

الدمع يسقط على ضهر ايديه

ترفع عندها لفوق

تشتها في عنده

هو يبكي

تمد ايديها تحضن ايديه

كل شوية صوابعه تروح لجيوبه

صرف قد ايه وباقي قد ايه

احترم نفسك

ازاي طلعت ببساطة من بقعنها

ردهالها يا له
ردها.. ردها
قول لها
احترمني نفسك انتي
لا لا.. حاسكر لها
يا ابني تسكر لمين
دى زيونة زيـك زيها
يمكن هن ارجل منك
قلتهاـلك فى وشك
بجرأة وعنـف وتحـدى
وانت عملت حـجتك المـسوق
كل شـوية تقول له
يا اسـطـى هـدى
من فـضـلـك هـدى
والـحـقـيقـة
انت بتـتـمـنـى العـرـبـيـة
تنـقـلـبـ بـيـكـ
من عـالـكـوبـرـى
بسـ خـاـيفـ .. آـيوـهـ خـاـيفـ
والـعـرـبـيـةـ بـتـافـ بـيـكـمـ فـيـ الـهـواـ
والـنـاسـ بـتـصـرـخـ جـواـهاـ
اطـفـالـ بـتـسـقطـ مـ الشـيـابـيـكـ
هيـ حـاـقـسـتـنـجـدـ بـيـكـ
تحـضـنـ فـيـكـ
وفـجـأـةـ تـبـصـ فـيـ عـنـيـكـ
تلـاقـيـكـ اـنتـ
فتـقـولـ لـكـ
احـتـرـمـ نـفـسـكـ

الشعر

وساختنى

أمجد محمد الشعشعاعي

وساختنى
عن كل عين .
قد تراني فيلسوفاً.. أقتفي
وسانتفى
وكما يقال
سيقال إنك يا شويعر
كنت سهلاً .. في النزال
ويقال إنك يا شويعر
كنت أجبن .. ما يقال
سيقال إنك صرت شعروراً
تقهقر عن مناصب الاقتتال
وهذا وعيتك يا فتى
هذا مصيرك لا تحيد
ولا تجيد هنا ابتعاداً

أنت أنت فكن جواداً
واعترف
قد كنت تكثر في حديث الفلسفة
قد كنت إنساناً كريماً .. عجرفة
وإن اعترفت هذا لنفسك أنت
لا ليروا لديك الضعف هدده في الشفة
هيا اختفي

ستكون ذكري .. من عفا
هم أخطؤوك وكان ظنك ساذجاً
الدن دن كييفما تروى .. ستبدو هائج
أولست من باقى البشر
لازلت في الدنيا ولا زال القدر
اتظن في الدنيا ملائكة القمر؟
هيا اصطلح ذكري .. وهذا إن ذكرت
فهنا ابتليت .. هنا قتلت
والروح تصعد كل صباح يصبح
، بخ بخ،
يا شاعراً بالآه .. كيف صنيعك
كل البرايا يهجرونك
هنا الأنام سيظلمونك
هنا الأنام سيتذوقونك
الذنب ذنبك يا شوير
كيف تبني بيت شعر
في العراء..
الله وحده من بنى سقفاً بلا عمد
وأسماء السماء
الذنب ذنبك كيف تحسو البيت في عرض الهواء
الذنب ذنبك كيف تهدى بيت شعر
للنساء..

حتى وإن ظلموك
 أنت هنا.. تعقل
 لا تكون في الأرض أهبل،
 حتى وإن ذهبت مشاعرهم هباء
 أنسىت يا هذا.. أجب !!
 الآن أذكر قصتي .. مع من أحب
 أول حبيب حين كان يقول لي
 أشويعرى ..؟
 أشعر يبشن بيتنا !!
 قوت لدى أولادنا !!
 البيت تمر .. أم تراه
 البيت خمر .. هل تراه !!
 ويمر عمر .. لا تراه
 ثم قالت لي «كفى» !!
 «الشعر حقق يا شويعر حلمنا»،
 «يكفيك شعراً.. كيف صرت،
 «ومن أنا» !!
 من ثم أعلنت الرحيل
 الآن صار الشعر كهلاً لا يؤون
 ولا يغيل
 أعكاذه.. أين سراك يا حلمي الجميل !!
 يا من لديك يجاز شعري
 أنت .. فليك فيك حلم.. واختفى،
 الآن آن لكل شعرك أن يميل،
 «وسيختفى» !!
 «هيا اختفى»،

اللّي ما يتسموا.....

اللّي ما يتسموا.....

ماجد كمال أبادير

طهطا - سوهاج

بينك وما بين اللّي ما يتسموا..

يجى ميت مليون سنة ضوئية..

مستكترهم ٤٩٩٩٩

طاب دانا مرضتشن أقولك أكثر...

علشان يمكن .. يضرب ف نافوخك .. عرق الدم..

وتنطق .. وتقوم جرى واحدها..

وتجاول تلحق اخر عربية.. ف آخر قطر..

... بيودي..

بلاد الشمس بتطلع فيها يوماتي....

تصدق ٤٩٩

كان جدك عمال بيعافر...

ويهاقى علشان يوصل لابعد بركة مية..

علشان بمن يشوف فيها وشه..

على حس الحسن اللي بيطلع..

نص دقيقه .. ويجري ..
 ولأ ظبطها وشافه ...
 اتخض وغفلق مات ف ساعتها ...
 عارف ٤٤٤
 بيقولوا عفريته بيطلع ...
 كل ما يجي الضي
 ويستخط كل اللي يشوفه .. جنب البركة ساعتها ...
 حمار .. ١١١
 وأبوك مات خايف ..
 حتى يقرب مرة هناك ...
 وأخوك الأصغر منك ..
 جاب واحد م اللي ما يتسموا ...
 وشقوا من ساسه لراسه
 ودخل جواه ...
 قوم مات فطسان ف الحال ...
 مش قاعد غيرك ...
 وما فيهش قدامى إلا انت ..
 هتقوم وتروح للبركة إياها .. ٤٤٤٤٤٤
 ولا أسيبك .. وأرجع تانى ...
 لبلاد اللي ما يتسموا ٩٩٩٩٩٩٩٩٩
 ٩٩٩٩٩٩٩٩٩٩٩
 ٩٩٩٩٩٩٩٩٩

قصص منفرد

عهدی چورج

حضرت ولم أجده
ارجو أن تكوني بخير
صبي مستدير الوجه سأله إن كان أحد بالداخل
الجاره السمراء رمقتني من عين بابها السحرية
هررة الدرج شهدت صعودي منهكا بترقب معناد

انحدر مطرقا
امرأة وحيدة
تذرف نضارتها
في مناجاة أوجه القمر
واليمامات الساكنة نافذتها
تبتسم لها وتمضي
تلتحق اليعاسيب الزرقاء
في باحة المخلفات القديمة

التي كانت حديقة .. ذات يوم
 والتي صارت تخشاها
 أكثر من الأفعى ذات الأجرام
 وأكثر من صورتها في المرأة
 وما زال تسترجع ارتعاش اجنحتها بين يديها
 كلما اشتهرت جسداً نابضاً يوصر ارتجافاتها
 تضم صنمها العتيق إلى صدرها
 منتشرة بتاججها يطفئ ببرودته
 من ذا الذي يتغنى أحضاناً دافئة في هذا القيلظ!^٦
 أحد لم يخبرني أن اختبئ إذا أمطرت
 لا أعرف ماذا أفعل عند اكتمال القمر
 عيناك تعلمان عن وعد دائم بالرحيل
 اجتاز سهولك مشخناً بالأشواك
 اتباطاً في إياي لا جعله يبدو كالأخير
 في المساء العق جراحي لعلها تحمل بعضاً من رحيلك
 دمائي خائرة.. مرة كالوحدة.

ترجمة

في النهاية

(أربع قصائد للشاعر الألماني ماريو فيرس)

ترجمة: عبد الوهاب الشيخ

ولد الشاعر ماريو فيرس في ماربورج عام ١٩٥٦، ويعيش في برلين. رسخت رواياته وأشعاره المعتمدة على سيرته الذاتية مكانته كعضو بارز في جماعة (AIDS) الألمانية، التي يعد من أكثر أصواتها الشعرية وصانة برغم تلك النبرة العدوانية التي تميز أعماله، وأعمال الشاعرة روزا فون بروانهايم على وجه الخصوص. والقصائد المترجمة مأخوذة من مجموعته الشعرية، «قلب المساجنة»، الصادرة في برلين عام ١٩٩٧.

(١) جراحة

الأحلام كالأورام المنتشرة،

رأيت ملائكة،

مخيف ولا يعرف الرحمة،

ضحيكته

مشريط نماع،

يقطع الزمان والمكان

دونما مدخلها

والسنوات التي ضاعت هدرا
جرح مفتوح.

(٢) منفى

منفيا من كل العبارات
اسقط،
في ظلمة الوقت الفاضبة،
بعيذا عن لغة الآخرين،
بلا شفقة ذاكرتى،
التي تدفعنى للمسقوط،
أسفل سلم الكلمات،
التركيبية السحرية التي عثرنا عليها
في لياليينا
لا تأثير لها،
بماذا تدمدم؟
إن صوتك يغوص في منجمة القلب،
ذكريات عديدة،
في الحلم ينتابنى،
عند نهاية السلم،
سكون

(٣) عائلة

الجميع مندهشون لأن السنونيات هذا الصيف
تعشش هن شعرى،
أتنفس بهدوء
كى لا أزعج ضيوفى:
العناكب ، التي تنسلح هباكها

تحت إبطى،

الفراشة الصفراء، التي تنام

على كتفى الأيسر،

الجميع مندهشون من عائلتنا الجديدة،

فرحى يغذى ذكور النحل

ومليلكتهم..

(٤) في النهاية

النوم غير المريح لا وزن له

في ضوء صباح بعيد،

كل شيء خفيف»

نستيقظ ونترعرف على بعضنا البعض،

بلا أسماء»

لا عجب، أن قلب

هذه اللحظة لا يخفق،

كل شيء ساكن،

تغير الجلد القديم

للحنين

ونواصل،

رحلة بلا متع

كل شيء ممكّن،

في ضوء صباح بعيد

نجسر

في النهاية

على عمل المعجزات.

يا صلة بتجمعننا

وابكم ما يسمعشني	هو خلاص يا ابا..
ولا بيتكلم	سكن المرض جسمك
وريانا وحده منه بيسلم	مدد على فرشك
ارجوك يا ابا تحاول	عصرك كده على حضنه
تخلع هدوم همك	وخلاتك رميته سيفك
اللى صاحب مرضك	سلمت له الدفه
وارميها ورا ضهرك	ورفعت له الرايه
ما كنش عشمنا	بقى يعني ماقدرتش
ترفع في يوم رايتك	يا ابويا قتحفى
يا ابا وتسسلم	سامحنى يا ابويا..
دا احنا بنتالم	لوامرنا بيايدينا
وعيننا بتدمع	لامسكتنا يوم سيفك
لنا نشوفك	وطعنا بييه مرضك
حزنان على نفسك	في قلبه ميت طعنه
ارجوك تقوم يا ابا..	دا لو احنا عارفينه
وتضمننا في حضنك	إنه هيسمعنا
عاوزين نشيل عنك	لا كنا قولنا له
شويه من الملاك	يرحم في يوم ضعفك
عايزين يا ابا ترجع	واللا يشوف جسمك
نحكي وتعسمعننا	اللى الزمن فحته
دا كلامك الطيب	لكن المرض يا ابا..
بلسم لا وجاعتنا	أعمى ما بيشوفش

النسمة تجرحنا خليك هنا بینا
 وما حد يبابا بعدك دا انت عمود بيتنا
 هتهمه أحزاننا يا شمعة بتنور
 أو حتى أفراحنا في الضلامة دنيتنا
 دى الدنيا غداره يا اللي انت ربينا
 خاييفين تفرقنا ع الحب والطاعه
 وما نلاقيش بعدك وغرست في نفوسنا
 ضلله تجمعنا الرضا بقناعه
 أحمد عطيه عبد العال لو غبت يوم عننا

<<< قصوص ثورة

ثوري دموية لكن سرعان ما تخبو الثورة وتدفن الجثث .

قصة توسل

أتوسل للتوسل وهو يتسلل إلى ولنفسه

مقصلة

قالت

- انظر إلى المقصلة

قال

- قد اعذ عنقى

أحمد إبراهيم الدسوقي



مكتبة لسان العرب

www.lisanarb.com

رابط بديل lisanerab.com



يعلن مجلس أمناء

روايات حمزة بن عبد الله بطئي الراوي الرابع لشاعر المتنبي

فتح باب الترشيح لجوائز المؤسسة

في دورتها الثانية عشرة

أكتوبر ٢٠١٠

فروع الجائزة وشروطها:

- ١ - جائزة الإبداع في نقد الشعر : وقيمتها (أربعون ألف دولار)**

 - تمنح لأشد نقاد الشعر أو دارسيه المتميزين من قدموا في دراساتهم إضافة مهمة في تحليل النصوص الشعرية ، أو رؤية جديدة لظاهرة شعرية محددة قائمة على أساس علمية .

٢ - جائزة أفضل ديوان شعر : وقيمتها (عشرون ألف دولار)

 - تمنح لصاحب أفضل ديوان شعر صدر خلال خمس سنوات تنتهي في ٢٠٠٩/١٢/٣١ .
 - للمنتنق أن يتقدم بديوان واحد فقط على أن يكون الشيولن منشورة .

٣ - جائزة أفضل قصيدة : وقيمتها (عشرة آلاف دولار)

 - تمنح لصاحب أفضل قصيدة منشورة في إحدى الجولات الأدبية أو الصحف أو الدوائر الشعرية أو في كتاب مستقل خلال عامين ينتهيان في ٢٠٠٩/١٢/٣١ .
 - يحق للمنتنق أن يتقدم بقصيدة واحدة فقط على أن يرافق بها الأصل المنشور ، ولا تقبل القصائد المنشورة في نشرات إعلانية أو دعائية .

الجائزة التكريمية لابداع الشعرى: وقيمتها (خمسون ألف دولار)

تمنح لشاعر أسهم في إثراء حركة الشعر العربي، وهي جائزة لا تخضع للتحكيم بل آلية خاصة يضعها ويشرف على تنفيذها رئيس مجلس الأمناء، والمخولون بالترشيح هم أعضاء مجلس أمناء المؤسسة فقط.

شروعت عامہ

- ١ - يقبل التناج المقدم باللغة العربية الفصحى فقط .

٢ - لعدم قبول ملخص مسودات على فوزه ، على أن يتقدم بعمل آخر به قبل مضي خمس سنوات على فوزه ، على أن يتقدم بعمل آخر غير الذي فاز به ، وعلى المتقدم أن ينص في خطاب الترشيح على أن العمل المتقدم به لم يسبق له الفوز بأي جائزة عربية ، وفي حال ثبوت العكس فللمؤسسة الحق في إلغاء نتيجة المتقدم .

٣ - على المتقدم أن يرسل ثمانية نسخ من التناج المتقدم به لنيل الجائزة .

٤ - لا يقبل التناج الذي يشترك فيه أكثر من شخص واحد .

٥ - يرسل المتقدم خطاباً مباشراً إلى المؤسسة يذكر فيه رغبته في الترشيح لأحد فروع الجائزة ويحدد فيه التناج الذي يتقدم به للمسابقة ، ويمكن للجامعات والمؤسسات الثقافية الحكومية والأهلية أن تتقدم بترشيح من ترغب ، مع ضرورة إرفاق موافقة المرشح خطياً على ذلك .

٦ - يرسل المتقدم سيرة ذاتية وعلمية له مستقلة عن خطاب الترشيح تشتمل على : اسم الشهرة ، الاسم الكامل الوارد في وثيقة السفر ، تاريخ الميلاد ومكانه ، العنوان البريدي ، رقم الهاتف ، إتساجه الإذاعي ، ثلاث صور فوتوغرافية حديثة (١٠ سم × ١٥ سم) .

ترسل طلبات التقديم والترشيح لجوائز المؤسسة باسم السيد الأمين العام للمؤسسة إلى أحد العناوين الآتية:

المراسلات

التحكيم:

يعرض الشاب المقدم على مجلس تحكيم من الشخصيين في فروع الجائزة ، بعد التأكد من مطابقته للشروط المعلنة ، وقرارات اللجنة النهائية بعد اعتمادها من مجلس الأمانة .